المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي والتسعين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٧ — ٢٥ رجب سنة ١٣٥٦

حضرة صاحب الجلالة

الملك فاروق الأول

ولد في سراي عابدين في ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ — ٢١ جماد أول سنة ١٣٣٨
نودي به ملكاً في ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ — ٧ صفر سنة ١٣٥٥
تولى شؤون الملك في ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ — ٢١ جماد أول سنة ١٣٥٦

هذا أول عدد من « المقتطف » يصدر بعد أن تولى حضرة صاحب الجلالة « فاروق الاول » شؤون الملك في ٢٩ يوليو ١٩٣٧ . لذلك يغتنم أصحاب مجلة « المقتطف » وكتّابها هذه الفرصة لرفع فروض الولاء الى مقامه السامي ، والدعاء لهُ بالعزّ وطول العمر ، وللديار المصرية في عهده بالرخاء والارتقاء ، بمجدّدين العهد على خدمة العلم في ملكه الزاهر كما خدموهُ في ملك والده العظيم وأسلافه الكرام

أمير العصر

اللاسلكي

جوليلمو ماركوني

١٨٧٤ — ١٩٣٧

مرحبا سيدتي

انطوت بوفاة ماركوني في ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٧ صفحة من اعجب الصفحات العلمية واخلدها على الدهر. فهو واديسن يذكران بأنه الاساطير اليونانية الذي أخذ النار من الآلهة ووهبها البشر. فاديسن وهبنا النور الكهربائي وماركوني اصبح اسمهُ مرادفاً لهذه الامواج السحرية التي يحفل بها الفضاء حاملة في ثناياها ما شاء الانسان ان يحملها به من علم وفضل أو من جهل وشحناء. فالرواد في مجاهل الارض يستعينون باللاسلكي والسفن في عرض البحر تستنجد به إذا حزب الامر، والدعاية السياسية والاجتماعية تذاع باللاسلكي والموسيقى الفخمة والمحركة تطوق الارض على اجنحة الامواج اللاسلكية وكذلك الانباء والاحاديث والمواعظ والاعلانات. ثم ان الطائرات الخالية من السواقين تطار وتدار في الجو وتلتقي القابل وكذلك السفن والطائرات ترشد إلى الموانىء والمطارات المكتنفة بالضباب بالامواج اللاسلكية العجيبة

والرجل الذي حول بسحر فكره وابداعه الاقوال النظرية في هذا الموضوع الى حقائق تسمع وتلمس هو هذا الرجل الذي فقده العالم: جوليلمو ماركوني أمير العصر اللاسلكي!

ولد ماركوني من والد إيطالي وأم ارلندية في بولونا بايطاليا في ٢٥ ابريل سنة ١٨٧٤ وما شب حتى بدت عليه مخايل النجابة والتفوق ومال من حداثته الى العناية بالأمور الكيباوية وكانت أمهُ ذكية نشجعتهُ على توسيع نطاق معارفه بشراء الكتب اللازمة واتت له بمعلم بل وبنت لهُ كذلك معملاً صغيراً ليجرب التجارب العلمية فيه

فلما بلغ سن الدراسة أنتظم في مدرسة بليجورن ومنها انتقل الى جامعة بولونا وهي من أقدم الجامعات في أوربا ان لم تكن اقدمها على الاطلاق. وهناك تلقى العلم على الاستاذ ريغي واتجه

ميله الطبيعي الى الكهربائية. ولما كان في السادسة عشرة من عمره عني بمبادىء المخابرات اللاسلكية وكان قد تعلم في تاريخ علم الطبيعة ما فعله لدسي الاسكتلندي والسر وليم بريس من ارسال اشارات فوق شهري اتلنتي والسولنت والتقاطها

وكذلك شرع مركوني يجرب التجارب في أراضي والده وثابر على التجربة فاصبحت الموصلات أذرعاً والأذرع أميالاً وكذلك استطاع رويداً رويداً أن يثبت ان الامواج الكهربائية التي يولدها تسير في الفضاء مسافات طويلة غير متأثرة بالآكام والمباني وغيرها من العقبات والحوائل الطبيعية التي تعترض سيرها. فلما كان في السنة الثانية والعشرين من عمره كان قد أحرز نصراً باهراً في الميدان الذي آثره لنفسه. وفي سنة ١٨٩٦ أخرج « البانتة » الاولى للتلغراف اللاسلكي فتحداه كثيرون ولكنه لم يعبأ بأحد بل مضى في طريقه في هدوء وسكينة وثقة بالمستقبل. وسافر الى انكلترا حيث جرب تجاربه فثبت ما يدعيه وبحضور كبار موظفي ادارة البريد البريطانية أرسل الرسائل اللاسلكية عبر برزخ برستول والتقطها. ثم جعل يزيد المسافة بين محطة الارسال ومحطة الالتقاط في بضع السنوات التي تلت. ومما يؤثر في هذا الصدد ان لورد كلفن أمير علماء الانكليز في أواخر القرن التاسع عشر كان أول من أرسل رسالة لاسلكية ودفع أجرتها

عند ذلك انتبه الناس الى هذه الطريقة العجيبة الجديدة في المخابرات وكان أشد الناس انتباهاً لها اقطاب وزارة البحرية البريطانية لانهم رأوا فائدة استعمالها في السفن الحربية وكان مركوني لا يني عن التصريح بثقته بأنه سوف يرسل الاشارات اللاسلكية عبر المحيط الاطلنطي فسخر منه بعض علماء الطبيعة قائلين ان الامواج اللاسلكية من قبيل أمواج الضوء تسير في خطوط مستقيمة ولا تنحني مع انحناء الارض الكروية فتقل الرسائل بها بين شاطئي المحيط الاطلنطي متعذر ارسال شعاعة من الضوء بينهما

ولكن مركوني لم يحفل بالقول النظري فأعد التجربة العملية لامتحان ذلك القول ولعل إقدامه على ذلك من أجل المآثر التي كتبها في سفر العلم الحديث لان التجربة التي جربها أثبتت أمرين أحدهما عملي وهو امكان ارسال الرسائل اللاسلكية على مسافة بعيدة والثاني نظري وهو ان الامواج اللاسلكية تنحني بانحناء الارض ولا تعترض كروية الارض سبيل هذه الامواج. ولسيرها على هذا النمط تعليل طبيعي استنبطه علماء كبار مثل هيفسيد وكنلي وابتون وغيرهم

أما حديث ارتقاء المخابرات اللاسلكية بعد تجربة مركوني الحاسمة فحديث زيادة القوة المولدة في الاجهزة المرسلة واتقان الاجهزة الملتقطة حتى يدق شعورها بالامواج وبعد المسافات التي تطويها الرسائل اللاسلكية بين المذيع والملتقط. فلما استنبط دي فرست الانبوب المفرغ أصبحت المخابرات التليفونية اللاسلكية والتلفزة ونقل الصور السلكي واللاسلكي من الامور العادية التي نسمع

بها كل يوم فلا تدهش لانا ألفناها مع انها لو عرضت على عالم من علماء سنة ١٩٠٠ فقط لما صدق حسه فيما يرى ويسمع

وبعد ما بانت المخاطبات اللاسلكية والتلغرافية والتليفونية الشأو العظيم الذي بلغتهُ بعيد الحرب الكبرى قال مركوني في نفسه ليس من الطبيعي ان تنفق هذه الطاقة الكهربائية الهائلة في توليد الامواج اللاسلكية التي تسير المحيطات . ان الطبيعة في صميمها تميل الى الاقتصاد في الجهد أفلا نستطيع ان نستعمل أمواجاً لاسلكية أقصر من الامواج اللاسلكية المستعملة الآن. فاذا كان ذلك ممكناً فعندئذٍ نستغني عن المولدات والاجهزة الكهربائية الضخمة التي لا بدَّ منها لتوليد الامواج الطويلة وارسالها في الفضاء ونكتفي بمولدات صغيرة تولد الامواج القصيرة . وما خطر له هذا الخاطر حتى طوَّحته حماسته الاولى فشرع يجرب التجارب من جديد وعمله الرئيسي بخته « اليخت » يجوب عليه البحار ويتلقى الرسائل بالامواج القصيرة ترسل اليه من محطات مذيعة مبثة فجمع الحقائق قبل الاقدام على الحكم فلما استتب لهُ الأمر اخرج لنظام « البيم » الذي تعتمد عليه الامبراطورية في مواصلاتها . والرسائل التي ترسل بهذه الطريقة أقل كلفة لأن الطاقة المولدة للامواج القصيرة أقل من الطاقة المولدة للامواج الطويلة ، واوضح لانها لا تتفرق في كل الجهات بسبب العواكس التي تعكسها وهي لذلك تمكن كتمانها بعض الكتمان لأن المحطات اللاسلكية لا تستطيع التقاط الرسالة الا اذا كانت في ممر الشعاعة

وبعدما جرب تجاربه بالامواج القصيرة وبعد انشاء نظام عملي للمخاطبة بها عمد الى الامواج المتناهية في القِصَر وهو ما يعرف بالانكليزية ultra-short waves) ومن احدث نتائجها هذه الطريقة التي استنبطها لارتياد السفن والطائرات في جو مليد بالضباب الى الموانىء والمطارات

وقد منح مركوني جائزة نوبل الطبية سنة ١٩٠٩ وطائفة كبيرة من الميداليات والاوسمة العلمية ومنحتهُ حكومة ايطاليا لقب مركيز وعينتهُ رئيساً لاكادمية اللوم ولكن هذا قليل ازاء ارتباط اسمه بعجائب العصر اللاسلكي

التجربة الحاسمة

كان مستقبل المخاطبات اللاسلكية في سنة ١٩٠١ معلقاً في الميزان . وكان بعض الكتَّاب من أصحاب الخيال الوثَّاب ، قد تنبأوا بحلول يوم يستطيع فيه رجل مقيم في ضيعة من ضياع جبال الاندس أن يتكلم بصوت كهربائي مغناطيسي فيسمعهُ في اية بقعة من بقاع الارض ، كلُّ من يملك أذناً كهربائية مغناطيسية . اما المهندسون وعلماء الطبيعة الذين كانوا يتناولون حقائق الاذاعة والالتقاط تناولاً عمليًّا ، فكانوا أضعف إيماناً بتحقيق هذا من الكتَّاب الخياليين . كان علماء

الطبيعة قد قالوا ان الامواج اللاسلكية هي امواج ضوئية لا ترى . وانها كامواج الضوء تسير في خطوط مستقيمة ، وان نقل الرسائل بها بين شاطىء المحيط الاتلنتيكي متعذر تعذراً اوسع شعاعة من الضوء بينهما . وذلك لشدة تحدب الارض فيرتفع حاجز علوه نحو مائة ميل بين اوربا واميركا لا تستطيع الاشعة أن تنحني حوله

على ان العالم يسلم بالنظرية — مهما تكن معقولة — بشيء من التحفظ . لانها قد تمكنه من تعليل ظاهرات غريبة تعليلاً مقنعاً ، ولكنها يجب ان تخضع للامتحان العملي . هذا هو مصير جميع النظريات العلمية من نظرية نيوتن الى هذا القول الخاص بالامواج اللاسلكية . فاذا صح ما يقال عن الامواج اللاسلكية وانها تنبعث من مصدرها في خطوط مستقيمة ، لا تنحني ، فهذه نهاية حلم جميل تواصل المخاطبات اللاسلكية الدولية العامة ! وقد كان من نصيب مركوني أن يدع التجربة العملية لامتحان هذا القول النظري

المشهد في جزيرة نيوفوندلند والتاريخ يوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ . هوذا مركوني جالس في غرفة قاتمة جانية ، على أكمة تدعى أكمة سينتل ، وعلى اذنيه سماعة تلفونية شديدة الاحساس ، ووجهه يفيض بشراً وبشاشة على مساعديه . وكان احدهما — كب — يتناول سماعة تلفونية كرتيه

تك . تك . تك

فقال مركوني لكب — هل سمعت ؟

فقال كب — نعم سمعت

ما أروع وقع هذه النبضات في أذنيها ! ثلاث نبضات لا أكثر ولا أقل ! ..

وماذا تعني هذه النبضات ؟ انها تمثل حرف « S » المتفق عليه مع رجال محطة الارسال في انكلترا ليبعثوا به فوق ١٨٠٠ ميل من المحيط الاتلنتيكي . هنا رغماً عن تحدب الارض ، سمع مركوني وساعده ، النبضات الثلاث ، المتفق عليها ، المرسلة من انكلترا ، فثبت لهم أن الامواج اللاسلكية تنحني فتجاري بانحنائها تحدب الارض

كان مركوني قد أرهق نفسه قبل هذا ، سنين طوالاً ، للوصول الى هذه النتيجة . فيوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١ ، يوم خالد في تاريخه ، لانه يوم النصر . اعطه الطاقة اللازمة بعد الآن ، وثق ان لاشيء يصده عن ان يرسل رسائل مفهومة فوق القارات والمحيطات ، الى اقصى البلدان ! امواج تسير حول الارض بسرعة الضوء ، تحمل في طياتها ، او تنقل على اجنحتها ، ما تشاء ، وتمر خلال الظلال والماني كما تخترق اشعة الشمس ألواح الزجاج — ما هذه الرؤيا العجيبة !

ولا يفوز في مثل هذه الاحوال المتبطة فلهم ، الا من كان مدعوماً بثلة القديسين المستشهدين . فالفصل فصل الشتاء . وبولدهو — المحطة الانكليزية — تكتسحها عاصفة ، لا تقلّ عنها العاصفة التي تكتسح « سنّتل جل » — المحطة في نيوفوندلند . والامواج يجب ان تذيبها وتلتقطها السلاك قائمة على اعمدة مرتفعة . فأقام مركوني في بولدهو اعمدة علوها ١٣٠ قدماً . فيلفت نقفة كل منها ٢٤٠ جنيهاً وهو في حاجة الى نحو عشرين عموداً منها . ولكن الرياح العاتية تهدم ما يبني . فمن العبث بذل الجهد والمال . على أن مركوني مضى في عمله ، فبنى أعمدة نقّالة في بولدهو وأقام عليها الاسلاك الهوائية وامتحنها في التقاط رسائل مرسلة من مكان قريب ، ففاز بالتقاط اشارات شديدة الوضوح فأسرع في سفره الى نيوفوندلند

ان اقامة الاعمدة هنا متعذر ، لقلة المال والصعوبات الفنية التي لا بدّ من تذليلها . ولكن الذكاء يفتق الحيلة ، ولا بدّ من رفع الاسلاك في الجو . فتتصل مركوني الطيارات والبلونات التي يطيرها الاولاد . ولكن الرياح كانت عنيدة في مقاومته ، فكانت تمزق الطيارات او تقطع أوصالها ، فظلّ يطير واحدةً اثر أخرى ، حتى ثبتت احداها لحة في الجوّ تمكنت في أثنائها من التقاط النبضات الثلاث ، وفي اللحة التالية مزقتها الريح وتطحت حبلها . ولكن مركوني احسّ بشيء من الفتور والكآبة في ساعة انتصاره . اي دليل عنده يقدمهُ على نجاح تجربته . فليس ثمة اية وثيقة تبرهن عليه . ليس هناك الا ثلاث نبضات اثيرية طرقت سمعهُ وسمع صديقهِ . أيصدقهُ العالم ؟ فتردّد قبل ان اذاع النبأ ولكن لما صدرت صحف الصباح ، حاملة في صفحاتها المقدمة انباء التقاط الاشارات اللاسلكية الاولى ، المرسلة من اوربا الى اميركا ، سرت هزة كهربائية في شعوب اوربا واميركا . ويقال ان اديسن بلغهُ هذا النبأ فلم يصدقهُ ، فلما رأى بياناً مذيلاً بتوقيع مركوني قال : اصدق الآن فان مركوني مجرب ذكي ألمعي ، وجدير بالثقة والاحترام

لم يكن مركوني ، قد فاز ، قبل ذلك بارسال الاشارات اللاسلكية مسافة تزيد على اربعمائة ميل ، ومع ذلك بعث نجاحه في ارسالها هذه المسافة (٤٠٠ ميل) الدهشة في نفوس الناس. على ان نجاحه في ارسال الاشارة اللاسلكية فوق المحيط الاتلنتكي لا يرجع الى اقدامه وثقته بنفسه الفنية فقط ، بل يرجع الى نظرية كانت عنده بمثابة العقيدة . فقد كان يعتقد اعتقاداً راسخاً ان الامواج اللاسلكية تنحدب حول الارض ، ولو خطّأه في ذلك جمهور العلماء . وهذه تجربة نيوفوندلند ، تثبت انهُ على صواب . فهي من اعظم التجارب في تاريخ العلم ، دع عنك مقامها وأثرها في المخاطبات الكهربائية ، ولعلها الباعث على منحه جائزة نوبل الطبيعية

ولم يبطىء العلماء في استخراج النتائج من النبضات الكهربائية الثلاث التي تلقاها مركوني

في نيوفوندلند ، فعني بها لورد رالي ثم أكمل هيفيسيد النظرية العلمية الخاصة بتعليل سيرها من الوجهة الرياضية . فقال ان فوق سطح الارض ، على ارتفاع معين، طبقة من الهواء المكهرب . تبعث الشمس بأشعتها ، فتنزع بعض الالكترونات من ذرات الغازات في الهواء — فتكهرب الذرات وتصبح ايونات . وهذه الطبقة المؤينة (ionized) تعمل كما كي . فبدلاً من ان تنطلق الامواج اللاسلكية وتتبعثر في الفضاء تردّها هذه الطبقة الى سطح البحر وهذا يردها الى طبقة هيفيسيد وهكذا تروح وتجيء الامواج اللاسلكية بين طبقة هيفيسيد وسطح البحر وهي تتقدم دائماً الى الامام حتى تصل الى حيث تلتقطها محطة حسّاسة . وعليه فطبقة هيفيسيد — وقد اصبحت الآن حقيقة علمية مسلماً بها وتلتها طبقات أخرى — نتيجة مباشرة لتجربة مركوني المذكورة

مقترحات الاختراع

أما ما سبق ذلك فتلمس النور في دياجي الجهل، وهو سبيل الاكتشاف والاختراع الطبيعي

كان جوزف هنري العالم الطبيعي الاميركي قد لاحظ سنة ١٨٤٢ أن شرارة كهربائية صغيرة تبعث شيئاً في الفضاء ، ثم جاء العالم المجرّب الالمعي دافيد هيوز ، مستنبط الميكروفون فجرّب بعض تجاربه بالشرارات الكهربائية . فتمكن من استعمال ميكروفونه لالتقاط بعضها . ثم وجد اديسن انهُ يستطيع ان يقدح شراراً كهربائيًا في مادة معزولة اذا كان على مقربة منها مادة تنطلق منها كهربائية

على ان العقل الانساني ، وعلى الاخص العقل العلمي ، لا يلبث ان يقيم العراقيل . ويبدع الاعتراضات على كل فكر جديد . وهكذا نجد ان السر جيرائيل ستوكس ، وهو من اكبر علماء الطبيعة الرياضية في عصره يقول ، ان ما لاحظه هيوز سببُهُ ارتشاح الكهربائية . واجرى سلفانوس طمسن تجربة فعل اديسن وعللهُ بمبادىء معروفة . وذلك لان العلماء كانوا يقررون من القول بأن الكهربائية تقفز من نقطة الى نقطة من غير موصل بين النقطتين . وكذلك ظلت مباحث هنري وهيوز واديسن في زوايا الاهمال . وليس ثمة سبب في كان يمنع استنباط التلغراف اللاسلكي حينئذٍ — أي في العقد السابع من القرن الماضي . ولكن العالم ، لم يكن مستعدًا ، من الوجهة النفسية ، لاستنباط طريف كهذا . فقد كانت تعاليم فراداي الكهربائية لا تزال موضوع عناية محصورة في أفراد قلائل ، وتلغراف مورس نفسهُ كان لا يزال ضيق النطاق

والرجل الذي كان لهُ أجلّ أثر في تهيئة الذهن العالمي للنظرية اللاسلكية هو جيمز كلارك

مكسول — خالق الاثير الحديث . كان بعض العلماء قبله قد فرضوا الاثير لتعليل انتقال الضوء من كوكب ما الى عين الرائي مثلاً . ولكن أثير مكسول كان وسطاً لانتقال أشعة كهربائية مغنطيسية ، بعضها قصير الامواج كأشعة النور فنراه ، وبعضها أطول قليلاً كأشعة الحرارة فنحسّهُ ولا نراه وبعضها أطول جداً بتباين طولهُ من بوصة الى ميل أو اكثر ، فلا نراه ولا نحسهُ ، وهو الاشعة اللاسلكية

وكانت أشعة النور والحرارة معروفة . ولكن ماذا يقال في الاشعة طويلة الامواج التي لا نرى ولا نحسّ . كان اكتشافها المشكلة الكبرى التي اعترضت علماء الطبيعة في العقد الثامن من القرن الماضي . وجاء هرتز Hertz سنة ١٨٨٦ بكشافهِ الكهربائي وهو حلقة من معدن غير متصلة الطرفين بل لها طرفان يكادان يتماسان . فاستعملها في سبله بعد تنبيهِ ، فلاحظ ان شرارة كهربائية صغيرة تمرّ بين طرفي الحلقة اذا أطلقت شرارة أكبر في طرف المسل الاقصى فبثت في الفضاء امواجاً كهربائية . فهذا دليل لا يمارى فيهِ على وجود تلك الامواج الطويلة التي لا نرى — وهي الامواج التي تنبأ بها مكسول . واجرى هرتز امتحانهُ في هذه الامواج فعكسها ، وأمرّها في موشور — اي كسرها — وجرّب بها كل تجربة لبثّ كد من مشابهتها او قرابتها لامواج الضوء . واذن فهذا شكل جديد من اشكال الطاقة لم يكن معروفاً قبل مكسول . اكتشفهُ مكسول نظريًّا وأثبت هرتز وجوده بالدليل التجريبي

إذن لنستطع أن نرى الآن ، لماذا طلّت مباحث هرتز وهيوز واديصن عقيمة لم تسفر عن استنباط التلغراف اللاسلكي في حينها . ذلك لانهم كانوا يجهلون طبيعة القوى التي يتناولونها . ولم يتمكن أحد منهم ان يوحد بينها وبين معادلات مكسول الرياضية . ولكن لما بدأ هرتز تجاربهُ بدأها من ناحية جديدة ولا يبعد أنهُ كان عارفاً بمباحث هرتز وهيوز واديصن . فهم كانوا باحثين عمليين . ولكنهُ كان قد وعى مباحث مكسول النظرية ، ففهم الشيء الذي يبحث عنهُ ووجده

مركوني يدخل الميدان

هنا دخل مركوني الميدان . ها هو ذا تلميذ فتيٌّ في مدينة بولونا والاستاذ ريغي Righi احد الاساتذة الذين يتلقى عليهم ، يحاضر الطلاب متحمساً عن هرتز ومباحثهِ ويشهدهم كيف تنطلق الامواج وكيف تلتقط فيفتن البحث لب مركوني . ان خياله المتصل من ناحية ابيهِ بخيال الايطاليين ومن ناحية امهِ بخيال الكلتيين Celts حفزتهُ الرؤى والاحلام . فعزم على ان يتعلم كل ما يعرف عن الامواج . وأكب على البحث والتجربة في حديقة ابيهِ وفي المشرق من الصراصير ثقة في موضوع الامواج ، لا يفوقهُ فيه احد . ثم انهُ يفوق كل

الثقاة الآخرين بخاطر لم يخطر لكسول ولا لمرتزل ولا لريي. انهُ يستطيع ان يطلق الامواج ويوقفها بحسب رغبته وهو الى ذلك يستطيع ان يرسل سلسلة طويلة من الامواج او سلسلة قصيرة . فالسلسلة الطويلة تمثل خطًا والسلسلة القصيرة تمثل نقطة — وهذا هو اساس شفرة التلغراف السلكي . إلاّ ان تنفيذ فكرة مركوني لا يقتضي سلكاً بين المرسل واللاقط

وكان مركوني متصلاً من ناحيتي أمه وأبيه بكبار القوم في ايطاليا وانكلترا فأخذ كتاب توصية الى السر وليم بريس أحد زعماء المهندسين التلغرافيين حينئذٍ والرئيس الفني لمصلحة البريد البريطانية . ثم ان بريس كان قد اشتهر بتجاربه في محاولة اختراع تلغراف تقوم فيه الارض مقام السلك . فلما وصل مركوني الى لندن سنة ١٨٩٦ أحسن بريس وفادته وأصغى اليه فأقنعهُ مركوني — وهو في الثانية والعشرين — بأن التلغراف القائم على امواج هرتز أفضل من التلغراف الأرضي

ولم تكن آلة مركوني التي عرضها في انكلترا حينئذٍ آلة طريفة كل الطرافة . ففي الجهاز المرسل مفتاح مورس المعروف . وفي الجهاز اللاقط كشاف أو روابط استنبطهُ برانلي الفرنسي وحسّنهُ لودج الانكليزي . والامواج ترسل من سلك مرتفع — وهو جهاز يعيد الى الذهن تجارب تسلا Tesla — ولكن السلك مغروس في الارض وهو من ابتداع مركوني

ومع ذلك فهو اختراع عظيم ! انهُ تنظيم لاجزاء قديمة معروفة على منوال جديد ، كذلك كان تلغراف مورس وحاصدة مكورمك وطيارة ريط ! يمضي الباحثون يتلمسون الطريق عشرات السنين ، ثم تجيء امٌّ عقلاً جباراً يميل الى نظم الحقائق في نمط جديد فيختار حقيقة من هنا وعنصراً من هناك ثم يركبها معاً — واذا نحن امام اكتشاف جديد او اختراع طريف او فن مستحدث ! فتلك الآلة الجديدة الى اجزائها فلا ترى فيها سوى اجزاء معروفة مشهورة . ولكن ركبها معاً كما ركبها المخترع واذا أنت امام آلة جديدة تنتج نتائج جديدة — وهذا هو سر الاختراع . كل هذا ينطبق على الجهاز الذي عرضهُ مركوني على بريس

وفي نهاية سنة ١٨٩٧ كان مركوني قد فاز بارسال اشارات لاسلكية مسافة عشرة أميال والتقاطها . مع أن ارسالها مسافة نصف ميل كان من وراء تصور المهندسين الكهربائيين كما قال برايس بعدئذٍ في حديث لهُ عن نشأة اللاسلكي . ولا ريب في ان بريس جدير بالذكر في تنشيط اللاسلكي وهو في مهده ، لانهُ حمل مصلحة البريد البريطانية على تمهيد سبيل التجارب لمركوني وأعوانه . فأقبل الماليون على الاختراع الجديد فتألفت شركة جعل خيرها السر اميروز فلنتج وابتاعت من السر الفر لودج امتيازاته في ضبط « دوزنة » الآلات اللاسلكية وهكذا مهدت الطريق للتجربة الفاصلة في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠١

دير سانت كاترين

بطور سينا [1]

للمستر رابينو

قنصل انكلترا الجنرال في مصر

١ — تاريخ الدير — الرهبان

لشبه جزيرة طورسينا شأن كبير في تاريخ العالم الديني . وسنستثني من بحثنا هذا عبادة القمر ونشر لوحات الوصايا العشر ، فان هذين الموضوعين كانا محل دراسات عدة

كان الطريق الذي يربط فلسطين بمصر يخترق الجزء الشمالي من شبه الجزيرة . اما الجزء الجنوبي فقد كان مشهوراً بمناجم الفيروز على الخصوص . وهو اقليم مجدب جبلي ولاسيما في الجنوب حيث توجد قمم سربال Serbal (٢٠٥٧ م) وجبل موسى (٢٢٤٢ م) وجبل اكاترينا Ekaterini (٢٥٩٧ م) ورأس صفصاف (١٩٩٢ م) . وفي الجزء الجنوبي جبل تبت Tbebet (٢٤٠١م) وجبل ام شوس (٢٥٧٤م) وجبل ام اسود (٢٥٠٨م) . وجميعها من اشد البقاع وعورة

اما جبل موسى فيقال انهُ المكان الذي اصدر الله فيهِ الى موسى الوصايا العشر وان كان بعض الكتاب يرى ان هذا المكان هو رأس صفصاف . واما جبل اكاترينا فهو اكثر الجبال ارتفاعاً في شبه الجزيرة ويقال انهُ هو الذي حملت اليهِ الملائكة جثمان العذراء الشهيدة القديسة كاترين . وقد تلاشت منذ حقبة طويلة من الزمن اشجار الأثل tamaris وحراج النخيل التي كانت تكسو جانباً من وديان طورسينا

اما معابد وادي مغارة وسرابيت Serapit فقد اسهب الكتاب في وصفها . ثم ان في الجبل كتابات كثيرة فرعونية وعلى ذلك فلن نعرض في هذا البحث لاقامة بني اسرائيل في طورسينا ولا لإقامة الاقباط ، فكتابات هؤلاء تكاد تكون موجودة في الوديان في كل مكان ولاسيما في وادي مغطب

والنساك هم الذين أكسبوا هذا الاقليم شهرة طوال العصور المسيحية ، فقد لجأوا اليهِ على أثر اضطهاد الحكام الرومان اياهم ، لما يمتاز بهِ من العزلة والوحشة فأقاموا في جبال شبه الجزيرة

(١) نقلها الى العربية محمد وهبي افندي أحد خريجي معهد الآثار الاسلامية

الجنوبية حيث كانت عيون الماء وبجاريها وكان في الامكان زراعة الحبوب والخضر وأشجار الفواكه

وكان أول ناسك هو القديس اونوفريوس Onophrius الذي التجأ الى مغارة في وادي ليان Leyan جنوبي جبل موسى في بداية القرن الرابع ثم جاء بعده كثير من النساك الذين خلفوا آثاراً في كل مكان وسرعان ما تكونت مراكز في كل منها برج يلجأ اليه النساك ساعة الخطر. ومن هذه الابراج برج بالقرب من ريثو Raithou وقد اندمج فيما بعد في دير القديس يوحنا ، وبرج مهدم في اربين Arbain وكان هناك برج آخر في موضع العليقة المتوقدة[1] Buisson-Ardent على مقربة من المكان الذي قام فيه دير سانت كاترين الحالي ويقال ان الامبراطورة سانت هيلين بنت هذا البرج حوالي سنة ٣٣٧

وان طورسينا لتنبة جداً في تاريخ القديسين والشهداء فقد قتل صيد البجة[2] والعرب كثيراً من النساك وكان الرهبان عرضة دائماً لغارات الاعراب فتوسلوا الى الامبراطور يوستنيانوس ان يبني لهم ديراً يجدون فيه مأمناً فأجاب سؤلهم وحقق رجاءهم واخذ الدير على مدى الزمن يكتسب الشهرة فلما نقل اليه جثمان القديسة كاترين علت شهرته فأمّهُ الحجاج والفرسان المسيحيون منذ البداية حتى القرن الخامس عشر الذي انفصل فيه الرهبان عن روما فصار الدير من ذلك الوقت مقصد بعض الحجاج اللاتين وكثير من الحجاج الارثوذكس وبعض السياح والعلماء . وسيكون هذا الدير موضوع حديثنا في الصفحات الآتية :

لما توسل رجال الدين المشتتون على جبال طورسيناء وفي وديانه الى الامبراطور يوستنيانوس أمر ببناء دير محصن كما قدمنا على قمة الجبل الذي يوجد في سفحه المكان المعروف باسم العليقة المتوقدة أو المشتعلة غير ان مندوب الامبراطور آثر أن يبنيه عند سفح الجبل بالنظر الى الجو وضيق المساحة وانعدام الماء ، ويقال إنهُ قتل بسبب هذه المخالفة

وأرسل الامبراطور في الوقت عينه الى طورسينا مائة من عبيد اقليم ولاخيا Wallachie

---

(١) Buisson-Ardent وأصل هذه التسمية ظهور الله عز وجل لموسى وسط نبات من الشوك المتوقد جاء عنه في الاصحاح الثالث من سفر الخروج : « وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب . وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق فقال موسى أميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة . فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى! فقال هانذا . فقال لا تقترب الى ههنا . اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » وقد جاء في القرآن الكريم في سورة طه « وهل أتاك حديث موسى ، اذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتيها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » (٢) ذكر شفيق باشا في كتابه « مذكرات عن زيارة الى دير طورسينا » ص ١١ أن من سلالة صيد البجة البشاريين سكان شرقي أسوان وبلاد النوبة في أيامنا هذه ، وكان صيد البجة يجيئون الى سيناء للنزو من صحراء مصر الشرقية

وعائلة أخرى من مصر مع نسائهم وأولادهم للقيام بحماية الرهبان وخدمة الدير . ولا يزال خلف أولئك العبيد يخدمون الدير وهم مسلمون ويقوم الرهبان باطعامهم

وقد كان البابا غوريغوريوس الكبير (٥٩٢ — ٦٠٤) أحد الذين أحسنوا الى الدير وروى حاج إلى الدير سنة ١٣٤١ أن الرهبان كانوا يحتفلون بذكرى ذلك البابا احتفالاً خاصاً

وقد اعترف الرهبان بسيادة البابا حتى أواسط القرن الخامس عشر ثم اعتنقوا عقيدة فوتيوس Photius الذي انشق على الكنيسة ومع ذلك فقد ظلوا يعشون منهم من جميع أمم التبرعات من البلاد الكاثوليكية والتبرعات السنوية التي كان يجود بها لويس الحادي عشر ملك فرنسا وإزابلا ملكة أسبانيا (١٤٨١ — ١٥٠٤) والامبراطور كسيليان الأول (١٤٩٣ — ١٥١٧)

وقد قاسى الدير كثيراً على أيدي العرب الذين لم ترددهم الفرمانات السلطانية العديدة التي أوجبت عدم التعرض للأرواح والاموال بسوء، فاضطر الرهبان مرات عديدة الى أن يهجروه ويلتجئوا الى الطور Tor أو إلى مصر. ولذا كان الدير خالياً عند زيارة جان توخر Jean Tucher من مدينة نورمبرج سنة ١٤٧٩ . وطرد العرب الرهبان من الدير سنة ١٥١٦ اثناء الحرب بين الاتراك والمماليك . وكان الدير مغلقاً مدة أربع سنوات أو خمس في منتصف القرن السادس عشر ثم كان مغلقاً ايضاً في سنة ١٥٦٥ وفي سنة ١٦٠٠، كما كان مغلقاً كذلك في سنة ١٦١٨ وهي السنة التي انتخب فيها ايوزاف Iosaph مطراناً في طورسينا وأمر بفتحه ، غير أنهُ اغلق ثانية بعد اربع عشرة سنة وكذلك كان بين سنتي ١٦٥٦ و ١٦٦٠ وبين سنتي ١٧٣٩ و ١٧٣٣ وأثناء الحملة الفرنسية على مصر حتى أمر كليبر بناء السور. واختلف عدد الرهبان كثيراً باختلاف الازمنة ففي سنة ١٠٠٠ كان مائتين وفي سنة ١٣٣٦ وجد فيه بيتر رودلف Peter-Rudolf وأصله من مدينة زوخن نيفاً وار بعمائة ، مع مطرانهم وعدداً من الاحباز. وروى فريسكوبالدي Prescobaldi ورفقاؤه أنهُ كان بالدير سنة ١٣٨٤ مائتا راهب منهم ١٥٠ بالدير الكبير والبقية موزعون على كنائس الجبل العشرة . وكانوا ٢٨ سنة ١٣٩٣ وفي سنة ١٣٩٥ وجد نيقولا دي مارتوني Nicolas de Marton ٢٤٠ راهباً ، غير ان بيرو طافور Pero Tafur لم يجد سنة ١٤٣٥ الا ٥٠ او ٦٠ راهباً وكان الدير يجتاز حينئذٍ ازمة شديدة . اما فيلكس فابر Félix Fabre الذي زار الدير ١٤٩٤ فلم ير الا ثلاثين راهباً ويظهر انهُ كان بالدير في القرن السابع عشر بين الستين والثمانين راهباً

ورعاكن لتأسيس ادبرة عدة بالقسطنطينية وقبرص وكريت وبلغراد وبوخارست وجاسي وانشا تأثير كبير في عدد رجال الدين المقيمين بسانت كاترين فلم يعد هناك مئات من الرهبان كما كان يجد زوار العصر الوسيط. ففي سنة ١٧٠٠ لم يجد بونسيه Poncet غير خمسين ومثله فولني Volney عند زيارته للدير سنة ١٧٩٣ . ثم كان العدد ٢٨ سنة ١٨٠٠ منهم ستة من رجال الدين

دير سانت كاترين بطورسينا

واثنان وعشرون من الرهبان. ثم كان ٢٣ سنة ١٨١٦ عند زيارة بوركهاردت Burchardt ولم يزدد الرهبان حتى يومنا هذا فقد احصى ولستد Wellsted ٢١ راهباً وفون شوبرت Von Schubert ٢٦، ولم يجد روبنسن Robinson غير ٢٠ . ووجد لبسوس Lepsius سنة ١٨٤٥ خمسة وعشرين منهم اربعة قسس وواحد وعشرون راهباً . وأحصى ايبرس Ebers سنة ١٨٧١ ثمانية وعشرين . وكانوا عشرين سنة ١٩٠٥ ولم يزد عددهم من ذلك الحين الا قليلاً وفي دير سانت كاترين عدا المطران خمسة قسوس وشماس واحد وأربعة رهبان مبتدئين وثمانية من خدام الرهبنة غير مترهبين. ومجموع الرهبان المتنين الى الدير ٤٩ والى القارىء بياناً مفصلاً :

محل الاقامة	رؤساء الاساقفة	قسوس	شمامسة	رهبان جدد	خدام من غير المترهبين	الجملة
سنت كاترين بطور سينا	١	٥	١	٤	٨	١٩
فاران Faran					١	١
الطور		١	١	١	٢	٥
السويس			١			١
القاهرة		٤		١	١	٦
اسمره		١				١
طرابلس الشام		١				١
قبرص — كيرينيا Kirinia		٢				٢
— بافوس Paphos		١				١
ريزو كارباسو Rizo Karpasso		١				١
كريت — قندية Candie		٢				٢
— لاكانيه La Canée		٢				٢
مساره Messara			١			١
سبليوتيسا Spileotissa		١				١
زانته Zante		١				١
خيو Chio		١				١
يانينا Janina		١				١
القسطنطينية		١				١
اثينا			١			١
الجملة	١	٣٥	٥	٦	١٢	٤٩

ويقيم المطران بالدير الا اذا كان وجوده بالقاهرة ضرورياً فيما يتعلق بأعمال الطائفة وهو يدير الدير يساعده المجمع المقدس Saint Synaxis الذي يتكون من النائب وأمين الصندوق وأمين الخازن

وإذا غيب المطران حل محله النائب والرهبان اجمعين — ماعدا المبتدئين — حق انتخاب الرئيس ويجري الانتخاب بدير سانت كاترين بطورسينا ويقوم النائبون بتوكيل من ينوب عنهم في الانتخاب . وتنقل الرهبان من وظيفة الى اخرى او من دير الى آخر من اختصاص للمطران والمجمع المقدس . وتستطيع الطائفة ان تقرر عزل المطران غير انه يمكنه ان يستأنف قراراها امام بطريرك بيت المقدس

***

واسقفية طورسينا كنيسة مستقلة استقلالاً ذاتيًا وفي مرتبة اسقفيات كريت وتشكوسلوفكيا واستونيا وفنلندا . المطران يرسمهُ بطريرك بيت المقدس . وهذا دليل على أن دير طورسينا تابع لكنيسة بيت المقدس . وكانت الطائفة قبل الحرب على جانب كبير من الغنى فكانت تملك ريعاً قدره ثمانية آلاف من الجنيهات المصرية غير ان ممتلكاتها في رومانيا قد صودرت وكان ضمنها سيتايا Siuaia وهو قصر المصيف الملكي في وقتنا الحاضر . وكذلك صادرت رومانيا املاكها في بسارابيا عند ماضم هذا الاقليم الى رومانيا . وبيعت املاكها في الصرب اثناء الحرب . كما ان البلدة ذات الايراد التي انشأتها في خيف Chiv بثمن بعض ممتلكاتها الزراعية بالقرب من هذه البلدة صودرت قبل ان يتمكن الدير من استغلالها اي استغلال مع انها كلفتهُ ستين الفاً من الجنيهات . وكذلك ممتلكاتها في تفليس . ثم ان الحكومة التركية وضعت يدها على دير ازمير ولم يستطع الدير حتى اليوم ان يسترده فلم يبق للدير بعد ذلك من ممتلكات الاّ في قبرص وكريت وايرادها ضئيل . ثم ممتلكاتها في القاهرة وحداقتها وصوامعها في شبه جزيرة طورسينا

والتبرعات التي كان الدير يجمعها في البلاد المسيحية ذات المذهب الارثوذكسي تضاءلت فلم تعد تجدي واضطر الدير الى اهمالها

***

والرهبان يتبعون القواعد التي وضعها القديس يازيل ويحيون حياة الزهد والتقشف فلا يأكلون اللحم الاّ نادراً ولا يتناولونه في غرفة الطعام بتاتاً ولو كان اليوم عيد الفصح فانهم فيه يتغدون معكاً ثم يخرجون مساء الى الحديقة وهناك فقط يأكلون اللحم

ويتقاضى الراهب كل شهر لتراً من النبراب وجنيهين مصريين . ويستيقظ الرهبان جميعاً في الساعة الثانية والنصف صباحاً إذ يدق جرس صغير ثلاثاً وثلاثين دقة (سن المسيح) ثم يدق ناقوس كبير بعد خمس دقائق ٣٣ دقة مثلها ويرتل الرهبان في الكنيسة صلاة السحر في الساعة الرابعة ويدعون الى هذه الصلاة بالسيماندر (١)

ثم في الفترة بين عيد الفصح وعيد الصعود يقام القداس الكبير كل يوم في البازيليكا (الكاتدرائية) او في الكنائس الصغرى والقداس يقام في البازيليكا لمناسبة الاعياد الكبيرة وهي عيد الفصح وعيد سانت كاترين وعيد التجلي . اما في غير هذه الاعياد فيقام القداس الخافت أيام الآحاد والاربعاء والسبت . وفي الاعياد الصغرى يقام القداس الصغرى . ويقام القداس ايام الاربعاء في كنيسة العذراء المقدسة الواقعة اسفل المكتبة . وأيام السبت يقام في كنيسة الملفة المشتملة ، الموهوبة الى العذراء

اما يوم الاموات وايام السبت الخاصة بالصيام الكبير فيقوم قسيس بالقداس في المقبرة في كنيسة سان تريفون Saint Tryphon

ويتناول الرهبان بعد انتهاء القداس فنجاناً من القهوة التركية ثم يتوجهون الى أعمالهم . ويدعون جميعاً بالسيماندر السالف الذكر الى الفطور معاً في الساعة العاشرة والنصف وفي الساعة الثالثة بعد الظهر يدق الناقوس ثلاث دقات إيذاناً بصلاة الغروب ، ثم بعد الصلاة يقرع السيماندر ثلاث مرات أن قد حان موعد تناول العشاء فيتناوله الرهبان في حجراتهم

ويقرع السيماندر الحديدي بدل الخشبي في ايام السبت . اما ايام الاعياد فتدق ثمانية اجراس صغيرة إيذاناً ببدء القداس ، وهي الاجراس التي كانت روسيا قد اهدتها الى الدير منذ خمسين سنة تقريباً

***

ويحدثنا الشماس افرم Ephrem (١٦٥٠ م) عن بلاطة من الجرانيت تخرج اصواتاً معدنية مؤثرة جداً وكانت تقرع ايام الحداد (٢) ، واليوم يقرع الناقوس في هذه الاحوال . وحساب الزمن عند الرهبان يبدأ من غروب الشمس

[للمقال تتمة تتناول وصف الطريق من القاهرة الى الدير ثم وصف الدير ورسومه وشعائره وصوره وتخطيطه]

(١) السيماندر Symandre لوح من الخشب الصلب معلق من بنائيه وتصدر عنه اصوات منسجمة متلائمة حين يقرع بالمدق

(٢) B. Meistermann. Guide du Ni. au Jourdain par le Sinai et Pétra طبعة باريس ١٩٠٩ ص ١٣٢

صهٍ قبل طارق

فتحنا احد مجلدات المقتطف من دون تخيُّر فاذا هو المجلد الثاني والثلاثون الصادر سنة ١٩٠٧ فقلَّبنا صفحاته فاستوقفتنا صورة جبل طارق لكثرة ما يدور حواليه من شؤون سياسية وحربية دولية في هذه الايام فراجعنا ما كتب عنهُ فاذا هو فصل من رحلة للمرحوم الدكتور صرُّوف واذا مرآى الحصن واقترانهِ باسم طارق بن زياد قد حرَّك الخاطر الشعري فقال القصيدة التالية. ومن غرائب الاتفاق انها منشورة في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠٧ اي من ثلاثين سنة تماماً

ربة الشعر هل أتاكِ حديثٌ ... عن كماة الاعراب من قبل طارقْ
عن غزاة في القفر شبُّوا زمانَ الرو ... مُ والفرسُ يملكون المشارقْ
عرشَ كسرى ومصر والشام ثلّوا ... وجروا في الفتوح جريَ السوابقْ
حاول الروم صدَّهم فتصدى ... كل من في ولائهم غير صادقْ
من يهودٍ وصابئين وقبطٍ ... والنصارى[1] وكل خصمٍ مشاققْ
نصروا العرْب خفيةً وجهاراً ... لم يحاربْ للروم غير الاصادقْ

* * *

شيخ الروم قبل ذاك وجاروا ... هل أتاهم أن ليس للخلق خالقْ
واتاخ الفساد والقرس جاسوا ... بحرهُ خائضين حتى المخانقْ
وإذا الظلم والفساد اقاما ... نصب الحوض من حماة الحقائقْ

* * *

نصر الله أمةً إذ تولى ... امرها العادلون بين الخلائقْ
قام صدّيقها باصدق أمرٍ ... وتلاهُ الفاروق بالعدل فارقْ
وكماة في المكرمات تباروا ... وهم الاسد في صدور الفيالقْ
دوّخوا الارض وطّدوا الملك قاموا ... بفروض الكتاب تحت البارقْ
ثم عزُّوا والملك صار عضوضاً ... فاستكنُّوا كنهم في حدائقْ
وتباروا في البذخ فالظلم فالايغال في ما يعد للملك ماحقْ
شمس عدلٍ ضنّت شعوباً فلما ... كسفت فرّق الشعوب طرائقْ

(١) اي النصارى

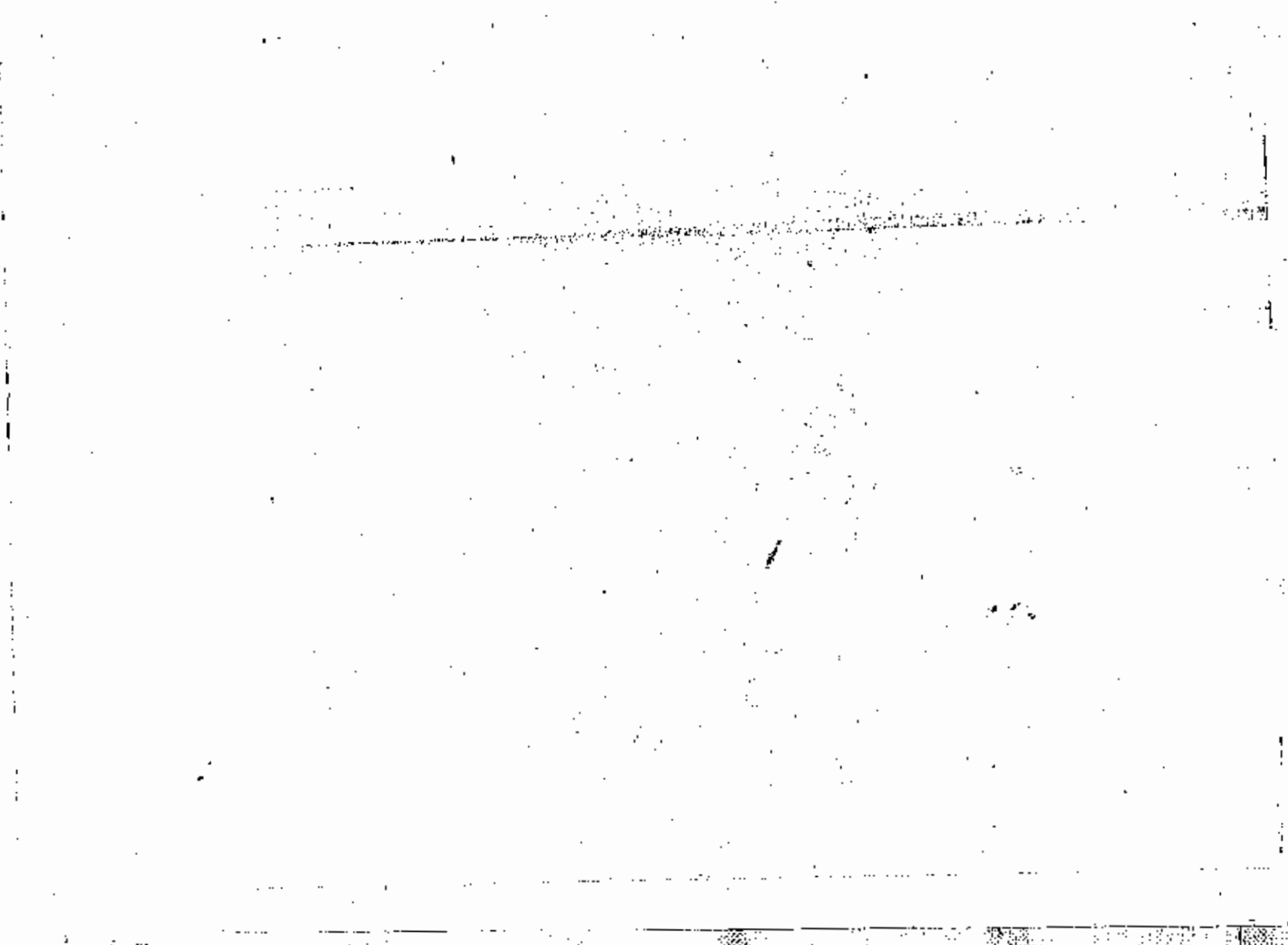

الفيلسوف رنيه ديكارت

René Descartes

ديكارت

١٥٩٦ — ١٦٥٠

يوسف كرم
أحد مدرّسي الفلسفة بالجامعة المصرية

تحتفل فرنسا هذا العام، وتحتفل معها المعاهد العلمية في انحاء العالم، باقتضاء ثلاثة قرون على نشر ديكارت كتابه الشهير «مقال في المنهج». ومنذ مفتتح العام وديكارت حديث العلماء والمثقفين في محاضرات عامة، ودروس خاصة، وبحوث تظهر في المجلات والجرائد. وقد بلغ الاحتفال اوجه بمؤتمر جامع عقد بباريس في غرة اغسطس الماضي أمّهُ العلماء والمثقفون من كل صوب ودام اسبوعاً كاملاً. ولاعجب ان تصيب هذه الذكرى مثل هذه العناية فان ديكارت عالم وفيلسوف من الطبقة الاولى لايختفي النظر في آثاره العلمية والفلسفية ولايفرغ الكلام عنهُ

ويزيد في مكانته أثره البالغ في الفكر الحديث. فقد كان العصر الحديث منذ « النهضة » يضطرب بميول جديدة ويستكشف علماً جديداً، كان ينفر من كل سلطان في العلم والفلسفة والدين، ويطلب للعقل استقلاله التام، ويحاول اقامة علم طريف قاعدتهُ الملاحظة والاختبار ليس غير، يريد به انتزاع اسرار الطبيعة للسيطرة عليها وتوجيه قواها، او توانيها، لزيادة رفاهية الانسان وتحقيق سعادته على وجه الارض. وكان يلتمس طريقه الى توضيح تلك الميول وتسويغها ليعارض المذهب القديم بمذهبه الجديد، والى تهذيب ذلك العلم وتوطيده ليقيم الدليل على صدق نزعته. فلما جاء ديكارت احسّ تلك الميول احساساً قويًّا، وفهم ذلك العلم فهماً تامًّا، وساهم فيه مساهمة خصبة، ثم وضع فلسفة تؤيّده وتحميه وترفع الميول الناشئة من مستوى الباطنة والارادة الغامضة الى مستوى العقل والحق والقانون، واعلن كل ذلك في الكتاب الذي احتفل به القوم هذا العام فكان الكتاب دستور العصر واستحق صاحبهُ أن يدعى « أبا الفلسفة الحديثة »

١ — عبائر ومصطلحات

ولد رينيه ديكارت سنة ١٥٩٦ في لاهاي من اعمال مقاطعة تورين بفرنسا . ولما بلغ الثامنة ادخل مدرسة «لافليش» للآباء اليسوعيين وكانت من أشهر المدارس في أوربا ، فمكث بها ثماني سنين حتى أتمّ برنامج الدراسة فيها . وكانت الفلسفة تحتل في هذا البرنامج مكاناً فسيحاً فتمتد على الثلاث سنوات الاخيرة من سنيه ، وكان تدريسها عبارة عن شرح كتب ارسطو موزعة الى مجموعات ثلاث ، لكل سنة مجموعة . كتب المنطق ، فكتب العلم الطبيعي (والى جانبها الرياضيات) فكتاب النفس وكتاب مابعد الطبيعة . وأعجب ديكارت بوضوح الرياضيات ودقتها وإحكام براهينها ، اما الفلسفة فتركت في نفسه أثراً سيئاً لكثرة ما فيها من أخذ ورد ، واعتقد ان اختلاف الفلاسفة مدعاة للشك في الفلسفة والشك في باقي العلوم . فان هذه العلوم قائمة على الفلسفة تستمد مبادئها منها . هذا ما نقرأ في « المقال » ولعل ديكارت يضيف الى عهد الشباب حكماً نضج عنده في الكهولة . على ان من المحقق انه أعلق بالرياضيات وانصرف عن الفلسفة ، ولم يعد اليها ، الا بعد مضي زمن طويل . فكان يخصص لها « ساعات في اليوم »

غادر اذن المدرسة وهو في السادسة عشرة . وبعد ذلك باربع سنين (١٦١٦) تقدم لامتحان القانون في بواتيه ونال الشهادة . وسنة (١٦١٨) تطوّع للخدمة في جيش الامير موريس دي ناسو بهولاندا ، وكانت حينذاك حليفة فرنسا على الاسبان . وعرف هناك طبيباً شاباً اسمهُ اسحق بكمان وكانا يشتغلان بمسائل رياضية وطبيعية رياضية وهذه مرحلة هامة في حياة ديكارت فان فكره تكوّن في الوقت الذي كان العلم الطبيعي الحديث يتكون فيه بتطبيق المنهج التجريبي والاستدلال الرياضي على الظواهر الطبيعية

وفي السنة التالية (١٦١٩) تُرك جيش الامير الى جيش آخر فآخر من جيوش الأمراء الالمان . وحلّ الشتاء وخلا بنفسه في حجرة دافئة في قرية مجاورة لمدينة أولم ، وبينما هو في ذلك خلاء لشوة علمية غريبة بلغت أقصاها في العاشر من نوفمبر اذا به يستكشف في حلم « أسس علم عجيب » . هذا الحلم يدلنا على شدة استغراق ديكارت في تفكيره ؟ أما العلم العجيب فقد تضاربت فيه الآراء وأغلب الظن ان المقصود «منهج كلي» ردَّ به العلوم جميعاً الى الوحدة ، ذلك المنهج الذي سيعلنهُ في « المقال »

وعدل عن المهنة العسكرية وراح يطوف أنحاء أوربا تسع سنين حتى جاء باريس سنة ١٦٢٨ . تسع سنين لم ينقطع في أثنائها عن معالجة المسائل الطبيعية بالطريقة الرياضية ، أي بتجريدها من المبادىء الفلسفية التي كانت لاصقة بها عند أرسطو والمدرسيين ، وردها الى مسائل رياضية .

والى هذا الدور يرجع استكشافه للهندسة التحليلية اي تطبيق الجبر على الهندسة . فقد كان الجبر كثير الصيغ معقدها ، وكانت الهندسة مقتصرة على النظر في الاشكال ، ولم يكن بين الطرفين صلة فبدا لديكارت ان الهندسة والحساب يقومان بالترتيب والقياس ، وان المطلوب من الجبر التعبير عن أعم قوانين الترتيب والقياس ، وان من الممكن وضع علم تكون صيغه أبسط من صيغ الحساب وأكثر تجريداً من أشكال الهندسة ، فتطبق على الاعداد والاشكال جميعاً اي على كل ما هو مرتب وقابل للقياس . فرمز بأحرف لخطوط الشكل الهندسي ، وعلاقات هذه الخطوط ، ومثل الشكل بمعادلة جبرية تعبر عن خصائصه الاساسية ، حتى اذا ما وضعت هذه المعادلة فيكفي استخراج نتائجها بالجبر لاستكشاف جميع الخصائص — والى ذلك الدور ايضاً يرجع كتابه « القواعد لتدبير العقل » وهو بمثابة منطق جديد مستمد من مناهج الرياضيين ، ولكن ديكارت لم يتمه فبقي مطويًا الى ان طبع بعد وفاته بنصف قرن (١٧٠١) . وفي باريس ظهر اهتمامه بالمسائل الفلسفية ولكن على نحو بتكر أعجب به الكرديتان دي بريل فشجعه تشجيعاً حارًا على مواصلة بحثه وتكميل مذهبه ، خدمة للدين وضدًا لهجمات الزنادقة

ولم ترقه الحياة في باريس فقصد الى هولاندا في أواخر سنة ١٦٢٨ يطلب العزلة . وكتب رسالة قصيرة في « وجود الله ووجود النفس » يرمي بها الى وضع أسس علم الطبيعي — وسنرى فيما بعد السبب في محاولته ربط العلم الطبيعي بالفلسفة ، وفي السنة التالية عاد للاشتغال بالطبيعيات وشرع في تحرير كتابه « العالم » وواصل العمل فيه الى سنة ١٦٣٣ . وفي تلك السنة أدان المجمع الكنسي غليليو لقوله بدوران الارض ، وكان ديكارت قد وصل من جهته الى مثل هذا القول فطوى كتابه — وكان شديد الحرص على هدوئه ، فلم يُنشر الكتاب الا بعد وفاته بسبع وعشرين سنة (١٦٧٧)

على انهُ رأى ان يمهد الطريق لمذهبه ويجس النبض ، فأذاع سنة ١٦٣٧ شيئاً من علمه الطبيعي في ثلاث رسائل قدّم لها برسالة يقص فيها تطوُّر فكره ، ويجمل مذهبه في الفلسفة والعلم . وكان العنوان الاصلي للكتاب برمته « مشروع علم كلي ، يرفع طبيعتنا الى أعلى كمالها ، يليه البصريات والآثار العلوية والهندسة ، حيث يفسر المؤلف اغرب ما استطاع اختياره من موضوعات تفسيراً يسهل فهمه حتى على الذين لم يتعلموا » . فاستبدل به هذا العنوان « مقال في المنهج لاجادة قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ، يليه البصريات والآثار العلوية والهندسة ، وهي تطبيقات لهذا المنهج » ويبين لنا من ذلك أن الوحدة قد تمت في فكر ديكارت بين الفلسفة والعلم الطبيعي الرياضي والغاية المرجوة منهُ وهي « رفع طبيعتنا الى اعلى كمالها »

وأراد ان يعرض مذهبه على اللاهوتيين باللاتينية بعد ان عرضهُ على عامة المثقفين بالفرنسية فعاد الى ما في « المقال » من آراء فلسفية فتوسع في شرحها وتأييدها فكان لهُ من ذلك كتاب اسماه « التأملات في الفلسفة الاولى ، وفيها البرهان على وجود الله وخلود النفس » . وقبل تقديمها للطبع استطلع فيها رأي نفر من هؤلاء اللاهوتيين ليستدرك ما قد يأخذونهُ عليه فيهيء للكتاب قبولاً حسناً وينال رضى لاهوتيي السوربون ، فوضعوا عليها اعتراضات كثيرة ألحقها بالتأملات وعقب عليها بردوده ونشر الكل سنة ١٦٤١ . وفي الطبعة الثانية (١٦٤٢) قال في العنوان « تمايز النفس من الجسم » بدل « خلود النفس » على اعتبار ان النفس اذا كانت متمايزة من الجسم كانت خالدة . ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية سنة ١٦٤٧ بقلم الدوق دي لوين

وخطر لديكارت ان اجمع وسيلة لاذاعة فلسفته وعلمه الطبيعي ربما كانت تلخيصها في كتاب مدرسي سهل التناول ، فنشر سنة ١٦٤٤ باللاتينية (وكانت لغة العلم والتعليم في اوربا) كتاب « مبادىء الفلسفة » وحاول ان يحمل معلمي الشبان على تقريره في مدارسهم فيحل محل ارسطو فلم يجبوه الى رغبته . ونشرت للكتاب ترجمة فرنسية سنة ١٦٤٧ قدم لها المؤلف رسالته الى المترجم عرض فيها فلسفته عرضاً عاماً

ومن ذلك الحين مال الى الاخلاق ، وكتب فيها رسائل الى الاميرة اليصابات ابنة فريدريك ملك بوهيميا المعزول واللاجيء الى هولاندا . ثم وضع « رسالة في انفعالات النفس » وهي آخر مؤلفاته نشرت سنة ١٦٤٩

هذه الاقامة الطويلة في هولاندا تخللتها ثلاث رحلات قصيرة الى فرنسا (١٦٤٤ و١٦٤٧ و١٦٤٨) وخاتنات حادة بينهُ وبين بعض العلماء واللاهوتيين ونزاع عنيف بين الصارم ومؤيديه

وفي سنة ١٦٤٩ قصد الى استكهولم تلبيةً لدعوة كرستين ملكة السويد فتأثر بالبرد ، وساءت صحته ، وقضى في ١١ فبراير ١٦٥٠

***

٢ — الشك واليقين

لكل علم مبدأ ، فأين نلتمس المبدأ الذي تقيم عليه العلم ؟ ان عقلنا مشحون بأحكام ألفناها في عهد الطفولة ، او تلقناها من المعلمين قبل تمام النضوج والرشد . واذا نظرنا في العلوم ألفيناها تكونت وتضخمت شيئاً فشيئاً بمعاونة رجال مختلفين فجاءت كالثوب الملفق او البناء المرمم . فمن الضروري اذا اردنا ان نقرر شيئاً محققاً في العلوم ، ان نبدأ العمل من جديد فنطرح كل ما دخل

عقلنا من معارف ولشك في جميع طرق العلم واساليبه ، مثلنا مثل البناء يزيل الانقاض ، ويحفر الارض حتى يصل الى الصخر الذي يقيم عليه بناءه . والاساس الذي نريد الوصول اليه هو العقل مجرداً خالصاً ، فان العقل واحد في جميع الناس اذ انهُ الشيء الوحيد الذي يجعلنا اناسي ويميزنا من الحيوانات ، فهو متحقق بتمامه في كل انسان . وما منشأ تباين الآراء سوى تباين الطرق في استخدام العقل . ولسنا بحاجة الى التدليل على كذب آرائنا السابقة ليسوغ لنا اطراحها على هذا النحو ، بل يكفي ان نجد فيها اي سبب للشك اذ ليس الشك مقصوداً هنا لنفسه بل لامتحان معارفنا وقوانا العاقلة . ولسنا في حاجة كذلك الى استعراض تلك الآراء رأياً رأياً ، بل يكفي ان نستعرض المبادىء ، فان هدم الاساس يجرُّ وراءه هدم البناء

يقول ديكارت : اذن فانا اشك في الحواس لانها خدعتني احياناً ، ولعلها تخدعني دائماً ، وليس من الحكمة الاطمئنان الى من خدعنا ولو مرة واحدة — وانا اشك في استدلال العقل لان الناس يخطئون في استدلالاتهم ومنهم من يخطىء في ابسط موضوعات الهندسة ، فلعلي اخطىء دائماً في الاستدلال . ومن دواعي الشك ايضاً ان تمس الافكار تخطر لي في النوم واليقظة على السواء ، ولست اجد علامة محققة للتمييز بين الحالتين ، فلعل حياتي حلم متصل — ومما يزيد في ميلي الى الشك اني اجد في نفسي فكرة اله قدير يقال انهُ كلي الجودة وهو مع ذلك يسمح ان اخطىء احياناً ، فاذا كان سماحه هذا لا يتعارض مع جودته فقد لا يتعارض معها ان اخطىء دائماً . ولكن مالي ولله . فقد يكون هناك روح خبيث قدير يبذل قدرته ومهارته في خداعي فاخطىء في كل شيء حتى في ابسط الامور وأيسرها مثل ان اضلاع المربع اربعة وان اثنين وثلاثة تساوي خمسة

ولكني في هذه الحالة من الشك المطلق اجد شيئاً يقاوم الشك . ذلك اني اشك . فانا استطيع الشك في كل شيء ماخلا شكي . ولما كان الشك تفكيراً فأنا أفكر ، ولما كان التفكير وجوداً فأنا موجود : « أنا افكر إذن فأنا موجود » . تلك حقيقة مؤكدة واضحة جلية خرجت لي من ذات الفكر ، لها ميزة نادرة هي إني أدرك فيها الوجود والفكر متحدين اتحاداً لا ينفصم . ومهما يفعل الروح الخبيث فلن يستطيع أن يخدعني فيها ، لانهُ لا يستطيع أن يخدعني إلا ان يدعني أفكر . واذن فأنا اتخذها مبدأ أولاً للفلسفة . الفكر مبدأ لانهُ وجود معلوم قبل أي وجود ، وعلمه أوضح من علم اي وجود . هو معلوم بداهة ، ومهما فعل فنحن بفكرنا أعلم ، فمثلاً لو اعتقدت ان هناك أرضاً بسبب إني المسها وأبصرها فيجب أن اعتقد من باب أولى أن فكري موجود اذ قد « افكر » اني المس الارض دون أن يكون هناك أرض ، ولكن ليس من الممكن ألا أكون

في الوقت الذي افكر فيه — ثم أنا أتخذ هذه الحقيقة الاولى مبدأ لكل حقيقة ، فكل فكرة تعرض لي بمثل هذا الوضوح ومثل هذا الجلاء اعتبرها صادقة

على أن اطمئناني الى الجلاء والوضوح ما يزال مفتقراً الى التثبت ، فقد يكون خالقي صنعني بحيث اخطىء في كل ما يبدو لي بيناً ، او قد يكون سمح للروح الخبيث ان يخدعني دائماً . الحق انهُ بدون معرفة وجود الله وصدقه فلست ارى ان باستطاعتي التحقق من شيء البتة . أعود إذن الى فكرة الله ، التي كانت سبباً من اسباب الشك ، فأجد انها فكرة موجود كامل والكامل صادق لا يخدع ، فان الخداع نقص لا يتفق مع الكمال . وعلى ذلك فأنا واثق بأن الله صنع عقلي كفوءاً لادراك الحق ، وما عليّ إلاّ ان اتبين الأفكار الواضحة وصدق الله ضامن لوضوحها

سنعرض بعد هنيهة الأدلة على وجود الله ونقدر قيمتها ، ونقف الآن عند هذه المراحل الثلاث الاولى من مراحل المنهج الديكارتي : الشك المطلق ، فوضوح الفكر ، فالضمان الالهي ، ونسأل : هل هذا المنهج سائغ؟ أما الشك الديكارتي فلسنا نوافق على انهُ فرضي منهجي . ولكي يكون الشك فرضيًّا منهجيًّا يجب ان يكون صوريًّا وجزئيًّا ، وديكارت يشك حقيقة وفي كل شيء ، أو هو يشك في كل شيء فيصبح شكه حقيقيًّا بالضرورة . انهُ يصرح ان « ليس هناك شيء إلا ويستطيع أن يشك فيه على نحو ما » ، فهو يشك في وجود الاجسام الخارجية وفي وجود جسمه وفي البراهين الرياضية والمبادىء العقلية ، فاذا ما أحس أن شك هذا الشك الكلي معارض لطبيعة العقل استعان بالارادة وقال : « أريد ان اعتبر كل ما في فكري وهماً وكذباً » واخذ على فكره الحاحاً عنيفاً ليحقق فيه حالة الشك الصحيح . فلو أنهُ تصور الشك على الامور غير البينة المفتقرة إلى برهان ، واستثنى المبادىء الاولية البينة في نفسها ، لامكنهُ الاستناد الى هذه المبادىء للخروج الى اليقين ، ولكنهُ يشك في العقل ذاته فشكهُ كلي حقيقي يمتنع الخروج منهُ . أما مبدؤه « أنا أفكر إذن فأنا موجود » فليس بمجديه شيئاً للخلاص من مأزقه ، فأنا قد نستوثق من فكرنا — ورأي شاك شك في فكره ؟ — ثم لا نستوثق من شيء آخر على الاطلاق . لأن الروح الخبيث ما يزال ظله محتفاً فوق رؤوسنا ينشر الظلام على الافكار الواضحة الجلية ويشككنا فيها ، فلئن فاتهُ خداعنا في وجود الفكر فان سلطانهُ باقٍ بتمامه على « موضوعات » الفكر فيمتنع التقدُّم خطوة واحدة . وليس صدق الله يغني شيئاً في طرد الروح الخبيث لأن فرض هذا الروح سابق معرفتنا الله فيجب الشك في هذه المعرفة ذاتها ، وديكارت لا يخرج من شكه الا بدور واضح : فمن جهة يجب البرهنة على وجود الله الاستناد الى العقل والافكار الواضحة كوسائل لا تخدع ، ومن جهة أخرى لاجل التحقق من أن العقل والافكار الواضحة لا تخدع

يجب العلم أولاً بوجود الله . فالواقع أن المنطق كان يقضي على ديكارت أن يظل على شكه يردد طول حياته : « أنا أفكر وانا موجود » ، مثله مثل ذلك الشاك اليوناني الذي عدل عن الكلام مخافة الاضطراب للايجاب والسلب فكان يكتفي بتحريك أصبعه . ولكن ديكارت لا يرضى بهذا الموقف ، وكما « أراد » الشك كلياً فهو « يريد » الوصول إلى اليقين وضمان العلم مهما يكن من امر المنطق

***

٣ — التصور والوجود

والمسألة بعد اكثر تعقيداً ، فان الشك المطلق ينطوي على تصورية مطلقة هي روح المذهب ونقطته المركزية . ذلك ان التصور عند ديكارت تصور بحت لا ادراك شيء واقعي ، والفكر عنده لا يدرك ادراكاً مباشراً غير نفسه ، والا لما امكن الشك في العالم الخارجي . فديكارت اذ يأبى ان يقبل شيئاً دون الفكر ، واذ يشك في موضوعات الفكر فيؤمن بتفكيره في السماء والارض ويشك في وجودهما ، يفصل بين ما لافكارنا من وجه ذاتي وما لها من وجه موضوعي ، ومن ثم يفصل بين الفكر والوجود فصلاً تاماً . ومتى كان الفصل تاماً لزم انه نهائي واستحال ادراك اي وجود خارجي كما سنرى

واذا سألت ديكارت عن علة الافكار اجاب : قد اكون انا تلك العلة ، اذ ليس من الضروري ان تصدر الافكار عن اشياء شبيهة بها ، بل قد تصدر عن علة حاصلة بالذات على الكمال المثل فيها ، او حاصلة عليه على نحو اسمى ، وأنا حاصل على الفكر بالذات وعلى حقائق الاجسام على نحو اسمى لان الجسم دون الفكر ، فالافكار صادرة عني

ومع ذلك سيطلب لها ديكارت اصولاً خارجية يجعلها موضوع العلم الطبيعي ، وسيتخذ سبيلاً الى ذلك وجود الله وصدقه ايضاً

اذن فأمامنا مسألتان : هل افكارنا صادقة ؟ وهل لها موضوع في الخارج ؟ وديكارت يقدم الاولى على الثانية ، كما يقتضي مبدؤه التصوري . يقول : « قبل ان افحص عما اذا كان هناك اشياء خارجية يجب ان انظر في افكاري من حيث هي كذلك ، وان اتبين ايها واضح وايها غامض » . فالفكرة الصادقة ، اي الواضحة ، هي التي يقابلها موضوع ، اما الفكرة الغامضة فاتصال ذاتي . وهذا يعني ان العالم الخارجي لا يُعلم الا بعد افكاري وعلى مثالها ، وان الحقيقة (اي الوضوح) سابقة في علمي على الوجود ، وانها جسر بين الفكر المعلوم اولاً والاشياء المعلومة

بعده وتبعاً له — وهذا هو المذهب التصوري (ايديالزم) ابتدعهُ ديكارت وتابعهُ فيه الفلاسفة المحدثون فوقعوا في اشكالات لاتحصى. وظن ديكارت ان صدق الله يحل المسألتين، ويرد للمعرفة الانسانية قيمتها ، والواقع انهُ يهدمها هدماً . اذ لو كان لدينا وسيلة « طبيعية » للمعرفة الحقة لما افتقرنا لضمان خارجي، ولو كانت قوانا العالية تؤدي وظيفتها كالواجب، وتمضي بالطبع الى الحقيقة، لحملت في نفسها علامة صدقها ، ولما لنا ذلك قبل الالتجاء الى الضمان الالهي

اما افتقارنا الى ضمان خارج عن العقل والحواس فأدعى الى الشك في الله وحكمه وجودته منهُ الى القول بوجود الله

***

ولتمييز بين الصادق والكاذب من الافكار ، تمهيداً للخروج من التصور الى الوجود ، يصنف ديكارت الافكار في طوائف ثلاث : افكار حادثة او اتفاقية ، هي التي يلوح لنا انها آتية من خارج ، اي التي تقوم في الفكر بمناسبة الحركات الواردة على الحواس من الخارج ، كاللون والصوت والطعم والرائحة والحرارة ، وهي غامضة مختلطة . وافكار مصطنعة ، هي التي تركبها من افكار الطائفة الاولى ، كصورة فرس ذي جناحين، او صورة حيوان نصفهُ انسان ونصفهُ فرس وما شاكل ذلك. واخيراً افكار فطرية ليست مستفادة من الاشياء ولا مركبة بالارادة ، ولكن النفس تستنبطها من ذاتها ، تمتاز بأنها واضحة جلية بسيطة اولية ، وهي التي تؤلف الحياة العقلية بمعناها الصحيح ، كفكرة الله والنفس والامتداد واشكاله والحركة وانواعها والعدد والزمان وغيرها . وقد سئل ديكارت في هذه الافكار فقال انهُ يقصد بكونها فطرية ان فينا قوة تحدثها ، وبكونها طبيعية انها في النفس على نحو ما نقول ان السخاء او ان مرضاً ما طبيعي في بعض الاسر . وقال انها ليست مرتسمة في العقل كأبيات الشعر في الديوان ولكنها بالقوة فيه كالاشكال في الشمع ، وانها في عقل الطفل على نحو ما هي في عقل الراشد حين لا يفكر فيها

ويعود الى علة الافكار فيقول ان افكار الطائفة الاولى والثانية لاتتطلب علة غير النفس فانها عبارة عن اتصال النفس بالمؤثرات الخارجية وتركيب الاتصالات بعضها مع بعض اما الافكار الفطرية فانها تمثل « طبائع بسيطة وحقائق موضوعية » فمن الخطأ الظن ان العقل علتها الكافية. العقل علة كافية للفكرة من حيث هي فعل نفسي، لا من حيث هي تتضمن كذا او كذا من الحقيقة الموضوعية . وعلى ذلك يجب استعراض الافكار الفطرية والنظر في هل تفسر بالفكر وحده او تقتضي علة خارجية . ذلك سبيلنا للتخلص من التصور الى الوجود

[تتمة البحث تتناول : الله والحقيقة — الانسان والعالم — تتبع للمقتطف]

القفر المورق

او نواحٍ عجيبة من تطبيق المباحث الطبيعية على الزراعة الحديثة

الحقل مثل تستعمل فيه طاقة الشمس لتوليد جزيئات معقدة التركيب من جزيئات رخيصة الثمن بسيطة التركيب . اي انهُ مكان تُخزن فيه طاقة الشمس لاستعمالها عند ما تدعو الحاجة اليها في المستقبل . فالزراعة عمل كيماوي وطبيعي في آن . وليس ينكر احد ما اسداه علماء الكيمياء من الخدمة الى الزراعة . اما علم الطبيعة فقد ازف الوقت الذي يستعان به على حلّ مشكلات الزرّاع

ان الزراعة وهي اكبر أعمال الانسان واوسعها نطاقاً واهمها شأناً لا تزال عند المقابلة بغيرها من شؤون العمران ، في الدور الذي كانت فيه المواصلات البحرية تعتمد على السفن الشراعية . ان معيشة اثني مليون من الناس وهن نتاج الارض ورزق ثلثهم يعود الى العمل فيها ، ولكن الزراعة ما تزال متقهقرة بالقياس الى ما اصاب الصناعات المختلفة ، فدخلها غير مستقرّ وربحها يسير غير مضمون . وقد كتب العالم الاميركي جورج هربسن في مجلة اتلنتك الشهرية وعليه تعتمد ، ان فداناً يدرّ ستة عشر جنيهاً في السنة يحسب كثيراً من الذهب واما الدخل المتوسط فلا يتعدى ثلاثة جنيهات الاّ قليلاً . وادهى من ذلك ، أن الفلاح بعد ما يقضي ساعات متعددة كل يوم هو وافراد اسرته في عمل شاق يبقى لهُ غلة — اذا لم تأكلهُ الصافير وتجرفهُ السيول وتسفيه الرياح او يذويه الجفاف — يقال لهُ ان سوقها انهارت لشدة الاقبال !

ولعلّ تأخر الزراعة في الاعتماد على الاساليب العلمية في ترقيتها ان الحاصلات الزراعية لا تزال تحسب هبة من هبات الطبيعة للانسان . ولكن اقل الاساليب تقنة ليس افضلها . فالرياح تهبُّ حرّة فوق البحار وليس على المرء ان يؤدي اتاوة لاستعمالها في دفع سفينة ما . الاّ انهُ خيرٌ للتاجر ان ينفق الفي جنيه في تجهيز سفينته بمحرك يديره النفط فتسير به من ليفربول الى نيويورك من ان ينفق ٣٠٠ جنيه فقط في تجهيزها بشراع وتركها لرحمة الرياح

إن الفلاح البدائي أخذ الثمر حيث وجده برّيًّا كما أن الملاّح الاول ترك نفسهُ لرحمة التيار ينقلهُ على جذعهِ الطافي حيث يشاء . فلما حفر الانسان الارض وبذر فيها البزر تعلم الملاّح أن يجدّف بلوح او عصاً . فلما استنبط الملاّح الشراع جاراهُ الفلاح بحفر خندق للري . ثم استدعى الملاّح العلم او اعتمد على ما استنبطهُ العلم فارتقى من الزورق البدائي الى « التورماندي » و « المفكة ماري » . اما الفلاح فلا يزال على الرغم من تقدم البحث العلمي الزراعي في العهد الاخير ، حيث كان زميلهُ الملاّح عندما استنبطت السفن البخارية في عهدها الاول

إن نموّ النبات يحتاج الى اربعة امور اساسية : الى الضوء والهواء والماء ومقدار يسير من بعض العناصر الكيماوية كالفوسفور والقصفور والكبريت والبلكون وغيرها . يأخذ النبات من الهواء اهم المواد التي يحتاج اليها في نموهِ . ولما كانت التفاعلات الكيماوية في خلاياهُ لا تتم الاّ والمواد محلولة ، فهو يحتاج الى الماء فيتناولهُ من الارض . ثم الى الضوء يجهزه بالطاقة لفصل ذرات الكربون من حامضهِ . ومن ذرات الكربون والايدروجين والاكسجين يصنع المواد النشوية والسكرية وهي تجهز الانسان بأعظم مصادر الطاقة التي يستعملها . وعلاوة على المواد النشوية والسكرية يصنع النبات مادة السلولوس فيحرقها الانسان وقوداً ويقطها الواحاً من الخشب ويلبسها قطناً أو حريراً طبيعيًّا او صناعيًّا

والكيماوي لا يتدخل في هذا العمل الخطير الاّ عندما يجهز النبات ببعض العناصر التي يحتاج اليها باضافتها الى الارض سماداً طبيعيًّا او صناعيًّا . ولكن مشكلات الزراعة الخطيرة إذا صرفنا النظر عن مشكلة خصب التربة ، هي مشكلات نمتْ الى علم الطبيعة وفروعهِ بأوثق صلة وفي مقدمتها السيطرة على الحرارة والضوء وتقليب التربة وغيرها وتأثيرها في النماء والإثمار

وقد فطنت بعض الجامعات والمعاهد الاميركية الى ذلك فعهدت الى بعض علماء الطبيعة في تخصيص وقتهم للبحث في هذه المسائل دون غيرها . بل ان الحاجة تقتضي اكثر من ذلك . فدخل الولايات المتحدة الزراعي بلغ الف مليون جنيه سنة ١٩٣٥ وبحث الوسائل التي تحسن أساليب الزراعة وتزيد غلالها يساوي على الاقل البحث في زيادة مدى المخاطبات التليفونية مثلاً من حيث خطر الشأن

اذا شئتَ ان تفوز بكرز نضرٍ في بلدٍ ما في غير أوانهِ كشهر فبراير فعليك ان تعتمد على احدى وسائل ثلاث . اما ان تنقلهُ اليك من بلاد يكون فيها الكرز ناضجاً في فبراير كاستراليا والارجنتين . وهذا يقتضي تحسيناً في اسباب المواصلات لكي تقصر المسافة بين اوستراليا أو الارجنتين والبلد الذي تقطنهُ ، واتقاناً في وسائل حفظه حتى يتم نقله . واما ان يجنى الكرز حيث يجود شجرهُ ويحفظ بطريقة من طرق حفظ الفاكهة حتى شهر فبراير . واما ان تعالج شجر

الكرز بطريقة علمية تجعل ثمره ينضج في فبراير لان الجو الذي يحيط به في فبراير وما قبله كالجو الذي يحيط به عند أوان نضجه المألوف . وهذه الوسائل الثلاث في دور التقدم الفعال ويعتمد عليها مجتمعة أحياناً . وانما مجال الحاجة في تحقيقها الى طاقة رخيصة تمكن الفلاح من انتاج محصول يستطيع ان يبيعه بسعر وافٍ وربح معقول

وقد ادركت بعض البلدان هذه الحقيقة فوفرت الطاقة الكهربائية للفلاح . ففي سويسرا ٨٨ في المائة من مزارعها مجهزة بالطاقة الكهربائية وفي السويد ٥٠ في المائة منها وفي انكلترا تستعمل الطاقة الكهربائية في المزارع في ستين غرضاً منوعاً . اما هولاندة فقد أخذت تتصرف عن استعمال الطاقة التي تولدها الطواحين الهوائية الى استعمال المحركات الكهربائية وباستعمال هذه الطاقة تمكن الزرّاع الهولنديون من ان يستغنوا عن تقلب الريح والطقس فاخذوا ينتجون الخضروات والازهار المطلوبة في السوق الانكليزية في المواعيد المبكرة التي تطلب فيها . فكادوا يحتكرون هذه السوق الآن لقربهم اليها . بعد ما كانت لايطاليا من قبلهم

اما استعمال الضوء الصناعي لاستعجال النضوج في الازهار والاثمار أو لتأخيره ، فمن أفضل الاساليب الزراعية التي أسفر عنها البحث الحديث . وانما يجب ان يرسخ في الذهن أن الضوء الصناعي لا يغني عن ضوء الشمس وانما هو يكمله ويتمم تأثيره . وذلك لسبب واضح وهو أن الاستعاضة عن ضوء الشمس يكلف نفقة كبيرة لا يقبل بالزراع ان يتحملوا عبئها . فاذا شئنا ان نولد ضوءاً كهربائياً يحل محل مايقع من ضوء الشمس على ذراع مربعة في الحقل كلفنا ذلك الضوء الكهربائي ستة ملمات في الساعة . وهذا يعني أننا اذا شئنا ان نعتاض من ضوء الشمس بمصباح كهربائي في حديقة مساحتها فدان كلفنا ذلك عشرين جنيهاً في اليوم . ولذلك يكون جل الاعتماد على الضوء الصناعي في أحوال معينة من الايام الغائمة والليالي ولاغراض خاصة

واول الاغراض التي يستعمل لها الضوء الصناعي الآن هو استعجال نضوج الازهار . فاذا كان زهر من الازهار لا يبلغ أوج إزدهاره الا في أواخر يناير وكان الناس يرغبون فيه خاصة لتزيين الدور به في حفلات عيد الميلاد او رأس السنة ، فاستعمال الضوء الصناعي استعمالاً صحيحاً يجعل تبكيره في حيز المستطاع . فالزنبق يمكن تبكيره شهراً كاملاً وزهر البسلة الحلوة خمسة اسابيع

وأغرب من ذلك ان ضرباً من ضروب البرسيم لا يثمر في الازهار قبل سنتين ولكن علماء سمدبويس طمسن تمكنوا من ايلاغه مرتبة الازهار في نحو ثلاثة اشهر وذلك باستعمال الضوء الصناعي . والظاهر ان تبكير الازهار بالضوء خير من تبكيره باساليب اخرى لان التبكير باستعمال الضوء الصناعي لا يصحبه اي تغيّر في اللون او الشذا في الازهار ولا في اللون والطعم في الاثمار

من النباتات ما يزكو اذا طالت مدة تعرضه للشمس في يوم واحد ومنها ما يزكو اذا قصرت مدة التعرض . فالسلسان « الكريزانثم » الذي يتفتح قبل ميعاد الطلب عليه في سوق الازهار يمكن تأخير نموه وإبطاء إزهاره بتعريضه مدة طويلة للضوء فاذا كان ضوء الشمس محجوباً عرض لضوء المصباح الكهربائي . ويمكن ان يقال بوجه عام ان النباتات التي تزهر في الصيف تؤثر طول التعرض للضوء والتي تزهر في الربيع والخريف تفضل الاعتدال والتي تزهر على مدار السنة تفضل قليلاً من الظل يتخلل التعرض للضوء

واستعمال الضوء بحكمة وإحكام يجعل الازهار والاثمار أزهى مما تكون عادة . ولكن هذا العمل يقتضي استعمال تدريج من الضوء ذلك لان المصابيح الكهربائية التي نستعملها في الدور لا تعدُّ شيئاً مذكوراً اذا وضعت جنباً الى جنب مع ضوء الشمس الباهر

وقد يستعمل الضوء المصفى ، اي الضوء الذي حجبت بعض أشعته . فمن النبات ما تؤذيه أمواج الحرارة في الطيف . وهذا الاكتشاف قد يفضي في المستقبل الى انشاء مستنبات لها كوى خاصة من الزجاج أو أي مادة شفافة فيحجب بها البستاني من الطيف الشمسي ما يشاء وفقاً لحاجة النبات الذي في الداخل

وكان الطبيعة عرفت ان الالوان المختلفة في ضوء الشمس لا تؤثر تأثيراً متساوياً في انماء النبات فجعلت ورق النبات أخضر الى الزرقة . وقد عني العلماء بدراسة امتصاص الخضير Chlorophyl لاشعة الضوء وقابلوا بين امتصاص الاوراق الحية والاوراق الذاوية مستعينين على ذلك بالمطياف Spectroscope فوجدوا ان أكثر الاشعة التي يمتصها النبات ويستخدمها هي الاشعة الحمراء

فقد أخذوا قسائل نبات واحد وغرسوها في أحوال مماثلة كل المماثل الا في لون الاشعة التي تتعرض لها فواحدة غمرت بضوء أزرق وأخرى بضوء أحمر وأخرى بأشعة ما تحت الاحمر وأخرى بأشعة ما فوق البنفسجي فوجدوا أولاً ان نباتات مختلفة متباينة في سلم الارتقاء العضوي تستجيب جميعاً لتأثير اختلاف الضوء فيها . ووجدوا كذلك ان الضوء الاصفر من مصباح منوهج incandescent يفوق تأثيره في نمو النبات تأثير الضوء الازرق من المصباح نفسه خمسين في المائة . وان تأثير الضوء الاصفر من مصباح بخار الصوديوم في النمو يفوق تأثير الضوء الازرق من مصباح القوس الزئبقي مرتين

بل يبدو للباحثين ان الضوء الازرق الصافي يميت النبات في حالة ان الاشعة التي فوق البنفسجي تؤذي خلايا النبات . ومن المشاهدات التي لم يفهم لها تفسير قبل اكتشاف هذه الحقيقة ان نباتاً واحداً يزكو في الاودية ولكنه يوجد ضيفاً على منحدرات الجبال العالية . وتفسير ذلك ان

الاشعة التي فوق البنفسجي اكثر على منحدرات الجبال العالية لان الهواء أنقى وأصفى فلا يمتصها كثيراً حالة انها اقل في الاودية لامتصاص الهواء لها . وقد اخذ نبات ايدلفيس edelweiss الذي ينمو ضعيفاً في جبال الالب السويسرية وزرع في الاودية بين الجبال فزكا زكاء عجيباً . ثم نقل الى مستنبت وعمر بضوء مزيج من الازرق والاشعة التي فوق البنفسجي فعاد ضعيفاً ممسوخاً كما هو على قنن الجبال

***

من الامور التي نظنها بديهية ان التربة اهم جانب في الحقل . ولكن التجارب الحديثة اثبتت ان التربة ليست مما لا يستغنى عنهُ في الزراعة . فقد تمكن فريق كبير من العلماء من بذر البذور في كشارة لا حياة فيها على ان تمس الآنية التي فيها النشارة في احواض تحتوي على ماء حلت فيهِ مواد كيماوية معينة . والغريب في هذا الضرب من الزراعة ان زكاء الغرس يفوق عشرة اضعاف الى عشرين ضعفاً زكاء النبات نفسه في اخصب التراب . وقد اشرنا الى هذا الضرب المستحدث من الزراعة في مقتطف فبراير الماضي ص ٢٤٥ اذ عددناهُ من اهم ما اسفر عنهُ ارتقاء « العلم في العام الماضي » اي سنة ١٩٣٦ وفي مقتطف ابريل ص ٤٨٢ ومما قلناهُ حينئذٍ ان نبات الطاطم بلغ عند زرعهِ في الماء اضعاف ما يبلغهُ من العلو عند زرعهِ في التراب حتى لقد اضطر قاطفو الثمر ان يستعملوا السلالم لقطف الثمر من اعاليه . وبلغ متوسط الحاصل من نبات يزرع في حوض من الماء مساحة سطحهِ فدان مائتين وسبعة عشر طناً ويقابل ذلك ان حاصل النبات نفسه المزروع في مساحته فدان من الارض خمسة اطنان فقط . اما حاصل البطاطس في الاحوال عينها تقريباً فبلغ ٢٤٦٥ جربياً (بشلاً) في مساحتهُ فدان من الماء مقابل ١١٦ جربياً في مساحتهُ فدان من الارض . وقد بلغ نبات التبغ ٢٢ قدماً من الارتفاع ومن هذا القبيل التلال التي جنيت من البنجر والجزر وغيرها

وقد ابتدع هذه الطريقة وقواعدها الدكتور جريك الاستاذ المساعد لفسيولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا بعد مباحث استغرقت السنوات السبع الاخيرة : واساسها كما تقدم استعمال الماء واضافة العناصر اللازمة لنمو النبات اليهِ ويحتفظ بحرارتهِ بسلك كهربائي وهو الغالب او بطرق أخرى

هذا الاتجاه الجديد ، قائم على ما عرف بالاختبار وهو ان التربة اذا نقد خصبها وجب ان تضاف اليها عناصر الخصب أما مهاداً طبيعيًّا واما مهاداً كيماويًّا . وهذا يعني ان عمل التربة في الاصل حفظ جذر النبات قائماً في مكانٍ معيَّن فلا تجرفهُ السيول ولا تذروه الرياح . الاّ ان

المواد الكيمياوية اللازمة للنمو التي تجهز بها التربة من قِبَل الطبيعة اثمن من ان يهمل شأنها وعلى ذلك فلا بدّ ان تبقى الزراعة في الحقول ذات مكانة عظيمة في حياة الناس

ولعلّ القارىء يستغرب اذا قلنا لهُ ان الطيّاف (السكتروسكوب) سيكون لهُ شأن كبير في تطبيق علم الطبيعة على الزراعة . ولكننا لسنا مغالين في ما نقول . ففي بعض انواع التربة تجمع احياناً مقادير يسيرة من عناصر معينة لازمة لنمو النبات نموًّا سويًّا . فيصاب بعض النبات بأمراض معينة اذا اعوزه عنصر البور في التربة مع ان ما يستنفده منهُ يسير جدًّا لا يقاس الاّ بأجزاء من الغرام . ثم انك تقع في بعض الحقول بمرب اميركا مثلاً ، على نبات قاس يؤثر في الحيوانات التي ترعاه فيسمّمها . وقد ثبت بالبحث ان تربة هذه الحقول يوزها الكبريت ويكثر فيها السليثيوم . وذرات العنصرين متشابهة من الناحية الكيمياوية . ومع ان النبات يستطيع ان يفرق بين ذرات العنصرين الاّ انهُ لا يملك نفسه عن امتصاص ذرات السليثيوم عندما لا يجد كفايتهُ من ذرات الكبريت . الاّ ان السليثيوم ضار بالحيوانات وهذا تفسير تسممها عندما تأكل النبات الذي يكثر فيه

فاذا شئت ان تعرف مثلاً المقدار النسبي من هذين العنصرين في تربة حقلك ، واعتمدت على اساليب الحل الكيمياوي العادية استغرق ذلك وقتاً طويلاً ونفقة كبيرة . ولكن ذرّتي الكبريت والسليثيوم تحدثان خطين مختلفين في الطيّاف فاستعماله في محطات زراعية تقام في مواقع معينة لا بدّ ان يصبح ضروريًّا وسائغاً في المستقبل

ومن هذا القبيل قوام التربة نفسها ، هل هي صلصالية متماسكة ، او رملية متخلخلة او غير ذلك لان الفلاحين يلجون بالتجريب أن بعض النبات يزكو في نوع من التربة دون غيرها . ولكن قد يملك الفلاح حقلاً فيه نوعان من التربة او ثلاثة انواع ، ويرمي بنظره فوق السياج الى حقل فيرى ان نبات البسلة زاكٍ فيه فيزرع البسلة فلا تزكو عنده فيامن سوء الطالع ولو انهُ عرف قوام التربة في حقله لعرف ان البسلة لا تزكو حيث زرعها ، وان مجرّد زكائها في حقل جاره لا يعني انها تزكو في حقله . فاذا استطاع العلم هذه المشكلة ووضع لها القواعد وابتدع لها الاساليب العملية استطاع الفلاح الذكيّ المتعلم الذي يعتمد عليها ان يفوز بمحاصل من البسلة يفوق الحاصل العاديّ اضعافاً مضاعفة اذا زرعها في خير تربة تصلح لها وتجود فيها

ان عجائب العلم لا تنتهي ، وآيتهُ التجدد والتجديد ، ولما كان موضوع الزراعة حيويًّا للناس عامة وفي مصر خاصة قلنا في العدد المقبل فصل آخر عن نواحٍ جديدة من تطبيق العلم الطبيعي على الزراعة

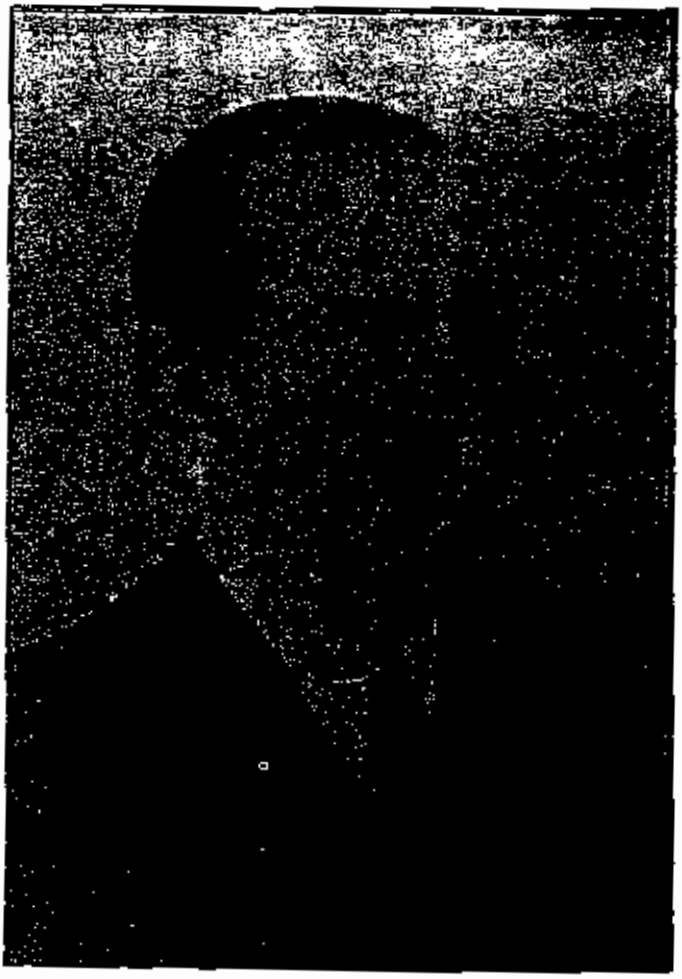

امير الصحراء اللاسلكي

جوليلمو ماركوني

١٨٧٤—١٩٣٧

ساعات في هياكل الشعراء — ١

ايليا ابو ماضي

ليوسف البعيني

مسحةٌ ضافية من التفكير، وتأمّلٌ عميق بعيد القرار، ورباطٌ شجي عذبُ الأنغام، وخيالٌ مزهرٌ يشدُّ أطنابه الى النجوم ويبسط ظلاله على مدى الأفق . . . كلُّ هذا تلمسهُ الروح وهي تتهادى مع — أبي ماضي — في ذرى الشعر، وفوق متون سحابه

إنما الشاعر العبقري — ايليا أبو ماضي — لونٌ زاهر نضير لا يمتزج مع غيره من الألوان، ومزيّةٌ غريبة تختلف عن جميع المزايا . . . وهي تلك النسمة المبتكرة التي لمسح في قراراتها أعذبَ ما تتناقلهُ النفس، وأطربَ ما تحلمُ به القلوب والأرواح!

ما من مرّةٍ قرأتُ بها — أبا ماضي — الا حملتني أبياتهُ المبتكرة الى عالمٍ بعيد كلهُ روعة وأحلام . . . عالمٍ حافل بالصور يفتح للمخيلة مغالقَ الالهام، ويسكبُ في مراشفها الظامئة خمرة الشوق والحنين والتذكار

وحسبكَ أن تقرأ قصيدةً واحدة لهذا الشاعر المبتكر المجدّد حتى تنسى يأسك ان كنت يائساً، ودموعك إن كنت باكياً، وكآبتك الخرساء ان كنت كئيباً . . . أقول هذا لأن صاحب « الجداول » تجثمُ في صدره أسرارٌ علوية مروّاة بندى الحكمة ومهتّقة بفهم الحياة ومعانيها فانّ من تتفق أكثر شاعريته عن مقاطعَ ساحرة كهذه المقاطع

مات النهار بنُ الصباح
فلا تقولي كيفَ ماتَ.
إن التأملَ في الحياة
يزيدُ أوجاع الحياة

لبنَ جوانح روحيةٍ موحية تستفطر الوحي من أجواء مجهولة ثم تسيله في كأس

مطرة اذا لامستها شفاهُ الصوفي المتأمل غمرتهُ نشوةٌ من الاحلام شبيهةٌ بضباب الفجر قبل أن يمسهُ شعاع الشمس ، أو وهج الضحى ! !

***

كان من محاسن التجديد ومن نعمه ، بعد انشاق فجر جماله وتأرُّج أزاهير ربيعه ... كان من بعد كل ذلك أن يتيقظ الشعراء وتنبه الملهمون الى ابتداع ناحية جديدة في الأدب ترضي الذوق الانساني الشامل وتؤجج في العاطفة الطافرة المتوثبة شعلتها الزافرة . وقد فعل الشعراء مرتادين جميع أودية الفن . . . فمنهم من توغل في سراديب القلب المظلمة مستخرجاً منهُ ميوله وأحلامه ، ومنهم من جلس على شاطىء بحر الحياة مصغياً الى همس أمواجه المزبدة . ولكن قلما أبدع شاعرٌ من شعراء العربية ، على كثرتهم ، بتصوير موقف المغرم الدنف في آخر ساعة من ساعات حياته . . . ثم قلما أبدع شاعرٌ رسم نفس موحشة ، كئيبة ، متألمة غابت نظراتها الحنية في لجج الموت كما أبدع — ايليا أبو ماضي — بتشخيص كوامن قلبه في قصيدته الخالدة — ابنة البحر — ولو لم يكن لأبي ماضي من شعر سوى هذه القصيدة لكفى بها حتى تسمهُ أسمى المراتب في دولة الوحي والالهام . قال :

أنا ان أغمضَ الحمام جفوني ودوى صوت مصرعي في المدينه
لا تصيحي وا حسرتاه لئلاّ يدركَ الساموت ما تضمرينه
واذا زرتني وأبصرتِ وجهي قد محا الموتُ شكلهُ ويقينه
غالبي اليأس واجلسي عند نعشي يمكنِ اني أحبُّ الكنينه
واذا خفت أن يثور بك الوجدُ فتبدو أسرارنا المكنونه
فارجعي واسكبي دموعك سرًّا واسحبي بالبنين ما تكنينه

***

واذا ما وقفتِ عند السواقي وذكرتِ وقوفهُ وسكونه
حيثُ حالَ الربيع للروض ثوباً كان أحلى لديهِ لو ترتديه
قالتي كلّ زهرةٍ فيهِ اني كنت أهوى أزهاره وغصونه
ثم قولي للطيرِ مات حبيبي فلماذا يا طيرُ لا تبكينه؟

***

أنا لا أعرف بين شعراء العربية في مختلف أدوارهم من انتحى هذه الناحية الوجدانية في تصوير العواطف ، وتقطير الشعور والاحساس قادراً ان يعطي الناس صورةً مؤثرة كهذه الصورة

الساحرة بخطوطها وألوانها وبما يُنعشها من حرقة ومرارة . . . وكنت أعتقد قبل اليوم ان الشاعر الخالد — الفريد دي موسّه — في قصيدته الجميلة « تذكري » لم يترك لغيره مجالاً لكي يكتب أشاره بدم فؤاده . ولا أغالي اذا قلتُ ان (ابنة الفجر) تفح من النفس موقعاً مؤثراً أكثر من قصيدة الشاعر الفرنسي الكبير . واني لأذكر الآن كلمةً كتبها اليّ أديبٌ غربيٌّ متفنن بعد ان أطلعته على الأبيات التالية ، وهذا الأديب هو الشاعر المشهور — جان دي لا هيرّ — الذي أحبّ الشرق حبًّا لا شائبة فيه :

واذا ما جلستِ وحدك في الليل ... وهاجت بكِ الشجون الدفينه
ورأيتِ النيوم تركضُ نحو الغر ... ب ركضاً كأنها مجنونه . . .
ولحظتِ من الكواكب رصدًا ... ونقاراً ، وفي النسيم خشونه
فنضيت على الليالي البواقي ... وحنفتِ الى الليالي الثمينه
فاهجري الخدعَ الجميلَ وزوري ... ذلكَ القبرَ ثم حيي قطينه
وانثري الوردَ حولهُ وعليه ... واغرسي عندَ قلبه ياسمينه

***

أما كلمة الشاعر الغربي فهي هذه :

« إنّهُ لتسلني ، بل لتحملني على اجنحة الميول ، هذه النغمةُ الشجيّة المتلفة بأسرار الشرق واحلامه ... وكلُّ ما في الروح الشاعرة من هوى ، وخشوع ، وتمرُّد تبخترتْ به ريشة (أبي ماضي) المقطرة في هذا المقطع الساحر الذي أطلعتني عليه . فهل في الشرق ، بين خرائبه الرهيبة ، وفي ظلال امجاده الدهرية ، شعراء آخرون يشاركون — ايليا أبي ماضي — في تنغيم موحياته وانشاد روائعه المبطنة برقائق النفس السامية وبأمانيها ؟ »

***

وعندي انّ هذه القصيدة الخالدة هي من أجود ما جادت به مخيلات الشعراء ، القدماء منهم والمحدثين . وانّ مافيها من أسى مذيب ، ويأس مميت ، وسرارة سوداء ، وقنوط جارح ... ان كلّ ما فيها من هذه الالوان والميول ليشبهُ مأتماً من مآتم الارواح ، او مناحة من مناحات القلوب . ولكن — أبا ماضي — على الرغم من كل ذلك أمسى اليوم لايميل الى هذه الطريقة الوجدانيّة المؤثرة إلاّ إلماماً مختصراً عليها التوغلَ في كهوف الفلسفة الصوفيّة بما فيها من فكر عميق واشكال متعددة الأدهنة والأصباغ . وأنا اقدّر ان الاعوام الاعوام السائرة وراء اشباح

الموت هي التي جنحت بالشاعر البيقري الى اعتناق جوهر الحياة وتأدية رسالتها العلوية

إن الشاعر المبدع ، لا الشاعر الزائف المقلد ، عند ما يتجنح شعوره ، ويختمر احساسه ، يتغير لون أحلامه ويتخذ انغام ربابه اصداء مختلفة فتسمي اشجار صدره كشجرة الحقل وقد قاربت زمن القطاف ، او كالسنبلة وقد تهيأت للحصاد ... وعلى هذا المثال يحدث للشاعر الملهم الموهوب . وايليا ابو ماضي في قصيدته — الطلاسم — يشبهُ اغراس الطبيعة المتفتحة بالجنى والاثمار . ومثل الجدول المنساب الذي يوقع خريره الحنون على الحصى والاعشاب وهو تساؤلهُ الغامض المبهم عن اسرار إنسيابه ... هكذا يتساءل ابو ماضي عن معاني حياته ، حياته المتموجة بأشواق التأمل والمحجوبة بضباب الاماني فهو يقول :

جئت ، لا أعلمُ من أينَ ، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت ...
وسأبقى سائراً ان شئت هذا ام أبيت
كيف جئت ، كيف أبصرت طريقي ؟
لست أدري ...

***

ان في صدري يا بحر لاسراراً عجابا
نزلَ السترُ عليها وأنا كنتُ الحجابا..
ولذا ازداد بُعداً كلما ازددتُ اقترابا
وأراني كلما اوشكتُ ادري
لست ادري ....

***

ان هذا التساؤل عن غوامض الحياة هو الحياة ذاتها . وقد سبق للشاعر الانجليزي الساخر المتهكم — توماس هاردي — ان نظم قصيدة رائعة تتناسب مع طلاسم الشاعر اللبناني . ولكن — هاردي — ختم ملحمته بهذا المعنى . انّ لذة الحياة في جهل اسرار الحياة ومكنوناتها — وهذا المعنى على ما فيه من شاسع النظر ومن تقليد لسر الخيّام ومحاكاة أبيقورية محنة يدلُّ على قصور الفكر ووهنه امام فلسفة الوجود . اما ابو ماضي فقد اقترب من كنه الموضوع بهذه الابيات وهو يعبّر بها عن حقيقة الحياة

هيَ في رأسي فكرٌ ، وهي في عينيَّ نور
وهيَ في صدري آمـــالٌ ، وفي قلبي شعور
وهي في جسمي دمٌ يسرب فيهِ وعور

***

ولايليا ابي ماضي ناحية بشها في الشعر العربي مع اخوانه احصاء — الرابطة القلمية — وهي تلك الناحية التي نصبت مضاربها في الغرب عصبة ادبية راقية تألفت في الجيل الماضي تحت رعاية الشاعر الثائر — تيوفيل غوتيه — ومن يقلب صفحات « الجداول » يرى بين ابياتها ما يؤكد صحة قولي !

لقد طالعت اخيراً مقالاً طويلاً لاديب عربيّ مشهور ينتقدُ فيهِ الكاتب البلجيكي الكبير — موريس مارلنك — ونثهُ الرمزي الذي يوشّح صفحات كتابهِ (حياة النحل) حتى لكأنهُ يريد ان يحذّر الناشئة الجديدة في الشرق العربي من شرّ هذا الفن الغريب عنا بميوله ومقاصده وقد غاب عن هذا الاديب ان الشرق عرف الفن الرمزي في كتب انبيائه الاولين.. وهو على مافيهِ من جمال يعبّر عن الحياة تعبيراً صادقاً ويأتي بالمعاني السهلة المنال. فلنقرأ معاً هذا المقطع الصغير بحجمهِ، الكبير بمعناه. وقد توّجهُ صاحبُ الجداول بعنوان — الغدير الطموح —

قالَ الغـــديرُ لنفسهِ يالَيتني نهرٌ كبيرْ
مثلَ الفرات العذب او كالنيل ذي الفيض الغزير
تجري السفائن موقراتٍ فيـــهِ بالرزق الوفـــير
حيوات ترضى بالحقـــير من الغنى إلاّ الحقـــير
والعشبُ نحوَ النهر لا يلوي على المرج النضير
حتى اذا ما جاءهُ غلب الهدير على الخرير

***

إن صاحب الجداول شاعر كبير يخترق شعوره سجف الليالي والايام ومفكر ذو فكر محسوس بكهرباء اليقظ والاستجداد. ولا شك عندي ان منظومات هذا الشاعر الخالد سوف تهدم أسوار التقيد والجمود تاحتاً من حجارتها تمثالاً لربة الوحي والالهام. وانّي لأختم هذه المقالة بعاطفة صادقة يمازجها التقدير والاعجاب بشعره العذب المخضب بنضرة الروح، والمحفل بلون الحياة !

ثمرات الراديو

في هذا العصر

لمرستاذ لو العالم الانكليزي [1]

[نقلها عوض جندي]

يُعدُّ جهاز الراديو في هذا العصر أثاثة من أثاث الدار الضرورية. ومن المرجح أنهُ متى يكتب تاريخ النصف الاول من القرن العشرين، ستتجلّى فيه فوائد الراديو العظيمة أكثر من تجليها الآن. ويحبهُ كثير من الخلق، ارقى قليلاً من أداة صالحة من ادوات الطرب الرخيص. بيد انهُ يجدر بنا اعتبار اذاعة الاخبار والموسيقى والخطب فائدة واحدة من فوائد الراديو العديمة. ومن الميسور أن تقوم الاذاعة جيداً، على المتابع الكهربائية المنزلية تكون في هذه الحالة، افضل كثيراً من اعتمادها على الجو، وما ينطوي عليهِ من العواثق الطبيعية، فيبقى الاثير حرًّا لتلقي الأنباء والحوادث الخطيرة عند وقوعها

والواقع ان الموجات اللاسلكية ليست كهربائية، ولكنها تتولد من الكهربائية وتلتقط بالكهربائية. وهي على ذلك الاساس تعتبر على الدوام، اختراعاً كهربائيًّا. ويخيل الينا أن ادارة الجهازين، المذيع واللاقط اللاسلكيين، عويصة اذا ما تأملنا مقوّمتها. فالموجات اللاسلكية، تنطلق في الاثير اسوة بموجات الضوء، ويتعذر على فريق من الملأ، تشبيه الموجات اللاسلكية بموجات الضوء لانهم لا يتسنى لهم رؤيتها متحركة. ومما لاشك فيهِ ايضاً أن الموجات الضوئية لا ترى. وانما كل ما تتيسر رؤيته، هو تأثير الضوء في بعض المواد. والضوء الذي نبصر بصيصه صادراً من شقٍّ في غرفة مظلمة، انما هو شعاعة من غبار منور

واذا ما سقط حجر في وسط بركة ماء، تولدت من سقوطهِ دوائر تتسع رويداً رويداً في

---

(١) هو ارتشيبالد مونتغمري لو — ولد سنة ١٨٨٨ عالم انكليزي درس الهندسة الكهربائية، واشتهر بتجاربهِ الباهرة في اللاسلكي والاذاعة المصورة وتسجيل الاصوات بالضوء، وتحسين قاطرات الفحم والبخار فأصبحت توفر ثلثي الصوت وقاطرات البخار والاجهزة اللاسلكي تدين لمخترعاته ديناً كبيراً. وله مؤلفات عديدة في الصوت والموسيقى. وكان استاذاً مساعداً لطبيعيات في كلية الهندسة الانكليزية الملكية بتنر وولتش من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٢

كل جهة من جهات البركة . وتنطبق هذه الظاهرة عينها على الموجات اللاسلكية ، اذ الموجات التي تتولد من الجهاز المذيع تنطلق في الاثير ولكن انطلاقها يكون اسرع كثيراً من انطلاق الموجات المائية التي وصفناها اذ سرعة اللاسلكية ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . ولما كانت الموجات الصوتية تقطع في الثانية ١١٠٠ قدم فقط ، ترتب على ذلك ان كل من عنده جهاز راديو في مدينة سنفافورة مثلاً يسمع جرس ساعة برج البرلمان الانكليزي وهو يدق ، قبل ان يسمعه الانكليزي القاطن تجاه الجانب المقابل من جسر وستمنستر

وكان من المشاكل التي اعترضت مخترعي اللاسلكي حالما أدركوا طريقة ارسال البرقيات اللاسلكية وتلقيها ضياع قدر كبير من الطاقة الكهربائية التي تستعمل لنقلها. فمن أراد في لندن مثلا محادثة امريكي في اميركا بالطريقة اللاسلكية ، كان لا مندوحة له عن احداث اضطراب في الاثير الذي يحف بكل مملكة من ممالك العالم . وكان لا بدّ له من استخدام قوة اكبر كثيراً مما تقتضيه تلك المحادثة لو تمت بالطريقة السلكية

وليس ذلك فحسب، بل كان في مقدور كل من عنده جهاز لاسلكي للاستقبال ، استراق ذلك الحديث بيد أنهُ لو اتيح اطلاق الموجات اللاسلكية في الجهة المرغوبة ايًّا كانت لتيسر وصولها الى اماكن اقصى من الاماكن التي تصل اليها عادة، بغير استهلاك قوة كهربائية اضافية اسوة بحشد اشعة الضوء في بقعة واحدة لتؤلف شعاعة واحدة وذلك بالمنعسات والماكسات فتنطلق تلك الشعاعة بلا عائق في جهة معيَّنة . وهذا ما نُفِّذ فعلاً في الراديو غير ان الماكسات المستعملة لعكس الموجات اللاسلكية تختلف اختلافاً كليًّا عن ماكسات النور وهي اضعف منها قوة

نظام « البيم »

ولذلك اخترع المركيز ماركوني في سنة ١٩٢٤ طريقة « البيم » للتليفون اللاسلكي وواصل تحسينها بعدئذ حتى أصبحت الوسيلة الثابتة المستعملة في محادثة اقصى البلدان

ونظام البيم هو الاختراع الذي جعل كل بلد من بلدان العالم في متناول بعضها بعضاً ، فسهل نقل برنامج الاذاعة اللاسلكية من انكلترا الى اوستراليا وجنوب افريقية وكندا والهند ، إما بالذات ، الى أرباب الاجهزة ذات الموجات القصيرة واما بالواسطة، من محطة الاذاعة اللاسلكية المحلية التي تتلقى البرنامج الانكليزي ثم تعيد اذاعتهُ الى الجهات المطلوبة

وفي بدء اختراع الراديو ، كان يظن أن الموجات الطويلة ضرورية للنقل الى الاماكن النائية لان الطاقة الكهربائية الكبيرة ، كانت اسهل استهلاكاً من غيرها . ولكن حالما امكن حشد الموجات المذيع اطلاقها ، وجعلها بمنزلة شعاعة واحدة ، أصبحت الموجات القصيرة ، وسيلة لنقل المحادثات التليفونية اللاسلكية الى جميع البلدان القاصية

والوجه ان لفظة Beam اليم المقصود بها حشد الموجات في شعاعة واحدة وعكسها ، ليست صائبة كل الصواب اذ ما زال مستحيلاً تركيز موجة الراديو كما تركز موجة الضوء . وما برحت القوة التي تبذَّر جسيمة . وقد جرِّبت تجارب شتى بشأن الطريقة التي تتكس بها حائيك الموجات من طبقات الكهيربات التي تأثر بضوء الشمس في الطبقة الطخرورية . على ان النقل اللاسلكي من أية نقطة على سطح الكرة الارضية الى نقطة أخرى يقتضي اطلاق مقدار من الطاقة اعظم جداً من المقدار الواصل الى المحطة التي تلتقطها

والعاكس المستعمل لتوجيه الموجات اللاسلكية ليس مرآة مقعرة ، كالمستعملة في توجيه النور ، بل سلسلة من الاسلاك . فاذا وضعنا مصدراً من مصادر النور في نقطة ما من مرآة ذات شكل قطع مخروطي ، امكننا عكس اشعة النور على شكل شعاعة مستقيمة ، واطلاقها الى بعد شاسع وهذا بيّن ما يحدث في الفانوس الامامي للسيارات . وهو بيّن لنا كيف يرسل المصباح الصغير في السيارة ضوءه على شكل قلم مبريّ الى بعد مئات من الاقدام . وهذه الطريقة نفسها هي المستعملة في اللاسلكي

وقد اتضح لنا من عهد قريب عدم ضرورة وضع الاسلاك العاكسة على شكل قطع مخروطي . والقطع المخروطي هو شكل الخط المنحني الذي يرسمهُ حجر يقذف في الهواء

والموصلات الجوية اللاسلكية اي الاسلاك الهوائية aerials هي سلسلة من الاسلاك تشرع رأسيًّا ، ويوضع الجهاز العاكس خلفها مباشرة على بعد يختلف باختلاف طول الموجة . ولما يبلغ التراسل بطريقة اليم حدّ الكمال ، فقد يحدث نقص تدريجي في درجة ارتفاع الصوت الذي يولده اللاسلكي او نقص في المدى الذي تصل اليه الاشارات اللاسلكية . ومع ان هناك اجهزة اوتوماتيكية تتحكم في رفع وخفض اصوات البوق في الجهازين المذيع والمستقبل ولكنها لا تتلب تلباً تامًّا على تلك العقبة الكأداء

والموجات اللاسلكية لا تنطلق بعيداً جدًّا عن سطح الارض ، ولا يزيد ارتفاعها في النهار على ٧٥ ميلاً . اما استقبالها في الاماكن النائية فالمعوَّل فيه على الموجات التي تنطلق في الاثير انطلاقاً بعيد المدى حتى تتكس بالطبقة المكونة من الكهيربات . وهي الطبقة المسماة طبقة هيفيسيد نسبة الى مكتشفها . وربما تصادف الموجات ثغرة في تلك الطبقة الجوية فتنفذ منها الى الاثير الذي يطوّق تلك الطبقة بدلاً من انعكاسها عنها وحين ذاك تنخفض قوة صوت الاشارة اللاسلكية في الجهاز المستقبل . وتتوقف قوة الصوت والاشارة اللاسلكية على مبلغ طول الموجة المستعملة ولا سيما على الزمن ليلاً كان او نهاراً . وتكون طبقة هيفيسيد في الدجى اكثر مناعة منها في النهار ، ازاء اختراق الاشارات اللاسلكية ايها

وهذا سبب استعمال موجات ذات أطوال مختلفة في التراسل اللاسلكي في أقسام الامبراطورية البريطانية على اختلافها . وكذلك استعمال طرق شتى . فيمكن ارسال البرقيات اللاسلكية الى أوستراليا غرباً عن طريق اميركا او شرقاً بجنوب عن طريق افريقية . وذلك في الساعات التي يرخي فيها الليل سدوله في هاتيك البلدان

وطالما قدرت سفعة الراديو وفقاً لما نستمتع به من اللهو الذي يأتينا به او لامكان المرء محادثة قريب لهُ في استراليا مثلاً بسهولة باللاسلكي ، كما لو كان في الشارع المجاور لهُ او سماع نتائج المسابقات . وأهم من هذا كله استعمالهُ في المنائر اللاسلكية

المنائر اللاسلكية

فقد كشف العلماء عن أعمال اخرى للراديو بطريقة البيم اي حشد الموجات اللاسلكية في بقعة واحدة ثم تسديدها الى الجهة المبتغاة بالجهاز العاكس وهو ذو شكل قطع مخروطي . ذلك ان الضباب الكثيف يضرب مرادفه احياناً على سطح البحر فتندو المصابيح القوية التي في المنائر ، وكأنها بلا جدوى ، وتلجأ البواخر الى اطلاق الصفارات . ولكن الصوت يأتي أحياناً بعض النرائب في الضباب فتسمع التحذيرات ولكن ليس على وجه التحقيق الكامل. الا ان الراديو على نقيض ذلك لا يتأثر بالضباب اي تأثير ، فتقوم المنارة اللاسلكية باطلاق موجة من الاشارات اللاسلكية ، أسوة بالمنارة الاعتيادية التي ترسل شعاعة من الضوء فتقوم بتحذير البواخر تحذيراً محققاً ، مأمون العواقب

وقد انشئت المنائر اللاسلكية على سواحل العالم بأسره ، حيث تقوم بارسال اشارات متواصلة من نوع خاص فتمكن اية باخرة تلتقطها من معرفة مكان وجودها في اكثف الضباب . ويتسنى جعل الشعاعة اللاسلكية تدور مداراً قوسيًّا فتصل الاشارات اولاً خافتة الصوت الى الساعة التي يلقها العامل المستقبل في اذنيه ثم يرتفع الصوت ثم يضمحل تدريجاً

ومما لاريب فيه ان المنائر اللاسلكية سيعم استعمالها فتنتفع بها البواخر جميعها، التي فيها اجهزة لالتقاطها ، عدا البواخر الصغرى

وللاسلكي في الجو نفع اخطر من ذلك ، اذ قادة الطائرات المحلقة في كبد السحاب ، يتوسلون به الى معرفة مواقعهم بغاية الضبط . وذلك بوساطة محطتين لاسلكيتين على سطح الارض ، اذ تلتقط تانك المحطتان الاشارة الصادرة من الطائرة فتعرفان اتجاهها فترسمان على مقتضاه ، مثلثاً تجعلان الطائرة في رأسه ، فتستطيعان حينئذ ابلاغ قائدها موقعهُ بالضبط وان كان لا يتمكن من رؤية الارض

وأحدث المخترعات في هذا الشأن هو استعمال طريقة اليم لارشاد قادة الطائرات الى المطارات في الليل او في الضباب ، اذ تقوم الموجات اللاسلكية بتوليد اشارة مستمرة متمايزة ، فيعرف قائد الطائرة انهُ ما دام يسمع تلك الاشارة قويةً ، ايقن انه ينهج السبيل القويم . فاذا ما حاد عنهُ حيدة شديدة يمنة او يسرة ، ضعفت الاشارة او قل مداها ، فلا تصل الى سماعته المطلقة بأذنيه ، الا اذا عاد ادراجه . وقد جهزت اشهر طرق الطيران في أميركا تجهيزاً جيداً بالمنائر اللاسلكية التي تزود قادة الطائرات بهاتيك الاشارات فتمكنهم من قطع المراحل الطويلة ليلاً ، مستغنين عن الارشادات الارضية كل الاستغناء

نقل الطاقة لاسلكياً

اما الممالك الاوربية فقد اخذت تقيم امثال تلك المنائر . وهذا مما يحملنا على التذكر بأن اللاسلكي ، الذي كانت مهمته في بدئنا لا تتعدى اللهو ، والموسيقى ، اضحى وسيلة من وسائل النجاة لركاب الجو والبحر . والشعاعة اللاسلكية (اليم) على تشبيهها بشعاعة الفانوس الامامي للسيارة تختلف عنها في انها تنفرج انفراجاً عظيماً بعدها عن العاكس فتنتشر انتشاراً واسع النطاق ، قبل انقضاء الزمن الذي تقطع فيهِ مسافة الف ميل او اكثر . هذه هي المشكلة الخاصة بحصر الموجة اللاسلكية ، التي يسعى المهندسون الى حلّها بغية التمكن من اذاعة الحرارة والنور والقوة . اذ الطاقة الكهربائية التي يستطاع جمعها في وقتنا الحالي من محطة الاذاعة تكاد تكون يسيرة جداً . فالمحطة التي تطلق موجات بقوة ٧٥ كيلو وط اي المحطة القوية ذات المائة حصان ، تفقد كثيراً من الطاقة بحيث تصبح القوة الصادرة منها غير كافية لتحريك ريشة ولا لانارة أصغر المصابيح الكهربائية . ثم ان المصابيح التي في الجهاز المستقبل للاذاعة لا تنار بالقوة الواردة في الموصل الجوي اللاسلكي aerial بل بالبطاريات مباشرة . ومتى حلت مشكلة حشد طاقة الراديو كلها في نقمة واحدة ، صار في وسعنا اكتشاف طريقة توجيه الكهربائية للانارة باللاسلكي ، وغدت شعاعة اللوت حقيقة ثابتة لا ريب فيها

ومع انهُ من المستحيل الآن تحريك الآلات باللاسلكي ، غير ان التحكم فيها بهذه الوسيلة ميسور . وقد أتيح لدوق جلوستر ، حينما كان في اوستراليا منذ زمن غير بعيد ، ان زال باخرة باللاسلكي الى البحر في انكلترا . ولعلّ افضل الامثلة على السيطرة على الآلات باللاسلكي ، هي الدردنوط القديمة سنتوريون Centurion التي ما برحت منذ عدة سنين ، مستعملة كهدف لدافع البوارج الانكليزية الجديدة التي يراد تمرين بحارتها على اطلاق نيران مدافعها

ولما كان ضروريًا جعل الهدف متحركاً كالسفينة المعادة لكي يؤدي الغرض المنشود ، وكان غير ممكن ابقاء انسان حيّ على مرقب bridge باخرة مزمع ضربها بالمدافع، صار مستطاعاً لسفينة الهدف التي تُسيّر باللاسلكي ، اجراء المناورات المألوفة ، من إسراع وإبطاء ونحوهما ، دون وضع اي مخلوق على سطحها . وتم تلك السيطرة بمدمرة تبعد عن السنوريون ، نحو اربعة اميال إذ تقلع السنوريون بقوتها الذاتية من ملاحيها الاحتياطين ، فيظلون فيها الى قبيل تسديد نيران المدافع اليها ثم يغادرونها وحينئذ تقوم المدمرة مقامهم. فترسل الاشارات فتلقاها الموصلات الجوية اللاسلكية الكامنة في سفينة الهدف المشار اليها ، وهي كثيرة لانها عرضة لمقذوفات المدافع فاذا ما تحطم احدها ، قام الآخر مقامهُ . والجهاز المستقبل للاشارات اللاسلكية والآلات القاطرة والمسيطرة على حركات سفينة الهدف ، مصونة من القذائف صيانة شديدة . وكان بدء اختراع هذا النظام في سنة ١٩١٦

بيد ان الاشارات اللاسلكية التي ترسل من المدمرة المسيطرة على سفينة الهدف لا تستطيع تحريك صفارة سفينة الهدف ولا سكانها رأساً، لانها غير كافية لذينك الغرضين ولو كانا على بعد ثلاث واردات من مبتدئها . وانما هي تحرك ادوات دقيقة في سفينة الهدف تتحكم في الآلات الاصلية التي تسيطر على الدفة والصفارة

وتلك الآلات تستمد قوتها من قاطرات سفينة الهدف او من بطاريات التخزين الكهربائية وبهذه الدريسة يسهل تحريك سفينة الهدف اما يمنة واما يسرة وتسييرها سيراً حثيثاً او بطيئاً وقيامها بالحركات المرغوبة المختلفة كما لو كانت تقودها الايدي البشرية

وثبت حديثاً التذرع بالهيئة اللاسلكية على الزوارق الصغيرة ذات المحركات الداخلية (الموطرات) ثبوتاً قاطعاً فجعل ولاة الامور يفكرون في استخدامها ابان الحروب . ولاغرو فان تسيير النسافات باللاسلكي في غضون الحرب العالمية ، جاوز حدّ التجربة، فمن امون الامور والحالة هذه صنع نسافة لاتخطىء هدفها ، رغم دقة الاجهزة ، على ان يقفو آثارها في مناوراتها ، العامل الذي يتحكم فيها . اما في هذه الآونة فمن اصعب الامور ، جعل الآلات التي من هذا القبيل مستقلة عن التدخل الخارجي آمنة من اعتداء العدو . غير ان التحسينات القائمة على ساق وقدم ستمهد لنا السبيل في الوقت الملائم للحصول على طائرات تسيّر باللاسلكي فيتيسر لنا حينئذٍ ارسال جمل من الرسائل البريدية الى البلدان التي تبعد عنا مئات من الاميال بغير قائد للطائرة التي تقل ذلك الوسق

مائة سنة على ميلاد الشاعر

سوينبرن

١٨٣٧ — ١٩٠٩

لكامل محمود حبيب

هو ألجيرنون شارل سوينبيرن Swinburne شاعر الجمال والحب والسياسة ، شاعر الجزالة والموسيقى والقوة، مثل من الاسرة العليا في الثورة والابداع والادب والنشاط وسعة الاطلاع وعزة النفس وسمو الروح

نشأته وثقافته

في الخامسة من مساء ٥ ابريل سنة ١٨٣٧ طلع سوينبيرن الى العالم مرزوقاً هزيلاً قرة عين أبوين كريمي المحتد هما الاميرال شارل سوينبيرن والسيدة جان هنريتا أشبيرنهام ، وقضى أيامهُ الاولى في لندن ثم انتقل الى جزيرة وَيْط ليجد الصحة والعافية هناك ولتذوق اول لذاذات الحياة في أمواج البحر المضطربة وفي هدوء الجبال ، بين تُلّة من اترابه ، يستمتع بالتطواف والسباحة ، فنشأ يهوى بحر البحر كما يقول هو « ... وإني لاخال ملح البحر قد اختلط بدمي قبل ان أولد »

وتلقى علومهُ الاولى عن أمه فهي قد علمتهُ مبادىء اللغتين الفرنسية والايطالية ثم كان ينطلق أيام الآحاد الى الكنيسة يأخذ بقسط في العلوم الدينية وأمهُ تبث في نفسه حب الدين والانكباب على دراسته ، وما كان هو في حاجة الى نصيحتها فهو يستقبل يوم الاحد في سرور ومرح ويندفع الى الكنيسة في لذة وطرب ثم يجلس الى القس في انتباه وشغف . وحين يقرأ في الكتاب المقدس يقف في نشاط وخشوع ويرسل من بين شفتيه رنّات عذبة شجية تجذب اليها السمع والقلب في وقت معاً ، واذا سأله القس أجاب في براعة وجودة . ونقد رافقهُ هذا الولع عمره وبدا أثره بيّناً واضحاً في شعره وحياته

وفي الثانية عشرة من عمره انتظم في كلية ايتون . وهنا يحدثنا اللورد رونالدشاي حديث شاعرنا فيقول « ... لقد كان شبحاً ضئيلاً يتأبط كتاباً جمع روايات شكسبير في غلاف من الجلد ثمين ،

و... ورأسه الكبير قد تشعث عليها شعر طويل احمر . وكان وجههُ سمحاً جميلاً ، وبشرتهُ بيضاء لطيفة يشبهُ في ذلك وجه أمه. أما شعره فأنا واثق بأنهُ قد ورثهُ عن أبيه. وفي صوته نغمات صوت أمه الجميل الخلاب وكان لسانه طلقاً يترفع عن حوشيّ اللفظ ودنيّ العبارة ... » ثم قال ... « وكان يبدو اقترانه رجاحة عقل وسرعة بديهة ، أغرم بشكسبير ومارلو وبن جنصن وسبنسر و... وغيرهم من شعراء القرنين السادس عشر والسابع عشر ومال الى المأساة بقلبه . . . ولقد قرأ في الشعر الفرنسي والايطالي كما قرأ في الشعر الانجليزي. ولقد حباه الله بحافظة واعية اكتنز فيها كثيراً من الشعر والروايات... »

ومكث سوينبرن في إيتون اربع سنوات ونصف سنة ، دأب فيها على المطالعة والدرس ، ولقد قيل إنهُ اتقن اللغة الاغريقية فاستطاع ان يقرأ كثيراً من الشعر الاغريقي ، وفي الحق أنهُ لم ينل منها قسطاً كبيراً في هذه الفترة ولعله كان قد ابتدأ يشبع رغبة تأجج في نفسه ، تلك هي مكانه الذي كان يذهب ليتبوأه بين الشعراء. ولقد تحدث هو بذلك الى المستر رابر — بعد ذلك بعشرات السنين — وهما على مائدة أستاذه جويت حين سأله المستر رابر: «من ترى أعظم الشعراء الانجليز » قال سوينبرن : «شكسبير هو رأسهم غير منازع ، ثم ملتون، ثم شيلي ثم... ثم لا أدري ولكني لابد ان اضع إسمي بعده ! »

في هذه الرحلة من حياته أخذ نفسه بقرض الشعر ثم أباد كل ما كتب غير ان قطعة واحدة لم ينلها ما نال أخواتها فظلت تكشف عن الناحية العقلية في الشاب الشاعر في ذلك الحين ، تلك هي « انتصار جلوريانا » نظمها — في اغلب الظن — سنة ١٨٥٩ وهي تصف زيارة الملكة فيكتوريا لايتون ... وغادر هو ايتون سنة ١٨٥٣ متسللاً حانقاً على عمله المدرسي يريد ان يكون جندياً ثم عزف عن هذه الرغبة وراح يعد نفسه لامتحان الدخول في كلية بالبول في جامعة اكسفورد وفي ٢٤ يناير سنة ١٨٥٦ ادى الامتحان في نجاح ...

وقضى ثلاث سنوات هناك يجذب اليه الانظار ، وتعرّف الى كثير من زملائه النابهين الذين طار صيتهم — بعد سنين — في ارجاء العالم مثل ريتشارد واتسن وسبنسر ستانهوب وتوماس جرين وجون نقولا . وارادوا ان يوثقوا هذه العلاقة فألفوا جمعية علمية رياضيّة جمعت افذاذ الطلبة وعباقرتهم

ولقد شهدت سنة ١٨٥٧ نضوجاً كبيراً في ذهن الفتى فألقى بنفسه في غمرات السياسة بعد ان اثرت فيه كلمات جده من ناحية وعبارات جون نقولا تلميذ مازيني من جهة أخرى فراح يترنم بالمذهب الجمهوري وبدت الروح السياسية على الجميع فما من أفرادها إلا من حقد على نابليون الثالث وثورته

وفي سنة ١٨٥٨ طلب اليه ابوه ان يرافقهُ الى فرنسا، واخذ عليه موثقاً من الله ان لا يفعل مايضر بالامبراطور والاَّ يكتب مايجرحهُ . وحين انطلق الى الشارلزيه في صحبة ابويه التقوا جميعاً بالامبراطور فانحنى الزوج والزوجة يحيون الامبراطور العظيم فرفع نابليون قبعته في عظمة يرد التحية . وحين سئل الابن عما فعل قال في بطء وتهكم « اما انا فلم ارفع قبعتي لانني لا اريد ان اقطع يدي عند المعصم عند عودتي الى النندق ! »

ثم اتخذ مثله الاعلى كولبل وتقولا يتتبعه ، وجوبت — رئيس الكلية — يحذره مغبة امره فما استكان وما اقلع

وتأججت النعرة السياسية في رأس الفتى ونزت به نزوات الشغب والهياج ، وأخذته العزة بمذهبه الجمهوري وهو يتتبع النهضة الايطالية والنمساوية في لذة وشغف ، فضاقت به الكلية ، وخانت ثورته حين خرج على نظمها . واستطاع جوبت — بعد لأْيٍ — أن يبعده عن اكسفورد حين ألحَّ على أبيه أن يلقنهُ التاريخ الحديث على قس عالم هو وليم ستبس ، فخمدت الجذوة التي في رأس الشاب حين رأى قسه وحيداً في تانستون . ولعله يلذ لنا ان نرى ماكان بين التلميذ وأستاذه الجديد في هذه البقعة المنعزلة : لقد ألحَّ القس ان يرى بعض شعر تلميذه فأذعن التلميذ واندفع يقرأ قصته شاستيلارد ، وانحط عليها القس ينتقد في غير هوادة ولا رفق فدلف الفتى الى حجرته حزيناً مضطرباً ، وانطلقت على أثره السيدة ستبس تداعبهُ وتطلب اليه ان يرافقها ليتناول طعام العشاء فأبى . . . وجلس الى قسه . . . وفي الصباح غادر مخدعه متأخراً تبدو عليه سمات الفتور والشحوب ، فراح القس يعتذر اليه على أن تسرع في النقد فأجابه الشاعر « لقد حرقتها جميعاً » فذعر القس واضطرب غير ان الفتى قال « ولكن لا ضير ، لقد قضيت ساعات الليل كلها اكتبها من جديد من الذاكرة » وعجب الاستاذ لما سمع ، وتصرمت الايام وهما صديقان يعجب كل منهما بما في صاحبه من عبقرية وذكاء ، ثم اضطر الى ان يعود الى اكسفورد ثانية غير انهُ رأى في قسه الرجل الذي لا يصلح للحياة الجامعية ففزع عن الجامعة ليدرس هو ما يصبو اليه ، ولم يحصل على درجة جامعية الى ان منحه إياها اللورد كيرزون وهو عميد الكلية وشكره سوينبرن بخطاب في ٣ مايو سنة ١٩٠٧

***

عشقه وأثره في نفسه

أفكان للانسان أن يرى الجمال في الطبيعة ، في الرياض ، في البحر ، على سفح الجبل وعلى قنته ، ثم هو لا يراه في المرأة وهي ترف رفيفاً يملأ الدنيا عطراً شذيًّا يخلب اللب ويسيطر على

القلب ؟ أفكان للشاعر أن ينبض قلبه السامي فيملي عليه نفثات السحر وهو لا يستشعر سحر المرأة في قلبه وعقله معاً ؟ أفكان لشاعرنا سوبيرين أن يبلغ الأوج دون أن ينقلب قلبه بين ألسنة النار المتسعرة المنبثة من عين فاترة وطرف ساحر وخد متلهب وقد رشيق معتدل ثم . . . ثم تعيش معهُ الذكرى او يعيش هو بالأمل ؟

لقد أحبّ شاعرنا كثيراً وتدله كثيراً وأحقق في حبه كثيراً ونحن لا نستطيع ان نجمع كل ما كان منهُ في هذه الحالة القصيرة فنحن نجتزىء بعض ما يشفي الغلة

ان القلب العظيم لا يضيق بشيء وان عظم ، كذلك كان قلب سوبيرين فهو قد وسع العاطفة السامية لجمع من الفتيات والسيدات نذكر من بينهن السيدة تريفيليان والسيدة ريتش ثم الاوانس دوسبتي وليسلي وسارتوريس وموريس و . . .

وفي سنة ١٨٦٢ كان يتردد بكثرة على دار صديقه روسكن وتعرف هناك على احدى قريباته وهي فتاة في مقتبل العمر وفجر الشباب جميلة جذابة ، رقيقة ناعمة ، نشيطة خفيفة الحركة والروح فاستطاعت بما حباها بهِ الله من جمال ورقة أن تغزو قلب الشاب الشاعر ، وراحت تبذر في نفسه غراس الشجاعة والجرأة ، فكانت تقدم لهُ الازاهير الجميلة او تداعبهُ في لطف ، وتغني لهُ الأغاني العذبة فأحس هو بسحرها يتدفق في قلبه في شدة وعنف فانفتح يفتح أمامها مذاليق قلبه في سذاجة وجهل ، لم يترفق ولم يستأن . وبدا استهتار الفتاة بحديثه في تهتهة عاصفة أرسلتها في وجهه . لشد ما آلمه ان يرى أمله تعبث بهِ هذه الضحكة العالية ! فحمل معهُ حطام قلبه وطار من لندن الى نورثمبرلند وانطوى على حزن في نفسه يكتب خير رواياته « انتصار الزمان » . وظلّ عمره لا ينسى حبه هذا ، ولقد تحدث عن هذا الامر بعد خمسة عشر عاماً : « لقد زال عني أثر الغضب الذي بعثهُ في نفسي الضحكة العابثة لتزرع في الأسى والفجيعة . . . »

ونحن لا نجد مفراً عن ان نترجم بعض قلبه الذي ترفهُ هو على القرطاس ، قال يناجي البحر :

سأنام ، ثم أتحرك مع الفلك
أتقلب كما تتقلب الريح ، وأنحرف مع التيار
وتستمتع شفتاي بزبد شفتيك
أعلو وأهبط مع موجك ،
سأنام ، وأنا لا ادري اذا كانت هي ،
وهي بشعّ حياة وجمالاً ،
تشبه الزهرة الرقراقة على قمتها النضر
تحت باسقة تحمي الصيف الهادئة ، في رائحتها الزكية وكبريائها

سأندفع في طريقي على غير هدى
أملأ النهار بأغاني الحزن
وأسكن الى المخلوقات الفانية
أفعل ما تفعل البطيخة ، وأحدث حديثها ؟
ولكن اذا أحب كل منا صاحبه — يا عزيزتي ،
أتشعرين بقلبي وهو يسجد عند قدميك الصغيرتين
قلبي وهو يدق دقاته المبهجة من أثر السرور
لأنه أحس بقدميك الجميلتين تطآنه وتسوقانه إلى القبر

***

آه ، أخفق أني لم أفز من حياتي بشيء بل عزفت عن
كل ما حبتني الحياة ، وتركت السنين تمر
بخمرها وصلها ، ريحانها وشوكها ،
والاحلام تشيد الالهام فيهدمها الامل ؟
تعالي أيتها الحياة أو تعالي يا موت فلن أتبس بكلمة
أفأنتقدك في الحياة وآسي لموتك ؟
لن أحدثك على الارض بشيء ، وفي السماء ،
إذا ناديتك هناك ، أتنصتين أو تعرضين ؟

بهذا الاسلوب ، بهذا الخيال ، بهذه الروعة يخاطب الشاعر الشاب فتاته التي أسرته وملكت عقله وليه واخترقت شغاف قلبه لتستقر فيه ما عاش

***

وفي هذه السنة صفعت الايام الشاعر صفعة أخرى قوية حين ماتت رفيقة طفولته ونشأته الأولى ليزي سيدال فتركت في قلبه جرحاً لا يندمل

***

وفي سنة ١٨٦٩ انطلق سوينبيرن إلى فيشي طلباً للاستجمام والصحة فتعرف على صديق هو فردريك ليتون وصديقة هي أديليد كامبل (الآنسة سارتوريس) وبعد خمسة أيام كتب إلى صديق « إن في فيشي الصحة والحياة » وفي الحق لقد وجد في فيشي السعادة . . . سعادة القلب أيضاً وهو إلى جانب صديقته أديليد تغنيه فيطرب ويهز فرحاً الصوت الذي ظل يرن في مسمعيه ربع قرن من الزمان . وحين جاءه نعي صديقه الورد ليتون كتب قصيدته « ليلة في فيشي » . ولم

يطل له الاستمتاع برفقة صديقته هذه لانهُ نزح عن فيشي ليلبي دعوة ڤيكتور هيجو
ثم زار فيشي بعد سنوات ثمان فكتب قطعة خالدة جاء فيها :
طلعت علينا السنة التاسعة بعد ان تصرمت سنوات ثمان
منذ أن تصافحنا لأول مرة بجانب الينبوع
وأنا مأخوذ بأغاني صديق حبيب إلى نفسي ،
إنني لأعجب للصديق ينسى صديقهُ

***

إن الحياة كالصخرة الناتئة تتناوحها الرياح ،
والزمان كالريح ونحن الامواج المضطربة ،
والاغاني كالزبد تثيره الرياح ،
إذن فلا بد أن تكون الفكرة التي في القلب عميقة كالبحر

***

هذه هي نظرية الشاعر في الصداقة والحب ، فيا عجباً ، يا عجبا . . . !

أمبرقر

كان سوينبرن حديداً في رأيه واخلاقه لا يتزعزع وان عصفت به الايام ولا يلين للحادثات وان الحت عليه ، فظل لا يتأثر بالآراء الاخرى من نشأته الاولى في جزيرة وايط الى آخر نسمة من نسمات الحياة في بونتي ، فكانت حياته صلبة جامدة . ولقد اتخذ له اساتذة أسلس لهم وانقاد وبدأ آراءهم عليه ، هؤلاء مثل جويت وبرتون ودوسيتي وواتس وداتي وغيرهم . وتأثر في شعره بالاغريق وشكسبير وبودلير وهيجو . غير ان آراءهم في نفسه كان كأثر تقطيب المغناطيس على الابرة المغناطيسية يوجهها اليه مادام هو الى جانبها فان ابتعد انتهى اثره . وكان هو في دنيا غير دنيا الناس يعيش في خيال نفسه وآمالها غير ان شيئاً من الشذوذ لم يلحظ عليه . وكان انيقاً في لباسه ، بلغ في ذلك مبلغاً جذب اليه انظار الخياطين في لندن فاتخذوه مثلاً اعلى لاحدث طراز ، وظل هذا دأبه عمره الا حين استقر في بونتي سنة (١٨٧٩ — ١٩٠٩) واشتراً الوحدة ، واطمأن الى العزلة ، فما عاد يعنى بانظار الناس لانها لا تقع عليه الا لماماً

وكان ايّما خفيف ، إذا سقط الذباب على طعام رفع يده ونفسه تشتهيه ، وكان صريحاً يعز بنفسه في كبرياء وصلف ، فكان حين ينشد شعره يرفع عقيرته ويهز طرباً كانما يسمع لحناً سماوياً او قطعة موسيقية رائعة . وكان صديقاً لطيف المعشر رضي الخلق لا يجرح صديقه ولا يتنهه ولا يحقره

وعجيب ان ترى الرجل الذي امتزج حب المذهب الجمهوري بدمه وجرى في عروقه... عجيب ان تراه ارستقراطيًّا يمن في ارستقراطيته ويفخر بها ، وهو لم يكن جمهوريًّا هادئ الطباع « فهو لم يكن ثائراً فحسب بل كان ينفث روح الثورة في كل من يلقاه » . هذا الرجل الثائر هو الذي كتب عنهُ الروائي الهولندي بورن سوارتز « لقد جذب نظري اليه لاول مرة في حلبة سباق ، أنا لم اكن اعرف شيئاً عن مقامه الاجتماعي من قبل ، ولكنهُ كان يبدو اجنبيًّا وانجليزيًّا ارستقراطيًّا »

وكان وطنيًّا ينشق وطنه ويرفه فوق كل مرتبة ، فهو في كل ما كتب لم يمس مجالس الشورى الانجليزية بسوء ولا الهيئة الحاكمة . فكان يخشى ان يذهب ضحية غضب الحكومة وهو الجريء المقدام الذي لا يخشى احداً ولا يكتم في نفسه ثورة من ثوراتها ، وهو قد انحط على الالمان والفرنسيين يتقدمهم في غير حوادة ولا رفق ؟ الجواب على ذلك يتبين في حديثه للسيدة ريتش حين سألته « ماذا اعددت لانجلترا ؟ » قال « لها حياتي ! » هذا الرجل لا يستطيع وهو يقدس وطنه ويعبده ، ان يرى فيهِ عيباً يثير من غيظه او يهيج من غضبه

وكان لسناً لبقاً قوي الحجة سريع البديهة ، وكان حديثه كتمثره وشعره قويًّا ضخماً جزلاً ولقد تحدث عنهُ رجل اسكتلندي قال « لقد كان مفوهاً حين يجد ، وحين يهزل لم أجد من يحسن الكلام مثله » وكانت الناحية الادبية تسيطر دائماً على حديثه لانهُ اغرم بها منذ نعومة أظفاره . ثم هو علاوة على تفوقه في الشعر تفوق في نقد الشعراء الكتاب في حماسة وقدرة وبقارن بين نفسه وبينهم في غير حرج ولا تواضع

اما الناحية الدينية التي نشبت معهُ فاصلها قد تأثرت بنظرية المثل الافلاطونية فاتخذ منها إلهاً يعبده ، ولقد رأيت هذا الرأي حين وقع نظري على خطاب منهُ الى ستدمان في ٢١ فبراير سنة ١٨٧٥ جاء فيه « أنا لست مؤمناً ، لقد علمت بالالهام وادركت بالعقل أن إلهاً لا يستطيع ان يقول بوجود إله ذاتي الا اذا كان يهيم في متاهات الخرافة السخيفة . . . ولكن نحن الذين لا يعبدون شيئاً ملموساً ولا إلهاً يستطيعون ان يعبدوا الانسانية المقدسة ، المثل الاعلى للكمال والسمو ، دون ان يعبدوا إلهاً او انساناً او . . . لهذا استطيع ان اسمي نفسي مسيحيًّا ، غير اني لست مؤمناً . . . » ولقد تحيرت الرجل بنشأة الدينية منذ سنيه الاولى ثم هو يتحدث عن نفسه بمثل هذه الجرأة وهذا المنطق السقيم !

ولقد أصيب بالصمم وهو في الثامنة والاربعين من عمره فاكان يرفع صوته . شأن كثير ممن فقدوا السمع . . ولكنهُ ظلّ يتحدث في هدوء وفي نبراته العذبة الاخاذة

ومات في بوتني في ١٠ ابريل سنة ١٩٠٩ بذات الرئة تاركاً ثروة ادبية ترفعهُ الى اوج العظماء

عقل الانسان

بين الكيمياء والكهرباء

في أثناء النوم والمرض[1]

اثبتت التجارب الحديثة ان دماغ الانسان تبدو عليه ظاهرات كهربائية واضحة في اثناء اليقظة فهل تمتع هذه الظاهرات اذا خمد نشاط اليقظة وحبت شعلة الوعي ، اي اذا اخذ الكرى بمعاقد الاجفان واستسلم الجسم للنوم ؟

هذا موضوع طريف طرقهُ فريق من علماء اميركا في مختبر لوميس بنكيدو بارك نيويورك وفي مقدمتهم نيوتن هاوفي المشهور بدراستهِ في « الاحياء المضيئة » . فاعدّوا حجرة نوم مجهزة بجميع الوسائل اللازمة لاخضاع التجربة للسيطرة العلمية الدقيقة . فالحجرة يحيط بها حجاب يمنع كلّ تيار كهربائي من الخارج ان يتصل بداخلها . وفيها « ميكروفون » دقيق الحسّ يدوّن جميع الاصوات التي تحدث في الحجرة ، وهناك جهاز آخر قائم على مبدأ الكهرباء الضوئية[2] يسجّل حركة السرير الناشئة عن تقلّب النائم على فراشهِ

وقد صنعت سجلات على هذا الاساس لعشرات من الناس تفاوت اعمارهم من احد عشر يوماً الى خمس وسبعين سنة . وهذه السجلات نوعان نوع يدوّن حركات النائم ونوع يدوّن الامواج الكهربائية الصادرة من الدماغ . والتدوينان متحاذيان ، وهذا يعني انهُ اذا اخذت الشريط الذي دونت عليهِ حركة النائم وقلت ترى ماذا يقابل هذه الحركة البدنية العنيفة من احوال الدماغ الكهربائية ؟ كان لك ذلك على اوفى وجهٍ

ولعلك تعلم ان جهازاً يسجّل آثار حركة بدنية او امواج نشاط كهربائي على شريط متساب ، يملأ من الشريط ، في اثناء سبع ساعات من النوم في الليل ما طوله نصف ميل ، ولذلك استنبط هؤلاء العلماء اسطوانة دوّارة طولها ثماني اقدام ، ولها ريشة تدوّن عليها من تلقاء نفسها امواج

---

(١) راجع مقتطف يوليو ١٩٣٧ ص ١٢٩ — ١٣٤ (٢) Photo-electric

الكهربائية الصادرة من الدماغ . بل ادهى من ذلك استنبطوا وسيلة لاستعمال ثلاث ريش في آن واحد كلٌّ منها متصل بناحية من الجمجمة وكلٌّ منها يدوّن التموجات بحبر يختلف لونهُ عن لون الحبر في الآخر

هذا هو الاسلوب الذي جرت عليه التجربة . وبعد درس السجلات درساً وافياً ظهر لهؤلاء العلماء ان ثلاثة انواع من الامواج الكهربائية تصدر من الدماغ في اثناء النوم . النوع الاوّل أمواج منتظمة السياق كامواج « الفا » التي تصدر من الدماغ في أثناء اليقظة (راجع مقال بوليو) تصدر من الدماغ في اثناء النوم الخفيف المتقطّع . والنوع الثاني طائفة من الامواج تدلُّ آثارها على انها نتيجة نشاط يشتدُّ فجأة ثم يخبو فجأة . ثم هناك النوع الثالث وهو أمواج غير منتظمة في ظهورها وشكلها وقد أطلقوا عليها اسم « الامواج الشاردة »

هذان النوعان الأخيران مرتبطان بالنوم العميق . ومن أغرب ما ظهر عند دراسة هذه السجلات ان الانتقال من ظهور الامواج الشاردة الى الامواج المنتظمة (امواج الفا) يحدث بمجرّد التحدُّث مع النائم . ولكن الاصوات الرتيبة التي تعوّدتها الأذن كصوت مرور قطار أو بوق سيارة لا تسبب هذا الانتقال . فاذا دخل حجرة النوم آمرؤ وسئل سؤالاً خفيفاً او همس همساً لطيفاً كان ذلك كافياً لظهور الامواج التي من النوع الاول، ولذلك يعتقد هؤلاء العلماء ان التحوّل من النوم العميق الى الخفيف ليس نتيجة مباشرة لحافز الصوت بل هو متصل بمستوى النشاط في الدماغ

وقد يختلف النشاط الكهربائي في دماغ النائم في مواقع مختلفة منهُ . فقد سجل على الاسطوانة ما يدلُّ على ان الامواج المتصلة بها من القذال من نوع معين والامواج المتصلة بها في الوقت عينهِ من مقدم الرأس من نوع آخر . فاذا حدث اي صوت يضطرب لهُ النائم كاقفال باب ، تحوّل النشاط الكهربائي في الموقعين الى نسق واحد واصبحت جميع الامواج المسجلة على الاسطوانة من النوع الاول اي النوع المرتبط بالنوم الخفيف

ولعلّ المصابين بالأرق يستطيبون ان يجثوا فائدة عملية من هذا البحث . فهم يظنون على الغالب ان تكون الحجر التي ينامون فيها بعيدة عن كل نأمة او صوت يزعجهم ، ويؤرقهم أن يسمعوا وقع أقدام خفيف ، او حفيف ورق كتاب او همساً لطيفاً . ويزداد تمرّضهم للارق بازدياد هدوء الحجرة التي ينامون فيها . اذ يتجسّم فيها أخفت الاصوات . ولكن اذا كانت الحجرة معرضة لصوت عالٍ رتيب كهدير محرك الباخرة في البحر ، طغى ذلك الهدير على الاصوات الخافتة التي تؤرقهم عادة فلا يتأثرون بها وينامون ملء أجفانهم

ولنفرض أنك نوّمت أحدهم تنويماً مغنطيسيًّا ، فهل تكون الامواج الصادرة من دماغهِ امواج اليقظة أم أمواج النوم؟

هذا موضوع عني به الدكتور دائيد صلايت أحد أساتذة جامعة ماكجل الكندية . فانهُ نوّم في مختبر لومبس رجلاً تنويماً مغنطيسيًّا ثم سجل حركاته والامواج الكهربائية الصادرة من دماغهِ بالاسلوب المتقدم في حالة اليقظة والنوم السوي والتنويم المغنطيسي . فكانت الامواج المسجلة على الاسطوانة من النوع الاول اي أمواج الفا الخاصة باليقظة والنوم الخفيف المتقطع . ولم يظهر في السجل الخاص بهِ أثناء نومهِ المغناطيسي أمواج ما من النوعين الثاني والثالث. واذن يمكن ان يقال ان التنويم المغناطيسي ليس نوماً ، اذا كانت هذه الامواج الكهربائية مقياساً يصحُّ الاعتماد عليهِ

هذا وقد عني الدكتور جبس Gibbs وزملاؤه في مدرسة هارفرد الطبية بدراسة الصلة بين هذه الظاهرات الكهربائية في دماغ الانسان ، والاصابة بداء الصرع ، فوجدوا أن نوبة الاصابة بالصرع يصحبها ظهور نوع معين من الامواج ، وانهُ قبل حدوث النوبة ، تظهر أمواج منذرة بقرب حدوثها تسبق أي أعراض جسمانية ظاهرة . ثم أخذ الدكتور جبس اثني عشر رجلاً اصحاء وجعلهم يستنشقون نتروجيناً نقيًّا بدلاً من الهواء حتى فاروا الاغماء وسجّل في أثناء التجربة الامواج الصادرة من ادمغتهم فوجدها تشبه في بعض خواصها الامواج الصادرة من ادمغة المصروعين او للشرفين على نوبة الصرع. ثم عالج أربعة آخرين بعلاج من شأنه أن يضعف ضغط الدم ، فلا يصل منهُ الى الدماغ المقدار السوي في وقت معيَّن ، فكان التغيُّر الحادث في صورة الامواج الصادرة من دماغهم شبيهاً بالتغيُّر الحادث في أمواج السليم عند اصابتهِ بنوبة الصرع . ثم أكثر فريق آخر من استنشاق الهواء هنيهةً من الزمن وهذا العمل ينقص مقدار ثاني اكسيد الكربون الذي في الدم فكانت النتيجة واحدة. والغريب ان المرضى للصرع الذين اجريت التجارب المتقدمة عليهم ظهرت في أمواج ادمغتهم اعراض الصرع مع أنهم لم يصابوا بنوبتهِ

بقي أن نعلم هل لكل امرىء صورة من الامواج الدماغية خاصة بهِ دون غيره كوجههِ وصوتهِ وبصمة اصبعهِ . ذلك يحتمل في رأي الدكتور هلول دايشن وهو يجرب تجارب متنوعة الآن لتحقيق هذا . فقد تمكن هذا الباحث من تقسيم « أشعة الفا » الى أربعة انواع أو فئات ، وهذا يذكرنا بفئات الدم الاربع . وعنده أن صورة الامواج التي لزيد تختلف عن صورة الامواج التي لعمرو ، ولكن صورة أمواج زيد في احوال مماثلة هي هي لا تتغير . وقد درس الدكتور دايشن بالاشتراك مع زوجته خمسة وثلاثين رجلاً وامرأة فوجدا ان القاعدة المتقدمة تنطبق عليهم ولا تشذ فيها . وعلاوة على ذلك درسا ثمانية أزواج من التوائم المماثلة تماماً (identical) فوجدا اشعة الفا في أحدها قوية وفي آخر ضعيفة جداً حتى تكاد تكون معدومة ، وبين الاثنين درجات متفاوتة من الانواع الاربعة التي تقدّم ذكرها . ولكنهما وجدا في كل توأم ان صورة الامواج الدماغية واحدة للتوأمين لا شبهة في ذلك . أما إذا كانت التوائم غير مماثلة تماماً (identical)

فصورة الامواج الدماغية في الشخص الواحد قد تختلف عنها في الآخر. وهذا قد يدل على ان هذه الامواج نتيجة تركيب خاص في خلايا الدماغ ينتقل بالوراثة

هذا بعض ما يقال الآن في هذا الموضوع الاخاذ، الذي لا يزال مكتنفاً بكثير من الغموض

العقل والغدد

فاذا انتقلنا من الكهرباء الى الكيمياء ظهر لنا ان الغدد الصم ومفرزاتها في المقام الاول من حيث تأثيرها في العقل. فالمارد الذي طوله ثماني اقدام والقزم والمرأة التي نبت الشعر في عارضيها وذقنها وأخيها السمينة المتهدلة، والجاحظ العيون المتقح الشق والابله بل والعبقري ايضاً، جميع هؤلاء في رأي ثلة كبيرة من العلماء، نتائج تركيب غير سوي في غددهم الصم او افراز غير سوي في اتوارها (hormones)

في جسم الانسان سبع غدد صم او سبعة مجاميع من الغدد الصم وهي ١ — الصنوبرية داخل الجمجمة. ٢ — النخية وهي نصان داخل الجمجمة كذلك. ٣ — الدرقية على جانبي القصبة تحت الحلق. ٤ — الدرقية وهي اربع. ٥ — الكظران فوق الكليتين. ٦ — الحلوة (البنكرياس) في تجويف البطن ٧ — الجنسيتان. وجميع الدلائل تدل على ان جميع هذه الغدد، ما عدا الاولى والسادسة، لها صلة بأحوال المرء العقلية وسنقتصر على ذكر مثل او مثلين لاننا فصلنا هذا الموضوع في مقال الغدد والحياة المنشور في مقتطف يناير وفبراير ومارس هذه السنة

والمقصود هنا (بأحوال المرء العقلية) طائفة واسعة النطاق من اعماله وسلوكه. ذلك ان العقل الواعي ليس السلطان المطلق على الانسان بل هناك الشعور والانفعال حتى العلماء المتفوقون بأدق اساليب البحث العلمي، معرضون لتيارات قوية من الشعور والانفعال تروح بالفكر الواعي والمجرد وتجيء به وتحرفه احياناً عن طريقه

فالدماغ ليس منبع الافكار الواعية فقط، بل فيه تتولد كذلك انفعالات الغضب والخوف والبغض والحب وغيرها. قد يسيطر الفكر المجرد على هذه الانفعالات، وقد تكتسحه هي من طريقها اذ تأخذ بتلابيب المرء فتدير سكان سفينته. والحالة الثانية اعم وأغلب

يروى عن المخترع ميشيل بيوبن الصربي الاصل والاميركي النشأة انه سأل فوستر كندي التورولوجي (العالم بالاعصاب) الاميركي المشهور هل وجد الاطباء مركز الانفعال في الدماغ. فقال كندي انه في « الهيبو ثالاموس » — وهو جزء من الدماغ في مؤخره — فقال بيوبن ولكن أتستطيعون ان تضغطوا على الزر فتطلقوا الانفعالات التي تريدون؟ فرد الطبيب اذا أعطيتني السلام مائة سنة استطعنا ان نفعل ذلك. وعندئذ . . . . . !!

وقد كان الباحث الانكليزي كان اول من بين مكانة هذا الجزء من الدماغ في افعال الجسم

الانفعالية . ثم بيّن ان بينهُ وبين الكظرين صلة وثيقة . فلنفرض ان حيواناً رأى او سمع ما اغضبهُ او اخافهُ ، ولا فرق بين الغضب والخوف لان فعل « الهيوتالاموس » واحد في الحالين. عند ذلك يبعث هذا الجزء من الدماغ سلسلة من الرسائل في الجهاز العصبي . فاذا بلغت هذه الرسائل الكظرين يفرز نخاع هاتين الغدتين تورأ hormone يندفع في تيار الدم فاذا بلغ الكبد حمل على ان يطلق بعض السكر المخزون فيهِ . والسكر يفعل في الجسم فعل الوقود في المحرّك . اي انهُ يصبح طاقة جديدة تساعد الحيوان الخائف او الغاضب اما على القتال واما على الفرار . وهو سواء افعل هذا ام ذاك محتاج الى قدر اضافي من الطاقة

الا انهُ في الامكان الحصول على التأثير نفسهِ بحقن قدر من الادرنالين — وهو توتّر الكظرين في الدم فيطلق الكبد سكرهُ ، ويُسحب جانب كبير من الدم من الجلد واعضاء الهضم ويدفع الى العضلات ، والدماغ لانها اشدّ حاجة اليهِ والجسم في هذه الحالة . ولعلّ ابلغ مثال على ذلك ما حدث لمصاب بالبول السكري . فالمعروف ان تناول جرعة من الانسولين اكبر مما يجب تنقص السكر في الدم عن المستوى الطبيعي ، فيصاب المريض بدوار وتبلبل في الفكر وتلعثم في الكلام ويشيء من التشنج ثم يغمى عليهِ تماماً . ولذلك يحمل معظم المصابين بالبول السكري قطعاً من الحلوى في جيوبهم حتى اذا شعروا بهذه الحالة تناولوها فيضيفون الى الجسم قليلاً من السكر اللازم لهُ فيستعيد الدم توازنهُ والعقل صفاءهُ

هذا المصاب بالبول السكري احس وهو سائر في الشارع بمدخنة الانسولين ، بحالة الاغماء المتقدمة الذكر فدخل صيدلية مسرعاً ليتناول قطعة شوكولاته ليأكلها . ولكنهُ لما دخل الصيدلية. كان قد فقد صوابهُ فلم يعرف ما يقول فظنهُ الصيدلي سكيراً قد أكثر من الشراب فدفعهُ خارج الصيدلية فوقع المصاب على الارض ، فأغضبهُ هذا العمل ، فحرّك الغضب كظريه فأفرزا الادرنالين فسار الادرنالين الى الكبد فأفرزت الكبد سكرها ، فعاد التوازن الى دم الرجل فزال الاغماء وعاد اليهِ صفاء ذهنهِ فسار الى صيدلية أخرى حيث ابتاع الحلوى التي يريد

وكما ان الكظرين يؤثران في الانفعالات عن طريق المادة التي يفرزانها وتأثيرها في الكبد ، كذلك الغدد التي وراء الدرقية تسيطر على مقدار الكلسيوم في الدم . فكثرة الكلسيوم في الدم تفضي الى حالة يشتد فيها توتر الاعصاب واعتقال العضلات ، وهي اعراض ترتبط عادة بمرض التيتاني . فاذا قلّ مقدار الكلسيوم في الدم عن المقدار السوي أفضى ذلك الى التراخي والكسل العقلي . وقد وصف الدكتور كوليب — زميل بانتنغ في بحث الانسولين وهو صاحب القصة المتقدمة — مريضاً مصاباً بسبات وتفكك في القول ففحص دمهُ فوجد ان مقدار الكلسيوم فيهِ نصف المقدار السوي . فحقنهُ بخلاصة الغدد التي وراء الدرقية فاستعاد حالاً صحتهُ العقلية والجسدية

خمسون سنة على وفاته

الشيخ احمد فارس

للفريق الدكتور امين المعلوف

في سفح لبنان وعلى ساحله مما يلي بيروت ثلاث قرى تكاد تكون متصلة هي الحدث وكفرشيما والشويفات جمعت صفوة الادباء والعلماء مما يفاخر به الدهر . وكانت الحدث للامراء الشهابيين كذلك كفرشيما اما الشويفات فكانت للامراء الارسلانيين . ويحق لنا ان نسمي هذه القرى الثلاث ساحل الادب او جوزته فالجوزة بلغة لبنان معناها الخمرة . فمن الحدث آل النديم منهم طنوس المؤرخ واسعد وفارس واسمه احمد فارس . ومنها آل صرّوف منهم الدكتور يعقوب . وفي كفرشيما آل اليازجي منهم ناصيف واولاده حبيب وابرهيم ونصّار وخليل والست وردة . وفيها آل الشيّل منهم رشيد وملحم وامين وشبلي الطبيب العالم المشهور . وفيها آل تقلا منهم سليم وبشارة صاحبا الاهرام . وفيها آل الشدودي منهم اسعد العالم الرياضي المشهور . وفي الشويفات آل ارسلان منهم الامير شكيب اميرالبيان في عصرنا واخوه الامير عادل وابناء اعمامه . ثم آل شقير منهم شاكر وفارس ونعوم بك والسير سعيد باشا . وفيها آل الجريديني منهم سامي الحامي والاديب اللبق المعروف . فيحق لنا اذاً ان نسمي هذا الساحل بساحل الادب والعلم

ولكاتب هذه السطور قطعة ارض صغيرة في مكان يقال لهُ خان الورور وهو بين الحدث وكفرشيما فوق جسر الغدير ومطل على صحراء الشويفات اودُّ ان ابني هناك منزلاً أقضي فيه آخر ايامي واسمي المكان الفاريافية تيمناً باحمد فارس عله يأتيني شيء من لغة احمد فارس ومن علم الدكتور صروف ومن أدب اليازجي ومن بيان الامير شكيب

احمد فارس علم من أعلام لبنان واليه يرجع الفضل في بحث الفاظ لم تكن معروفة قبلاً وهذه الالفاظ بعضها في علم الحيوان وبعضها في أمور أخرى لاتزال شائعة الى يومنا . وأول ما أبدأ به ما وضعهُ في علم الحيوان فانهُ الف كتيباً في الحيوان نقله عن الانكليزية وكان يحسنها . وقد ذكر في كتابه هذا الفاظاً لاتزال جارية على الالسنة فمنها ماترجمهُ ومنها ماعرّبهُ ومنها ماوضعهُ استعارة او لغرض

آخر. فاترجمهُ كلة مقدّم وهو اسم لرتبة من رتب الحيوان يسميهِ الانكليز Primate ولا ارى احسن منها فهي عربية فصيحة وشائعة في مصر والسودان والشام والعراق والكلمة عينها تطلق على رئيس الاساقفة مثل مقدم كنتربري ومقدم يورك ومقدم وستمنستر . والظاهر ان بعض الادباء لم يرتهم الكلمة التي وضعها إمام اللغة فقالوا الحيوانات العليا او الرئيسية . وفي شرح القاموس وغيره مايثبت انها افضل كلة لهذا المعنى. ولا اعلم كيف يمكن الاستعاضة عنها

ومن الالفاظ التي ترجمها كلة كسلان Sloth وكلة نمر Glutton وغيرها . ومن الالفاظ التي عربها تعريباً كلة قنفذ وهو حيوان استرالي مشهور طويل الرجلين قصير اليدين كاليربوع إلا أنهُ اكبر . وقد أخذ هذه الكلمة عنهُ الدكتور صروف وذكرها غير مرة في المقتطف ولا أعلم ماذا يقولون الآن في حديقة الحيوان ولعلهم يقولون « كنجرو » كما هي بالانجليزية ولا أعلم إعتراضاً على القنفر مالم تلفظ القاف كالهمزة كما يفعلون في القاهرة وبيروت فيلفظونها « أنفر » ولكن هذا الحرف اي القاف لا يلفظ كذلك الآن في بيروت والقاهرة فيقولون سوق « الازاز » اي القزاز ومثله بأي أي بق . أما في الصعيد والسودان والعراق فيقولون دنقلة Dongola وقوز رجب Goz Radjab والقصر المقيّر Mogayar وهو ذوقار والقيّارة Gayara وهو المكان الذي فيه القار او النفط في جميع بلاد الله العربية لم اسمع القاف كما يلفظونها في مصر وبيروت . ولقيت يوماً رجلين من الشويفات عطت من لهجتها ومن أمور أخرى انهما من الشويفات فقلت لاحد الادباء وكان حاضراً هذا درزي وهذا نصراني فقال كيف عرفت ذلك قلت من لفظ الدرزي القاف فكان يلفظها كما يجب أن تلفظ ومن لفظ النصراني لها فانهُ كان يلفظها مثل اهل بيروت والقاهرة فيقول « آف » . فتقر أحسن لفظ لاسم هذا الحيوان ولكن إياك ان تقول « أنار » بل تقنر. ومن الالفاظ التي عربها الراتل اي اكل العسل والقوطي واعجميتهُ Coati والمربوط وهو جرذ كبير والمقلون وهو أرويتة سردينية . والراكون Racoon وهو نوع من الكلاب الاميركية وقد ظن بعض المتحذلقين ان حقها ان تعرب بالركين والركين تصغير ركن وهو نوع من الفار أو الجرذ ولكن احمد فارس على شدة ولعهِ باللغة ومعرفة ماورد فيها لم يكن يحب الحذلقة فلم يقل الركين لان هذه الكلمة تشبه الركين

ومن الالفاظ التي وضعها كلة فظ وهو حيوان بحري طويل الاذناب كبيرها فظيع المنظر ولا أعلم سبب وضع هذه الكلمة ولعلّ أحد الذين كان يعرفهم احمد فارس كان كبير الاذناب فظاً فسمى هذا الحيوان بهذا الاسم فشاعت هذه الكلمة وذكرها الدكتور بوست وذكرتها في معجم الحيوان . ومنها الزُغبة وهي فصيحة واردة في اللغة وفي معجم بادجر ولعلّ احمد فارس هو الذي استعارها لهذا المعنى فانظر كلة Dormouse في بادجر وقد كان بادجر كثير

الاتصال بأحمد فارس وقد أشار الى ذلك في مقدمته . فراجع هذه الكلمات في معجم الحيوان فانك تجدها مع نسبتها الى احمد فارس كالعادة

وثمة كلمات شائعة على الالسنة لا يعرف من واضعها بالتأكيد على ان للشيخ ابرهيم اليازجي مقالة في التعريب في المجلد الثاني من الضياء في سنة ١٨٩٩ نشر فيه جدولاً ذكر فيه طائفة من المعربات بعضها لهُ وقد أشار فيه بعلامة وبعضها لغيره ولم يعرف يومئذٍ أسماء من وضعها . وهاك الكلمات التي من وضعه . الأُربة والاستهداد والأُسربّ والانبويات والبائنة والبيّنة والتألق والتبليد والجناح والحاكي والحسّاء والحسّر والحُوذي والدُرّاجة والدريئة والدريرات والراجيات والرّثية والرّعاد والسُفع والشاري والشبزى والشيحة والشيمار والشعرية والضلع والطارئة والطبرخي والطلاء والكفاف واللهاة واللولب والمأساة والمتسجات والمجلة والمحبّب والمصد والمقصف والمنضحة والنابض

أما الاسماء الاخرى التي لا يعرف من واضعها فهي ما يأتي مع اسماء واضعها واما لا اعرفها الاّ تقريباً. فالاستقطاب والاستمرار والبؤرة والرصيف الكهربائي والرقاص والطيف والعدسة اظن واضعها اسعد الشدودي . والباخرة والجريدة واضعهما احمد فارس بكل تأكيد ومن لا يعرف معنى الباخرة في ايامنا . اما الاشتراك والبطاقة والبهو والثقاب فهي بين اثنين احمد فارس وابرهيم الحوراني. والمجهر والمرقب واضعها ابرهيم الحوراني بكل تأكيد . والسديم اظن واضعها الدكتور فانديك والسفساف اظن واضعه خليل المطران . بقيت الفاظ لم يذكرها اليازجي كالبرق والبريد واظنهما لاحمد فارس. اما البريد فقديمة واما البرق فحديثة بهذا المعنى وفي العراق لا يقولون الاّ مدير البرق والبريد . ثم ان هناك الفاظاً اخرى وضعها احمد فارس لم اتمكن من تحقيقها . ولعل بعض الباحثين يهديها اليها ولا بد انهم يعرفون شيئاً كثيراً منها . وقد نشرت هذا الجدول خدمة لمجمع اللغة العربية ومنهم من يعرفها بلا شبهة ويعرف غيرها واما احببت نشرها تذكرةً . وأظن من المستحسن ان يضع المجمع قراراً يثبت فيه ما يراه موافقاً وينبذ غيره ويأتي بغيره فبذلك تكون قرارات المجمع على اساس وطيد فلا يقول احد بعد ذلك ان الكلمة الفلانية مسروقة والعياذ بالله والمجمع لهُ صفة رسمية فلا عذر لترك الامور تجري على غواربها قصداً وبعد عمر طويل يموت بعض اعضاء المجمع وتفقد هذه الكلمات او تفقد اسماء واضعيها فقد انقضى خمسون سنة على وفاة احمد فارس ونحن لا نعرف بالتأكيد انه وضع الجريدة والباخرة ومن لا يقرأ الجرائد ولا يركب البواخر ونحن لا نعرف من وضع المجلة والبيّنة ولا نعرف من وضع المجهر والمرقب فاذا كان اعضاء المجمع اللغوي لا يعترفون بالفضل لمن سبقهم فسيأتي يوم لا يعترف فيه بفضل لاحد من الناس

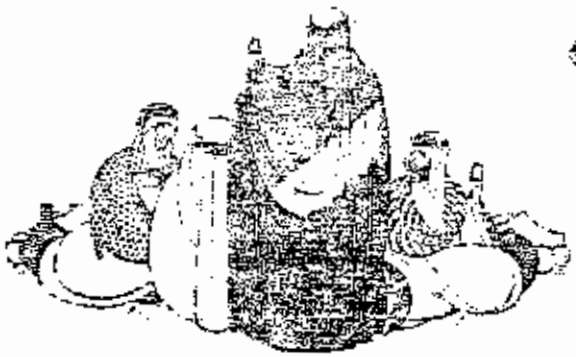

رحلة جغرافية عمرانية

لوصفي زكريا

— ٤ —

﴿ الظواهر الجوية ﴾ ان فصل الظواهر الجوية في اليمن عظيم وشديد وأكثر ما ترى هذه العظمة والشدة في قمم الجبال . فبخار البحر الاحمر والمحيط الهندي وما يتصاعد من جو تهامة اللاهب يميل دائماً للتكاثف فوق ذرى سروات اليمن ولا سيما فوق منحدراتها ومناكبها الغربية المتجهة نحو تهامة الحديدة . وكل الاماكن في تلك المنحدرات والمناكب يضربها الضباب المتلبد صيفاً وشتاء ، يحدث ذلك كل يوم من بعد الظهر الى غسق الليل وقد يدوم بضعة أيام دون انقشاع ، وقد لا ترى سماء الاماكن المذكورة صفاء الاديم خلال العام كله الا أياماً معدودات . وأروع مسارح النظر في جبال اليمن وأوديته تلك التي كثيراً ما يصادفها السائر في الطريق الصاعدة من الحديدة الى صنعاء وفي غيرها من الطرق أيضاً . فهو يشاهد أمواج الضباب من كثب وقد تحيط به وتحول دون رؤيته مناقذ الطريق فيخال نفسه غواص بحر زاخر ، او يشاهدها عن بعد بضع مئات من الامتار لم تلحق الطل الذي بلغه جامدة او منذة السير تحت أقدامه وهي غاشية الظلمات والمنحدرات وحاجزة المعاطف والعجاج فيحسب انه راكب طائرة يحلق فوق الغمام وفوق أعلى القنن الشاهقة الآخذ بعضها برقاب بعض

وتبطال الامطار في اليمن عجيب . ففي أيامها بينما تكون السماء صافية الاديم في الصبح والضحى تتلبد بعد الظهر بالسحب المكفهرة القاتمة واذا بالرعود تقصف والبروق تومض قصفاً ووميضاً متواليين وشديدين يبثان الروع والوجوم واذا بالامطار تهمر بشدة كأنها من أفواه القرب وكأن فصل خيوطها ضربات السياط ، تظل على هذا المنوال ساعة او ساعتين ثم تنقطع ،

فتهدأ ثورة السماء وتبقى الارض وما فيها من الجبال والاودية والقيعان رياضة فياضة بالسيول الدافقة او الغدران المجتمعة ترى انتشار قطراتها وتسمع خريرها وهديرها الى مدى بعيد مما يهيج السمع والبصر ناهيك بالطيور التي تحلق وتتذمر من لجاج الصخور وغصون الاشجار مغردة زاهية . واذا أمسى المساء تبدد الغيوم وتسطع النجوم واذا أصبح الصباح تبزغ الشمس وتتكبى اشعتها على قطرات المطر المتبقية فتظهر كالدراري اللامعات وتظهر السماء صاحية ضاحكة كأن لم يحل بالامس شيء . . . فلا يأتي الظهر الا وتعود الغيوم للتلبد والسماء للاكفهرار والرعود للدوي والامطار الى ما فعلته مساء أمس . . . وهكذا في كل يوم . .

وهذه الامطار تهطل في اليمن في مواسم معينة تخالف ما في الشام وأشباهه من الاقطار . فهي تبدأ في شهر مارس وتدوم حتى سبتمبر ومن عادتها انها تقل في مايو ويونيو وتشتد في شهري يوليو واغسطس وانها — كما قلنا — تمطر في الغالب من وقت الزوال الى أخريات النهار

بيد ان الامطار قليلة او هي أقل من الحاجة في اليمن . فهو على الرغم من حوطته بالبحر الاحمر والمحيط الهندي في غربيه وجنوبه ومن ان الجبال الجنائبة للسحب ممتدة في أكثر مساحته ليست أمطاره غزيرة بقدر غزارتها في المناطق المماثلة له في العرض والوضع الجغرافيين في آسية وافريقية . وهذه القلة هي التي دعت سكان اليمن الاقدمين — وهم الذين آثارهم تدل على انهم كانوا أيقظ وأنشط من سكانه الحاضرين — الى ان يخزنوا السيول الفائضة في موسم الامطار ولا يضيعوا قطرة منها بفضل الاسداد التي شادوها وقد تقدم ذكرها

واذ كانت صخور اليمن البركانية الجرد الصم غير صالحة لخزن المياه في أجوافها بالقدر الكافي لاسالة الانهر العظيمة لا نجد في اليمن امثلة لانهار البلاد الجبلية كما في الشام والاناضول وجل ما هنالك ينابيع وعيون ثرة تتدفق هنا وهناك بمقادير لا تزيد في أكبرها عن خمسين ليتراً في الثانية تنجري في الاودية التي تقدم الكلام عنها ان كانت بين الجبال او تجري في قنوات أو مجار مسدودة او مكشوفة يدعونها « غيول » جمع غيل ان كانت قرب القرى والمدن ينهلون منها ويروون بها مساحات يسيرة من الارضين أحياناً

على ان مقادير المطر في العصر الاخير صارت اقل مما كانت عليه في العصور الخوالي ، يظهر ذلك للبحث في كثرة السيول والاودية الجافة او الجارية وعمقها المتناقص . ولم يسجل ميزان المطر في مرصد صنعاء الجوي [1] سنة ١٩٣٥ اكثر من ٣٠٠ ملمتر . وهذا المجموع العالي لسنة واحدة

(١) وضع هذا المرصد العالم الالماني راتجنس الموفد من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٣ وقد مكث ورفيق له في اليمن سنتين يبحثان ويحرسان آثاره الجيدية وتشوقه الجغرافية والطبيعية التي امكنهم الوصول اليها ورضا كتاباً عنيفاً عن نتائج ابحاثهما

وان لم يكن كافياً للاعتداد به ، لكن بقية السنين لا تكون فيها الزيادة على ما يظهر اكثر من نصف او ثلثي المجموع المذكور، وهو يعد قليلاً على كل حال اذا قيس بجفاف اقليم اليمن وجفاف صخوره وتربته . ولا يزال شيوخ صنعاء يذكرون بحسرة آبار النيول بالماء . وقد كانت مثلاً قبل ٤٠ — ٥٠ سنة تروي في شمالها مساحات واسعة في قرى شعوب والروضة والجراف ، فاصبح الآن بعضها جافاً كل الجفاف وبعضها تناقص الى ثلث او نصف مقداره السابق فصارت تلك المساحات غامرة باسرة بعد ان كانت زاهرة ناضرة. ولم يتسع لي الوقت للاهتداء الى اسباب هذا التناقص الذريع أكان من اسباب بيولوجية بحكم وفرة الزلازل وتوالي تصدع الارضين وغور النابع ام من الفتك بالحراج واستئصال الاشجار خلال الحروب والفتن التي لم تنقطع في اليمن الا منذ عهد قريب أم من عوامل جوية وفلكية ؟

ولما كان القطر اليماني قريباً من خط الاستواء تختلف فصول السنة الاربعة فيه عن نظائرها في الاقطار البعيدة عنه . ففي اليمن يكون الربيع في اشهر يناير وفبراير ومارس والصيف في ابريل ومايو ويونيو والخريف في يوليو واغسطس وسبتمبر والشتاء في اكتوبر ونوفمبر وديسمبر . واليمانيون لا يستعملون في التوقيت الا الاشهر القمرية العربية ، فهم لا يعرفون اسماء الاشهر الشمسية الافرنجية ولا السريانية . واذا ارادوا التوقيت على الحساب الشمسي لمعرفة مواعيد الزراعة استعملوا اسماء البروج التي تنقلب فيها الشمس . فيأتي فصل الربيع عندهم في بروج الدلو والحوت والحمل والصيف في الثور والجوزاء والسرطان والخريف في الاسد والسنبلة والميزان والشتاء في العقرب والقوس والجدي . ويستعملون اسماء منازل القمر وهي مجامع النجوم التي ينقلب فيها القمر وعدتها ٢٨ منزلة وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك . ولهم في تعيين مواسم الزراعة اصطلاحات غريبة كالفارع والشتا والصواب والظلم والصلم والطب وسهيل وعلان والروابع الاولى والاخرى وامثالها مما يطول عده وشرحه

واذ كان القطر اليماني في داخل المنطقة الحارة يحصل في حياله وتهامه ما يحصل في بقية البلاد الداخلة في المنطقة المذكورة من حر وقر قد يكونان شديدين في بعض الاماكن والفصول .

(١) ابن الهمداني يعزو تأثير الزلازل في تقليل مياه اليمن . قال في كتابه الاكليل ج ٨ ص ٨٨ عند كلامه عن جبل وادي سهر . (وكان هذا الجبل في الجاهلية على ضعف ما هو عليه اليوم حتى وقعت في اليمن زلازل قطعت بعض ماءاته)

والحرارة تتبع العلو عن سطح البحر ، فهي شديدة في تهامة وضيفة في الجبال . ويضاف في اليمن إلى اختلاف الحرارة بين الجبال والتهائم بل بين مكان وآخر في الجبال والتهائم نفسها اختلافها أيضاً في ذات المكان وفي كل يوم بين الصباح والظهر والمساء وبين الهزيع الاول والثاني من الليل. ثم ان الضباب الذي لا ينقطع انتشاره في الاماكن المتجهة الى الغرب في ظهر السلة والمطر الذي لا ينقطع تهطاله في موسمه بعد الظهر من كل يوم يسببان حين تدومهما هبوطاً في درجة الحرارة تكون فجائيًا ومؤثراً . وهذا الهبوط يلجئ اليمانيين ولا سيما أهل المدن منهم الى قطعة من القطن يطوونهم بالملحفة وهي قطعة نسيج من الصوف مستطيلة واسعة لا بد لكل يماني ان يحملها صيفاً وشتاء على منكبه ، فهم يلتحفون بهذه الملحفة ويتدثرون بالقرو ويهرعون الى مساكنهم ويكبون على تخزين القات وشرب منقوع قشر البن الساخن دفئاً للبرد الذي يخشونه كثيراً

وكلما ابتعد السائر من الساحل ومشى نحو جبال الداخل يشعر بالانتعاش من خفة الحرارة والرطوبة وتناقصها التدريجيين ومن ازدياد الجفاف . وهذا الجفاف البالغ حده الاقصى في اقليم الجبال يؤثر وينفع في فناء بعض الميكروبات او عدم نموها وتكاثرها . والضباب يكاد لا يحدث في صنعاء ، لجوها شديد الجفاف لا يعرف الرطوبة الا قليلاً في موسم الامطار كما انها لا تعرف الحر ولا البرد الشديدين . فهواؤها سجسج عليل في أكثر الايام . ودرجة الحرارة في موسم الصيف وقت الزوال تختلف بين ٢٥ و ٢٧ . وفي الصباح بين ١٢ و ١٣ واشد ايام البرد فيها من عشرة الى خمسة تحت الصفر ويصعد الى نحو ٣ تحت الصفر ويعود للارتفاع في النهار الى ١٥ او ٢٠ وأكثر مدن النجد اليماني العالي وقراه على هذا المنوال من الاعتدال اللطيف . وإذا هبطت الحرارة الى الصفر وتحته يتجمد البرد على الماء زرداً وقد ينزل الجمد المعروف بالبرد وقد تكون حباته كبيرة كالبندق او الجوز ، وقد يبقى هذا البرد على وجه الارض بضعة ايام دون ان يذوب . وزعم بعضهم ان الثلج المعروف في جبال الشام يهطل على قمة جبل النبي شعيب (٣٥٠٠ متر وهو اعلى قمم اليمن طرًا) ولم يتحقق ذلك . ولو كانت نجود اليمن وجباله في عرض القطر الشامي لغمرتها الثلوج واستحال العيش فيها كما استحال على ما هو اعلى من ١٥٠٠ متر في بلاد الشام

(الاقليم) يراد بالاقليم مجموع الظواهر الطبيعية والكيماوية الحادثة في جو مكان ما وارضه. ويهتم الباحثون بهذه الظواهر لانها من اشد العوامل تأثيراً في حياة حيوان ذلك المكان ونباته وفي درجة نموها وارتقائها . فاليمن في جملته ذو اقليم عجيب يختلف كل الاختلاف عن بقية الاقاليم المعروفة . وشكل ارضه وارتفاعها كلما تبدلا امام السائر من الساحل الى قمم الجبال تتبدل معهما رقة الهواء وخفه ونقاوة الماء وطعمه . فنشأ بحكم ذلك التبدل اقليمان مختلفان احدهما حار خاص بتهامة والثاني بارد او معتدل خاص بالجبال . ثم إن كلاً من هذين الاقليمين ايضاً يحوي

اقاليم عديدة لاختلاف الارتفاع والانخفاض والاتجاه والانبساط اختلافاً بارزاً في رقاعه المتفصلة

فشروط الحياة والمعيشة التي تتغير بتغير الظواهر الطبيعية والكيمياوية في تلك الاقاليم اوجبت ايضاً تغير اشكال النباتات والحيوانات والوانها في كل مكان . لهذا تجد في اليمن اعشاباً واشجاراً وازهاراً وأثماراً من التي تنشأ وتنمو عادةً في المناطق الحارة والباردة وما بينهما من المناطق المعتدلة . لكنك كلما صعدت من أسفل إلى أعلى وكلما جلت من اليمين إلى اليسار رأيت اجناساً من النباتات وأنواعاً وميزت اشكالاً والواناً وروائح تختلف ولو قليلاً عما رأيتهُ وميزتهُ منها في مكان آخر من اليمن نفسه . ناهيك باختلافها عما في بقية الاقطار كالشام والاناضول مثلاً . وأكثر الفصائل النباتية المعروفة في بقية الاقطار الشرقية والغربية لها افراد وجماعات في اليمن . لكن هذه تختلف نوعاً عن نظائرها في تلك الاقطار باللون والحجم والطعم . فالحرنوب مثلاً ويدعونهُ في اليمن قرنيط اصغر ورقاً وارفع قروناً وأقل حلاوةً من خرنوب جبال الشام . ومثل ذلك التين ويدعونهُ البَلَّس فهو لا يكاد يؤكل من رداءته . وعلى ذلك قس بقية الاثمار من مشمش وتفاح وسفرجل وليمون وغيرها . فقد اثر فيها الاقليم وانخفض جودتها ، حاشا العنب فان انواعه في غاية من الطيبة

ويختلف حيوان اليمن ايضاً عن امثاله في بقية الاقطار . فبقره مثلاً ذو سنام ضخم يتدلى فوق اعلى الكاهل ، والعراب من خيله ذات مزاج عصبي شديد ، لا تسير الا قفزاً ووثباً ، وجمله رفيع القوائم صغير الجثة لا يحمل الا اثقالاً خفيفة ، وغنمهُ عديم الصوف او قليله نحيل الجسم ، وبشره اقرب الى قصر القامة وصغر الهامة وهزال الجسم وشحوب اللون ورخاوة المزاج منهُ في بشر سائر الاقطار العربية

ناهيك بزي اهل اليمن في الاكتساء والاحتذاء وفي المذاهب والمشارب وفي الاطوار والعادات . فان لكل من اقاليم تهامة والجبال فروقاً بارزة في هذه الشئون . فجميع سكان تهامة وبعض سكان الجبال نصف عراة بينما سكان المدن وبعض اهل القرى يكتسون وقد يتدثرون بالفرو . والتهامي يعجز عن توقل عقبات الجبال والقفز بين صخورها ومنحدراتها الكأداء شأن اهل الجبال ، كما ان الجبلي تخور عزائمه اذا اضطر للغوص في رمال التهائم . وابن هذا الوادي يصعق اذا صعد الجبل الذي فوقهُ ، وابن ذاك الجبل يغشى اذا هبط الوادي الذي تحته ، وكل منهم راض بما قدر له ، لا يمكن لاحدهم ان يقاتل الثاني الا اذا استدرجهُ الى أرضه . وصف الهمداني هذه الحالة في « صفة جزيرة العرب » فقال مثلاً عن جبل تخلي : ومن ولد في رأسه فقيع غير صحيح وخاصة النساء ومن ولد في صفحه فصيح غير فيح ، وطباع سكنه وأهله يخالف طباع من في صفوح في العقل والنجدة والطول . اه

(عالم النبات) قلنا ان اكثر الفصائل النباتية المعروفة لها افراد وجماعات في اليمن — حاشا الصنوبرية فاني لم أر لها اثراً الا عدداً قليلاً من السرو في صنعاء وذمار جلبهُ الترك في زمنهم فيها وقد أخذت معي الى اليمن في ما اخذتهُ من مختلف الاشجار المثمرة وغير المثمرة مئات من غرس السرو الاهرامي والاتني والصنوبر المثمر والصنوبر البري المعروف بالحلبي والعفص والآروكاريا والكازواريا، غرست ذلك في اماكن مختلفة من صنعاء، فان ابقوا عليه وعنوا به ازدان نجود اليمن وجباله بهذه الاشجار الجميلة. وتضيق هذه العجالة عن تعداد نباتات بلاد اليمن وذكر اسمائها المحلية وقد عني بهذا الامر فيما مضى العالم النطيمي الشهير فورسكال احد اعضاء البعثة العلمية الدانماركية التي وفدت برئاسة نيبوهر الى اليمن سنة ١٧٦٣م (١١٧٧ هـ) وقد توفي فورسكال وقتئذٍ في بلدة بريم. ودرج العالم النباتي الالماني شوينفورت في كتابه المسمى (الاسماء العربية لنباتات مصر والجزائر واليمن) المطبوع في برلين سنة ١٩١٢ ما ذكره فورسكال من النباتات بحسب اصطلاح اليمانيين. ولم يخل الترك في زمنهم من عالم يعنى بدرس احوال اليمن من النواحي الطبية ولا سيما بدرس نباتاته، ومنهم الطبيب امير اللواء ابراهيم عبد السلام باشا صاحب كتاب (الرحلة اليمانية والجغرافية النباتية في اليمن) طبع الاستانة سنة ١٣٢٤ هـ والعالم الالماني رانجيس عني ايضاً بنبات اليمن. وفي كتابه جداول توزيع فصائل النباتات اليمانية بحسب ارتفاعات اماكنها عن سطح البحر

والذي يسترعي النظر في اليمن ولاسيما في الجبال هو اشجار الفصيلة الشائكة وانتشارها بكثرة هائلة يكاد لا يرى غيرها ومثلها الاشجار اللحمية الشائكة ذات العصارة اللبنية. والاولى تنتسب للفصيلة القرنية والثانية للفصيلة الاوفوربية فمن الاولى الانواع الآتية نذكرها مع اسمائها اليمانية:

سلم سلام «السنط»	Acacia arabica	قتات	Acacia senegal
صنق	" asak	سيال «في مصر طلح»	" seyal
سيلام	" flava	حارس	" tortilis
سمر	" spirocarpa	طلح	" abyssinica
عليه	" mellifera	الضعى	" glaucophylla
عرفطه	" nubica	دفران	" fruticosa

ومن الفصيلة القرنية ايضاً السدر Ziziphus spina Christi والسنا cassia abus والشرق cassia obovata وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره

ومن الفصيلة الاوفوربية الانواع الآتية :

عمق	Euphorpia Ammak		خريش	Euphorpia marticulata	
كلخ ، غلق	„ cactus		سيسب	„ monticola	
شرور	„ fruticosa		قصاص	„ polycantha	
ام اللبن ، مليئة	„ granulata		سبيع	„ peplus	
رميد	„ schimperi				

ونغني عن البيان ان الفائدة الاقتصادية من هذه النباتات معدومة او يسيرة . فلا يفيد بعضها الاّ للاحتطاب . ومن المؤسف ان يكون الفطر النباتي محروماً من الحراج التي لا يخلو منها امثاله من الاقطار الجبلية . ويظهر ان الحروب والفتن التي لم تنقطع من اليمن الاّ امداً قريب قضت على حراجه وجردت معظم جباله فلم يبقَ فيها من الاشجار والاحجم البرية الاّ ما هو قليل النفع قليل الالتفاف منتشر في مناكب الجبال ومنحدراتها وحول الاودية على حالة متفردة او على هيئة ادغال قليلة الكثافة واشجارها من الصفا الشائكة التي عددناها وليس في اليمن من الاشجار الصالحة للتجارة والبناء سوى (الاثل) — Camarix nilotica الذي يغرسونهُ في صنعاء بكثرة حول البساتين او كغابات صناعية ، وشجر آخر يحصل في الجبال يدعونهُ (طنب Cordia abyssinica) لا بأس بصلابته ، لولا ضمورة عمله وقلة وجوده وبليها من ذوات النفع القليل شجر الطالوق Ficus vesta يشبه جميز مصر والشام بضخامته ، لكن ثمره لا يؤكل وخشبه قليل الصلابة والنفع ثم الطلح والسدر وامثالها

وفقدان الحراج والاشجار الصالحة للصناعة يضطر اليمانيين لجلب اخشاب النجارة من البلاد الاجنبية واضاعة قسم من ثروتهم الضئيلة في سبيل شرائها . وهذا ما استوقف نظري حين شروعي بادارة الاعمال الزراعية فاستجلبت لهم من مشاتل ايطاليا مئات من اشجار الحراج التي تنمو في الاماكن الجبلية كالسنديان Quercus pedunculata والنيقب acer platauvides والسويد Ulmus campestris والدلب Platanus orientalis وأنواع الصنوبريات التي تقدم ذكرها ، ناهيك الاوكاليبتوس والكاتالبا والآكاسيا وغيرها مما يصلح للزينة ايضاً . غرست بعضها لاجل التجربة في مناكب جبل نقم المشرف على صنعاء وبعضها في صنعاء والقرى المجاورة لها . ولعلهم اذا ضوا بها وفاقاً لما علمتهم وكتبت واستكثروا من التي تنجح تجربتها عندهم يرون منافعها في المستقبل ويحدثون منها حراجاً تغنيهم عن جلب الخشب من الخارج

صدى قبلة

حرارتها لم تزل فائرة ونكهتها لم تزل عاطرة
أحس حرارتها في دمي كما تصرخ الشعلة الثائرة
وأنشق نكهتها كالشذا يفوح من الزهرة الناضرة
وتخطر رياتة في فمي كما يخطر الحلم بالذاكرة
وبين يديّ صدى ضمة تردّدُ كالنغمة السائرة !
أجل ! ليس هذا الذي قد ضممت سوى نغمة حلوة عابرة
أذلك جسم ؟ فأين الخيال وأين عرائسه الثائرة ؟

* * *

تقدستِ من قبلةٍ قدّست سنائي وأوهامي الحائرة
وأذكت حياتي وإن الحياة هي الفتنة الحية الطاهرة
أجل هي اطهر ما في الوجود فما الرجس إلاّ القوى الخائرة

* * *

لمستِ ما كان في خاطري خيالاً وأمنية طائرة
وقرّبتِ للحس ما لم تكن تقرّبه الفكرة الخاطرة
وأسريت بالروح في لثمة تحس بها الشفة الشاعرة
أمعجزة أنت تمزج بين الجسم وبين القوى الطائرة ؟
قوّى كل هيكل هذا الوجود كذلك قدّرتِ يا قادرة !

* * *

وإني لأغمض في نشوة وأمسك أنفاسي الساعرة
وأخطرها قبلة في فمي فأسمع أصداءها الساحرة
وأسترجع اللحظات القصار فألفي بها صوراً وافرة
وأعرضها منظراً منظراً كما عرضت قبل للباصرة
ثوانٍ تركّزَ فيها الزمان تبارك دنياي والآخرة

حلوان — سمير قطب

حيوانات مشهورة

وصحة أسمائها

للفريق الركتور امين المعلوف

اظن القراء ضجروا من الحيوانات العظام وهم يريدون شيئاً عن الحشرات فنها وفي غيرها امور مطربة منها حكاية الاصمعي والاعرابي فلتراجع قصة الاعرابي والاصمعي . ولنبدأ الآن بالخنفساء

خنفساء وفيها لغات — Beetle

حشرة من مئة الاجنحة ذكرت بعضها في ص ٣٣ وذكرت لغاتها والعامة تسمي بهذا الاسم واحدة منها هي بنت وردان ذكرتها في جزء مضى من المقتطف

ذُرّاح والواحدة ذُرّاحة وفيها لغات — Beetle, Blister beetle

وهي الحشرة التي يصنع منها المقطّط ويقال لهُ ذبان جندي والاخضر لونه

فاسية وقاسياء — Beetle, Bombardier beetle

عُريقطة وفيها لغات — Beetle, Rhinoceros beetle

خنفساء عظيمة لها قرنان كبيران في مقدمها ذكرتها في ص ٣٣ و١٧٦

خُنظُب وفيها لغات . والجمع خناظب — Beetle, Stag beetle

قَرَنبى — Longicorn beetle, any of the Cerambycidae

خنفساء عظيمة طويلة القرون ذكرتها في ص ٥٥ واوردت فيها ابياتاً للاخطل قبحهُ الله قال

ألا يا عباد الله قلبي متيم ... بأحسن من صلى وأتبعهم بعلا

نيام اذا ناست على عكّاتها ... ويلتم فاهاً كالسلافة او أحلى

يدب الى احشائها كل ليلة دبيب القرنبى بات يبلو الثقا سهلا

قلت فقول مثل هذا يعجب الناس بالقرنبى وان كانت من الحشائش

جُعَل كصُرَد ورطَب والجمع جُعْلان Scarab beetle

والناس يسمونهُ أبا جعران او جعراناً اسود . وللذكر قرنان. والعرب تزعم انهُ يموت برج الورد ومن ازرج الطيب : قال المتنبي « كما تضر رياح الورد بالجعل » . وكان الجعل مقدساً عند قدماء المصريين وهو مشهور. وللدميري فصل كبير في الجعل

عُوْمه والجمع عُوَّم Beetle. Water beede

حشيشاء صغيرة تسبح في الماء الراكد وفي تاج العروس العومه بالضم دويبة تسبح في الماء كانها نقطة اسود مدمك ج عوم كصرد وانشد للراجز يصف ناقته

قد رَدَ الماء تزيّ عُوَمه فتتيح ماءه تلهمه

حتى يعود دحضاً تشمّه

عومه دَوّامة Beetle, Whirligig beetle

وهي عومة تدور في الماء ذكرت هاتين العُوَّم في ص ٣٤ وص ٩١

زِيز . زِيز الحصاد Cicada. Seventeen year locust

حشرة نجانسة الأجنحة تعرف بهذا الاسم في الشام

في مفردات ابن البيطار طبعة مصر زيز وفي نسخة لكلير زير بالراء المهملة والصواب كما جاء في النسخة المصرية . وفي دوزي زيز بالزاي وقال ان اللفظة بربرية وتجمع على زيزان قلت وهو الجمع الشائع على ألسنة العامة في الشام . وفي محيط المحيط الزيز دويبة تطير وتقف طويلاً على الشجرة ولها صوت كأنها تقول فيه زيز فسميت به وأكثر العامة تقول حيز . قلت وهي مشهورة في الشام بالزيز وزيز الحصاد

فصيلة الزيزان او فصيلة زيزان الحصاد Cicadidae. Cicadas

ذكر الزيز على صحتها الياس انطون الياس وخليل بك سعد وقال النجاري بك الصرار وهي فصيحة ولكن الصرار ليس خاصاً بالزيز ولعلّ النجاري بك إعتمد النسخة الفرنسية لا النسخة العربية والاّ لما فاتهُ ذلك وسئل الاب بلو اليسوعي . ولعلّ البعض سموا الزباب بالزيزي كما ذكرت في معجم الحيوان ص ٢٥ لانهُ يأكل الزيزان . والله أعلم

فصيلة بنات يومها او بنات اليوم Ephemeridae. Mayflies or ephemeral flies

هي فصيلة من رتبة عصبية الأجنحة يقال للواحدة منها ابن يومه او ابنة اليوم وهي دويبة طويلة الجسم لونها الى البياض او الصفرة أجنحتها طويلة مثلثة ومرتفعة الى فوق في وقت الراحة. ينتهي مؤخرها بخيطين في الذكور وبثلاثة خيوط في الاناث وهي تولد عند أفول الشمس وتموت عند شروقها (عن لغة العرب بتصرف ٢ : ٩ وما بعدها)

وللاب أنستاس مقالتان في لغة العرب في السنة الثانية ذكر فيها هذه الدويبة ووصف رجلين أصيبتين لهُ الى حلب ثم عودتهُ في الطريق عينها بعد سنوات ومن الاسماء التي ذكرها الأب السلامة ابنة اليوم كما تقدّم لانها لا تعيش اكثر من يوم وهو معنى اسمها اللعي اليوناني. والخيتور لانها سريعة الزوال روى الاب المحترم انهُ سمعها من الاعراب النازلين على الفرات وهو في طريقهِ الى حلب وهذا يوافق اسمها اليوناني والزخرف لانها زينة الماء والسدران سمعها من الاعراب النازلين على نهر الخابور. وذكر من أسمائها الشائعة في بغداد كليلو او جليلو وقال صحتها نكلة او ذات الاكليل وزالو فقال صوابها الزلال وهو دود يرد الماء الى آخر ما جاء في مقالتهِ المتعة وقد أرجع فيها الالفاظ العامية التي ذكرها الى الفصيح من الكلام ووفق بين ما سمعهُ من الاعراب وبين ما ورد في كتب اللغة ولو انهُ وجد شيئاً من الصعوبة في هذا التوفيق. ولا يخفى ان الأعراب اصحاب ذوق وظرف فلا يردُّون سائلاً ولا يكذبون قائلاً ولو سألهم الواحد هل تسمون هذه الدويبة جملاً لقالوا أي والله نسميها جملاً وناقة. قلت واني أجد صعوبة في التوفيق بين قول أعراب الفرات والخابور وما جاء عن الخيتور والزخرف في كتب اللغة وأظنها يوافقان ما يسميهِ علماء الحيوان Hydrobatidae كما سيذكر في هذه المادة. وقلت في ص ١٣٠

زُخارف Hydrobatidae. Syn. Hydrometridae. Water skippers or water striders

والواحد زُخْرُف. بقّ طويل القوائم يكون فوق الماء الراكد يَسْتَنُّ فيهِ اي يقفز ويعدو ذهاباً وإياباً يقال لهُ خَيْتَعُور وقَمَص

قال في التاج الزخارف دويبات تطير على الماء كما في التهذيب زاد في الباب ذوات اربع كالذباب وفي المحكم ذباب صغار ذات قوائم اربع يطير على وجه الماء قال اوس بن حجر

تذكّر عيناً من عُمان وماؤها له حَدَبٌ تستنُّ فيهِ الزخارف

وفي المخصص واللسان مثل هذا كذلك في حياة الحيوان وانما الدميري اورد بيت اوس وقال عمان في النسخة المطبوعة في مصر وقرأها الكلوتل جايا كار عمان وسواء كانت عُماز او عُمان فللمعنى واحد في ما لهُ علاقة بوصف الزخارف ولا سيما قوله « تستنُّ فيهِ الزخارف » فقد ترجمهُ

الكولونل جايا كار ترجمة حسنة جداً بالعبارة الآتية In which az-zalcharif go about briskly وفي اللغة استنّ الفرس قمص وعدا اقبالاً وادباراً فوصف التاج للزخارف وما قاله اوس بن حجر في البيت المتقدم لا يترك شبهة في ان الزخارف هي الدويبات المعروفة عند الانكليز بالاسمين الذين تقدم ذكرهما

واحسن من ذلك وصف الخَيْتَمُور فما جاء في هذه المادة عن التاج « الحمرة الاضمحلال .... وكل ما لا يدوم على حالة واحدة ويتلوّن ويضمحل . . . . وشيء كنسج العنكبوت يظهر في الحرّ ... والخيتمور الدنيا على المثل ... الى ان قال في التاج والخيتمور دويبة سوداء تكون في وجه الماء وفي بعض النسخ لا تثبت في موضع الاّ ريثما تطرف وامرأة خيتمور لا يدوم ودها » فهذه الدويبة لا يمكن ان تكون الدويبة المعروفة بابنة يومها على ما روى اعراب الفرات للاب انستاس ما لم يسرد بذلك المعنى المجازي للفظة اليونانية فانها تكاد تكون ترجمة حرفية لها وليس احسن منها وكنا نود ان يكون وصف الدويبة المعروفة بالخيتمور في كتب اللغة موافقاً لوصف ابنة يومها فتكون الخيتمور موافقة للفظ اليوناني الاصل في جميع معانيه . ولعل اعراب الفرات الذين سألهم الاب انستاس يسمّون اليونانية والالفاظ الطبية التي من اصل يوناني

قلت ولعل من اسماء هذه الدويبات القَمْص وهو على ما جاء عنهُ « ذباب صغار تكون فوق الماء او البق الصغار على الماء الراكد » واظنهُ سمي بذلك لانهُ يقمص اي يثب [Sen Ephemeridan]

فنجد ان ابنة يومها هي الدويبة الاولى ولا اعرف لها غير هذا الاسم ويكاد يكون ترجمة العامة لاسمها اليوناني الاصل وان الزخرف والخيتمور والقمص هي الدويبة الثانية بلا اقل شبهة ولا يمكن ان تكون ابنة يومها على الاطلاق وان الاسماء الاخرى التي اوردها الاب المحترم وقيل انهُ سمعها من اعراب الفرات والخابور اسماء خيالية تدل على سعة العلم وليس على دقة الرواية . ولو ان البستاني ذكر شيئاً من هذا في محيطه او البازجي في ضيائه لكنا نرى عجباً من نقد الاب بعد وفاتهما . فالاب صديق قديم تمكنت صداقتنا في بغداد وكثيراً ما اخذت عنهُ ولا ازال كذلك وانما وقعت وحشة بيننا سببها على ما اظن تحامله في النقد واني واثق انهُ يقبل ذلك مني ويأخذه بصدر رحب على عادته معي . ولطالما حدثتني النفس ان احوم على هذه المسألة حبًّا بالاب انستاس وعلمه وفضله فهو عالم كبير ومن زعماء رجال الدين فلا ترضى له بذلك . وكان يمكن النقد بلا ايلام الشعور . هذه كلمة صديق مخلص فأرجو ان لا تذهب سدى كما ذهب غيرها قاني اغار على الصديق الاب انستاس

وفي مقتطف مقبل تتمة الكلام على الحشرات بلا حذلقة او مداعبة ادبية !

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمد مصطفى الرمالي

— ١٩ —

أبو خلسا [1]

ويقال له (لسان الثور)

عشب معمّر دائم الاخضرار ساقه مستديرة ترتفع ٥٠ سنتيمتراً يكسوها زغب اسود خشن اوراقه مستطيلة الواحدة منها حادة القمة ذات زغب خشن. أزهاره زرق وهو غير النبات المعروف في مصر بلسان الثور [2]

اسمه اللغوي (Anchusa officinalis, L.) (آنشوزا اوفيسيناليس) [3] وفصيلته التجارية (Boraginaceae) (بوراغيناسية) وبالانجليزية (common bugloss) والفرنسية (buglose ou bugloss officinale) [4]

شائع في أوربا والشام كنبات للزينة وكان يستعمل قديماً في الطب والآن يستعمل كليّن وأوراقه عصارية وجذوره غروية يستعان بها في الصين على اظهار طفح الجُدَرِيّ

---

(١) وفي تاج العروس (ابو خلسا بالماء) المهملة

(٢) واسمه اللغوي (Borrago officinalis, L.) (بوراغو اوفيسيناليس) وبالانجليزية (borage) والفرنسية (bourrache)

(٣) اشتق اسم الجنس آنشوزا من آنخوسا اليونانية ومعناها صبغة

(٤) اشتق اسم (bugloss) الانجليزي و (buglose ou bugloss) الفرنسي من كلمتين يونانيتين (بوس) ومعناها ثور و (غلوسا) ومعناها لسان أي لسان الثور ذلك لان الورقة من هذا النبات طويلة وخشنة كلسان الثور

الشَّنْجَار [1]

بالكسر معرب (شنكار) الفارسية ويقال له ايضاً (خَسّ الحَمَار) و(ساق الحمام) و(رِجْل الحَمَامة) و (الحُمَيْرَاء) و (حِنَّاء النُّولة) و (حَنَّا القول) و(هُيُوفيلون) على ما جاء في تاج العروس وغيره

عشب معمّر يرتفع الى قدم ونصف الورقة منه اهليلجية الشكل مستطيلة منفرجة القمة وأزهاره ارجوانية

اسمه العلمي (Alkanna tinctoria, Tausch.) او (Anchusa tinctoria, L.) (آلقانا تنتوريا) او (آنشوزا تنتوريا) من فصيلة لسان الثور وبالانجليزية (dyer's bugloss;) والفرنسية (buglose ou bugloss des teinturiers;)

معروف في مصر والشام وشائع في جنوب اوربا في البقاع الرملية والحجرية حول البحر المتوسط الى بلاد الهجر وهو من نباتات الزينة كالسابق . ولاشتمال جذره الاحمر القارب الى السمرة على صبغ احمر كانوا يستعملونه قديماً لتحمير الوجه حين لم تكن الاصباغ الخفيفة معروفة والشنجار يزرع في جنوب فرنسا من اجل جذوره المستعملة صبغاً احمر جميلاً للمراهم والزيوت والشمع وسائر المواد الدهنية وفي تلوين الانبذة الكحولية وغش بعض المركبات حتى تشبه نبيذ اوبورتو المشهور. وثمّ انواع اخرى من جنس آبي خلسا او لسان الثور نذكرها ما يأتي :—

(١) (لسان الثور الايطالي) المعروف في الشام (بذَنَب القِطّ)
واسمهُ العلمي (Anchusa Italica, Retz.) (آنشوزا ايتاليقا)
وبالانجليزية (Italian bugloss) والفرنسية (buglose ou bugloss Italique)

(٢) (الكَحْلاء) في مصر والشام واسمهُ العلمي (Anchusa Milleri, W.) (آنشوزا ميلّري) وبالانجليزية (pink bugloss)

(٣) (الخِشْخِيم) في الشام واسمهُ العلمي (Anchusa strigosa, Labill.) (آنشوزا أستريغوزا)

(٤) (الشُّبَيْنط) او (الدُّبُّون) في مصر والشام
واسمهُ العلمي (Anchusa aegyptiaca, L.) (آنشوزا إيجيبتاقا)

(٥) (الجَنْوَيْن) او (السَّمَلِيق) او (لِسَان الشَّنْجَة) في مصر والشام
واسمهُ العلمي (Anchusa aggregata, Lehm.) (آنشوزا اغريغاتا)

---

(١) وفي تاج العروس (السنجار) بالسين المهملة ايضاً

أبو ذَنَب (١)

من نباتات السودان ويقال لهُ ايضاً (ذَنَب النَّعْجَة)
ضرب من النجيل يمتر وتكون لهُ خُصَّلات كثيفة سوقه دقاق كالاسلاك قد ترتفع الى ٢½ قدم اوراقه ضيقة ليست غزيرة ولهُ سنابل فرادى طول الواحدة منها قدم
اسمهُ العلمي (Ctenium elegans, Kunth) (استينيوم الغانس) وفصيلته النجيلية

أبو عَيْن صَفْرَاء

ويقال لهُ ايضاً (زَعْلِيل) و (رِيمِث) و (رَعْرَاع أَثُوب) نبات مزغب بشعيرات دقاق بيض يرتفع الى قدم او اكثر ورقه اهليلجية الشكل مستطيلة على نوع ما عديمة العنق طولها ٥ سنتيمترات تقريباً وزهراتهُ مجتمعة في نورات صفر كل واحدة منها مستديرة
اسمهُ العلمي (Pulicaria vulgaris, Gaertn) (بوليقاريا ولغاريس) وفصيلته المركبة وبالانجليزية (small fleawort)
شائع في مصر والسودان ويقال انهُ طارد للبراغيث والبعوض

أَبُو رُكَب

عشب معروف بهذا الاسم في السودان ويقال لهُ فيه أيضاً (ذَنَب العَبْلاَنِي) و(فاكهة) و (لَعْنَاعَة) و (عِرْق الأُسْدَة) و (عِرْق الدَّم) وفي الشام (لُعَيْم) ساقهُ خشبية . أوراقهُ إهليلجية الشكل متقابلة . يتراوح طول الواحدة منها بين ٥ سنتيمترات و ٧ وزهراته مجتمعة في سنابل بسيطة عادة يتراوح طول الواحدة منها بين ٥ سنتيمترات و ٤٠ وثمرته منحنية شائكة على نوع ما
اسمهُ العلمي (Achyranthes aspera, L.) (أشيرانثيس آسبرا) وفصيلتهُ الأمرنثية أو أو فصيلة عرف الديك (Amarantaceæ) (امرانتاسية) وبالانجليزية (rough achyranthes)
شائع في السودان ومصر والشام وأهل السودان يضمون الجذر منهُ بعد مضغه على الجراح لالتئامها

أَبُو جَاوِي

شجيرة شائكة معروفة بهذا الاسم في السودان أوراقها إما متقابلة أو تكون كل ثلاث أو أربع

(١) هذا النبات وشبهه مما سنذكره خاصاً بالسودان قد رجعنا فيه الى ما جاء في كتاب (بروس وسلي) عن نباتات السودان بتصرف

منها مجتمعة معاً الواحدة بيضية الشكل طولها ١٥ سنتيمتراً وأزهارها فرادى طرفية بيض اللون أو صفر وثمرتها بيضية الشكل أو كرية طولها ١٠ سنتيمترات

اسمها العلمي (Gardenia lutea, Fresen.) (غارديتيا لوتيا) وفصيلتها القهوية

وأهل السودان يتماطون أثناء الشتاء عن جذورها بعد التلبان مع دقيق الذرة دواء على البول الاسود المعروف وخشبها صلب صنيق أصفر اللون قاتم تصنع منهُ مقابض للسكاكين وقد تتخذ الشجيرة رائينجاً عطراً يستعمله العرب هناك في بعض شؤونهم وثمرتها معروفة هناك في تسمم السمك

أَبُو فاس

نبات سوداني معروف بهذا الاسم ساقه مزغبة بشعيرات طوال مختلطة بأخرى منتبية بعدد ورقتهُ بيضية الشكل ضيقة من طرفها طولها ٧ سنتيمترات تقريباً

اسمهُ العلمي (Hypoestes verticillaris, R. Br.) (هيبوستيس ورتيسيلاريس) وفصيلته الشوكية (Acanthaceae) (اكاتاسية) وتستعمل جذوره صبغة للحصر في السودان

أَبُو عُلَيْبَة

عشب سوداني كالسابق تلتف ساقه . ورقته ذات خمسة فصوص إهليلجية مستطيلة يتفاوت طولها بين ٥ سنتيمترات و ٧ وأزهاره إما فرادى او كل ثلاث معاً صفر اللون تقريباً وثمرتهُ حق كرية الشكل فيه اربع بذور برتقالية اللون

اسمهُ العلمي (Ipomoea dasysperma, Jacq.) (ايبوميا داسيسبرما) وفصيلته المحمودية او اللاقة (Convolvulaceae) (كونولولاسية)

أَبُو دَجْلول

شجرة كبيرة معروفة بهذا الاسم في السودان ويقال لها فيه ايضاً (أُمّ دَجْلُول) و(جُلْجُل) و (زيتون) و (قُرَيْن)

الورقة منها ملساء مركبة من خمس وريقات الواحدة منها بيضية الشكل كالأسفين ذات عنق ظاهر طولها ١٥ سنتيمتراً تقريباً وأزهاره صغار تضرب الى الصفرة في نورات الواحدة منها كثيفة إبطية ذات عنق طويل وثمرتها في حجم الكريزة

اسمها العلمي (Vitex Cienkowskii, Kotschy & Peyr.) (ويتكس سينكوسكياي) وفصيلتها الفربية (Verbenaceae) (فربناسية)

والخشب من هذه الشجرة أبيض اللون خفيف وثمراتها تؤكل ويقال إنهُ قد يستعاض بها عن الشاي اذا خُمّست

حب المرأة

الى الخيام ، العاقل الالهي
الذي تكتب رباعياته في النفس
النشوة الخمرية المذهلة التي لا تنتهي
نشوة الله والخمرة والمرأة ...

آه ! يازهرة الصدر ، أيتها الزهرة المطبقة ،
أن — يأذن — تغيم تلك المحبوبة التي يجب عليّ
أن اسعى اليها بدموعي وحبي ؟

أهي شقراء ، ام سمراء ؟
وهي طائفة تحت شعاع القمر السحري
ثم عساها تحلم الآن
بعيدة عن حبيبها الذي لايزال في اطواء الغد ؟

أصغي يانفسي !
هذه هي اللحظة التي يتنهد فيها القمر الساجع في السماء ،
بأغنية رقيقة كأغنية شبابة تسول وتبكي !

قبل أن يهتك الموت — ذو السر القلق ،
ستار الاسرار التي عمّاها الله على اهل الارض ،
أحبي يانفس ! ولا تسألي عن مصدر وجودك
ولا تحفلي بما ينتظرك في اعماق المجهول !

لم يؤثر عن النزالي شعر ولم يعرف عنه انه نظم رباعيات ولكن الشاعر الفرنسي استطاع ان يقدم لنا كأسا منتقاة من كروم صوفية النزالي ممزوجة من كروم الخيام والشيرازي وقد نسجت عليها أضواء خاطفة من نشيد الانا شيد

وفي انتحال الليالي الساكنات الساجيات
في حرارتها ، وفي تحولها
وتحت شعاع القمر الذي فضفض النخيل
زهرة سدر تتفتق !

تقبلي قبلتي من فم الازهار !
هذه الازهار ، أزجيها الى شفتيك الورديتين ...
تقص عليك هموي المستريحة بضئيل من الفرح .
وأنهلي نداها وأنت تذكرين الدموع .

قربي صدرك ، وخدك الملتهب
من اقتاس ليالي الصيف ،
فاني قد سكبت روحي في الليل
لتمزج بجمالك !

لا لذة تبلغ لذة الحب .
ولا حرارة ملتهبة تشبه هذه الحرارة
ولا ثمرة طيبة تستطيع ان تهدىء ثورة شفتي .
وهي تذوب كشفتك حين تلاقي شفتي .

ان شعاع القمر كنهدة من تنهدات الليل .
كم من تنهدة في قلبي الذي يضطرب !
وفي قلبك تتذوقين لذة اتحادنا معاً
مع التنهدة التي لا تنتهي تنهدة السماء المضيئة .

لتحاب ولتحلم !
فانا لا نجد دائماً ازاء اعيننا هذه السماء الرقيقة .
والاموات لن يروا ابداً هذه الليلة اللطيفة الزاهية
التي تمسنا بلين وتزيد هوانا رقة وحنانا

لألي، ثغرك ، وزرقة عينيك
تتركني أبارك — حين تهتك عنك الحجب —
أبارك هذا الصانع الالهي الذي نثر على بساط السماء
هذه الازرار الساطعة الماسية من النجوم

بكأس من الخمر ، وحبات من التمر
وبساط من الزهر ، وبثغر الحبيبة الجميل ،
وعينيها اللتين أفسدهما التحول
أحس — يا إلهي — قبلتك في قلبي !

خيام ! في غرفتي الموصدة دون جميع اصوات العالم .
آه ما اعذب — بالقرب من المحبوبة —
لألاء القمر يفيض من اياتك !

تآخي يا روحي مع الكواكب المذهبة
ومع الارواح التي تلتهب في الليل الذي لا ينتهي .
تآخي مثلها واخفقي ، أحبي وتألمي . أحبي ايضاً .
وبالفجر والليالي السامية اسعدي !

ترنيمة الليل الهادئة الهائمة
تتحدر على المدينة الساكنة
وكل تأوهة ، وكل لفتة حولنا تسكن ، لتسمع هذه الترنيمة بوضوح .
ولكن اغنية عينيك أكثر من ترنيمة الليل رقة وحناناً .

اشرب يا قمر الحب بكأس عقيقية حمراء !
فان قمر السماء سيشرق بعدنا كثيراً على هذه الرياض
التي رأت ألف ربيع وربيع .
يشرق دون ان يجدنا في مثل هذه الليلة .

جسدك الجميل المنسخ بالطيوب الغالية ،
يخنق فؤادي في فضاء من العطور . . . .

ايتها النجوم ! يامرسيق السماء :
إن اغنيتك ترن رنات السكون .
وتتحد مع فكري حال استلامي للأحلام
على هذه الامواج حيث القمر يبرز متهادياً !

أتحلين حينما تطأ قدماك التراب ،
بأنك واطئة ماكان من قبل عيناً كحلاء لعاشقة طالما ضحك النور فيها .
أو ثمراً زاهياً رنَّ فيه صوت .

جمجمتك حيث تخطر الآن اهواؤك بكبرياء
ويرح اعماقك وكر فكرك .
قد تعثريها قدم عاشق ، مبعداً فمه عنك اشمئزازاً وغوراً .

وإذا كان — لا بد لك غداً — بأن تفدي من الموتى .
فاتركي نفسك وعقلك يسكران من الجمال .
وتأملي هذا العشب الجديد كيف يهتز للحياة
قبل أن يرى في جسدك الفاسد غذاءه ! !

ايتها الغواني اللواتي يحطمن كبرياء الفتاة !
وينزعن من الدموع بقوة جمالهن .
أية اسرار فيكن تجعلنا شاحبي الوجوه
وتتركنا في لحظات حبنا نتمنى الموت .

عيونكن تفتح لي عن فردوس قائم ،
عن فردوس بعيد يحيط فيه حلمي في المساء

سارحاً بين أزهاره ونجومه .
دون أن يستجلي فيها ذلك السر الذي تنطوي عليه .

اضواء القمر الزرق كم ذهل في اسرارها كثيرون من العاشقين !
كم ليالٍ مقبلة ، وعلى عظامنا ، هذه الاشعة ذاتها ستذهل الارض

شعرك الذهبي الكثيف المطيب بالمسك .
المتدلي كالعناقيد على تديك العاجيتين
جاعلاً بدنك ناعماً لامعاً اكثر اشراقاً من عسجد ،
تظلله في المساء سماء ذهبية تتلألأ فيها خيوط الشفق الغاربي .

اشعة ، او خطوط ، او الوان . كل ايقاع هو عبد .
انا تلك النفس التي تستطيع ان يغنيها جمال نظرة
وتشعر بموتها اذا لمعت عليها لمعة مجرمة من الجمال الكامل

ان الروض اللازوردي الكبير يريد ان يتفتح في الليل .
ياحبيبي تعال نرى — بعيداً عن الناس — القمر يرداء ملكة يتهادى الينا .
وفي هذا الروض الازرق تتفتح النجوم .

ان عيون من احببت :
عيون طافحة بالاحلام للصحب .
هذه العيون التي تبسم له بحنان ستلاقي فسادها .

كل اولئك الموتى مضطجعون على ظهورهم
يأكلهم دود الثرى منهلاً . . .
وهم يرشفون حول الظلمات
بتلك العيون المتفتحة ، الحدقة كثيراً .

هنالك رجال ما أرق اقسمهم ! لانهم صانوا في قلوبهم
رقة تركتها فيهم قبلة امرأة . . .

وعشاق قليلون تبلغ سعادتهم هدد الغاية ،
يختفهم الشفق الساطع الملتهب .

ان عندليباً يغنّي في ظلال نفسي
باكياً لذكرى ليالٍ قديمة في الصيف
وذكرى وردة كان جمالها المتوقد ، يسطع في الروض كالشعلة .

ولو ان الموت حال بيني وبينك فاني اراك بلا انقطاع .
واراك في كل مكان ورائي
وكنجمة ميتة تصفرُّ لها الليالي تعكس عليّ النور عينا امرأة هالكة .

كم من ايام بعدنا تزهر فيها هذه الاعواد البيض من زنبق
الليل وورد الفجر !
ما كنت لابغض الوجود قبل ان انزل فيه
فكيف ابغضهُ بعد ان أتوارى في المجهول ؟

بلى ! كل شيء باطل ، يموت ويبيد .
ان قصر هذا الوجود مشيّد على رمل !
والماضي والآتي هما موتان قاتمان في كل الجوانب .
وهذا الحلم الذي يسود الناظرين هو الذي يجعل عيونهم شرسة

قد يكون التأمل في بعض الخطرات في غير موضعه
وقد يقودنا الى طريق وعر
الا فتأمل — في وجه القمر — بين الحب .
فقد يكون تأملك هذا — على الاقل — عبد عينيك !

هذه الاكاذيب التي تغرينا بالحياة
وتجعلنا نصفح عن هذا العالم المجنون

أجيبها — وأحب منها الموسيقى والشعر والحب ،
وهذه السماء الرقيقة التي تدخل فيها النفس

لنفسي ، ولبيبي ، قدمي ثانية ضئيلاً من الطرب !
وافتحي حجبك البيض ، واتركي روحي الشفية التي
ترغب في الهدوء تستريح ، على صدرك الناعم الشاحب .

جسدك الناعم كالجين ، وعيناك هما لازورديتان .
يفوح عبير الياسمين من شفتيك الذابلتين . . . .
واذا شدوت أغنيتك في الليل فكأن كوكباً يتوارى في جالك الساطع .

قامتك كالسرو ، وعينك كالصبح صفاء . وخدك كالورد .
أريد ان أدري : لماذا القدر العابث بالكائنات ،
أبقاني حيًّا ثم أضواني ؟

عيناي ذاهلتان بوجهك المشرق
وكواكب عينيك وورد بشرتك .
قد يكون الفناء كامناً تحتها ،
وما همي ؟ اذا كان الجسد صافياً عزيزاً عليّ !

أيها القمر ! أنك انت القيثارة الفضية الرقيقة ،
وأشعتك البيضاء أوتارها .
يا ألهي . أنت توقع عليها برقة مع قلبي الكئيب الحائل .

عند ما يرخي الليل علينا ذوائبه الطويلة المرصعة بالنجوم والياقوت
أرخي أنتِ علينا غدائرك مثله ، وأزيحي هذه الكتب
ودعي جبيني مسنداً على ركبتيك دون ان تتكلمي !

قد يمكن ان نحب دون ايمان بمن نحب !

انني أعبد الجمال الذي أحس فناءه .
وأخيراً علمت بطلانهُ ؛ بطلان ما كنت أعبده حين أبدعتهُ .

جمالك الخادع هو كالفرسة التي تمشّى السم في اثناء عروقها الرقيقة
أن رغبات قاتلة تجول في عينك الصافية
كتلك الزواحف التي تنساب في بطون الغدران الزرقاء .

أجيل ناظري فيها ،
فاذكر البحر الجاني . . .
يتلقف الماردين والموتى جوفهُ
وهو — في الظاهر — ذو ضحكة صافية رنانة!

لكي يذيب جسدك، ويقتل نفسك
يعرف الموت ان يستولي على وجه امرأة
بعينين واسعتين صافيتين كالزهر تشبهين العين الغادرة التي تموتين بها

ايها القمر ! يا رأس ميتة تنير الليالي،
انت جئتنا علمنا ان كل شيء كاذب .
ايها القمر الذي تجعل السماء أكثر حناناً حين تنير حيناً ،
وتجعل احلامنا احلاماً آلهية

كل شكل في هذا الوجود هو بغير حقيقة
ومظاهرهُ ليست بثابتة
وانك ، وانت تحيط قلبك بهذه الحقيقة
تستطيع ان تستنقذ نفسك من القلق الذي تخلقهُ هذه المظاهر

— يتلوه الحب الصوفي — « خليل هنداوي »

سير الزمان

مشكلة البحر المتوسط

ملخص مقال

لوليم لانجر

استاذ التاريخ الحديث بجامعة هارفرد الاميركية

الحرية المختنقة

استاذ تاريخ في اميركا يصف اعتناقه الشيوعية

ثم التحابه منها

للاستاذ ستيرلنغ بروده

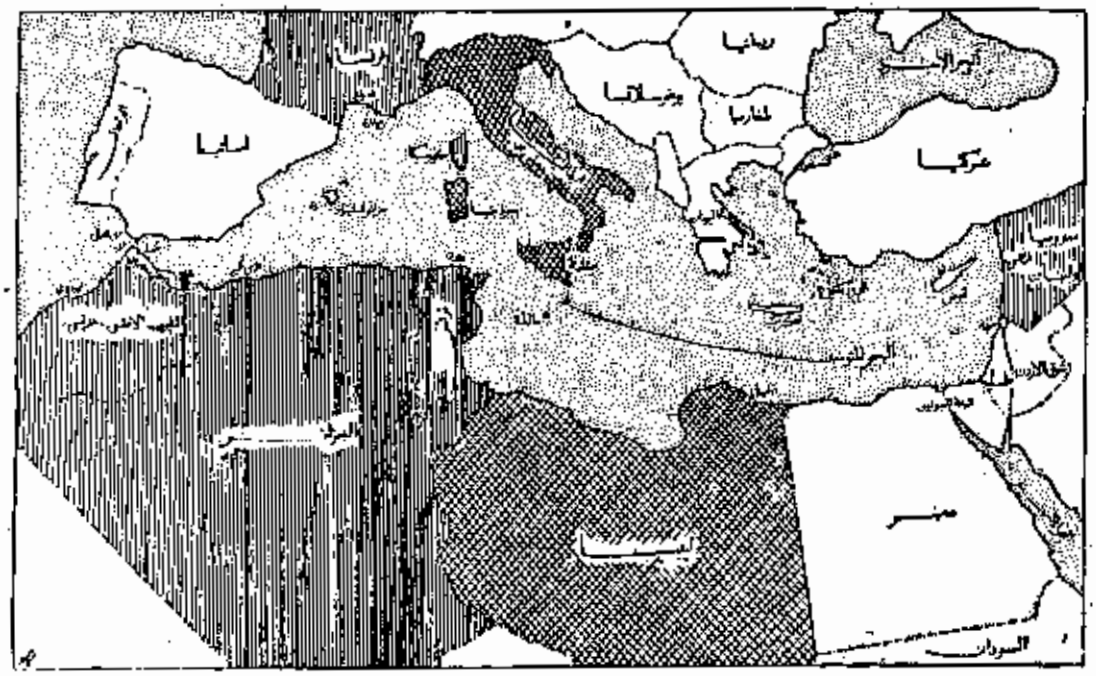

خريطة البحر المتوسط وسواحله وقد بينت فيها المواقع الواردة في المقالة

أوشكت بريطانيا وإيطاليا من سنتين ان تخوضا غمار حرب في البحر المتوسط ، ومنذ نشبت الحرب الاهلية الاسبانية زادت المشكلات التي تتصل بهذا البحر تعقداً وغموضاً . ومع انهُ من الحق محاولة التنبؤ بما يقع في المستقبل الا أن درس تاريخ المشكلة وتحليل عناصرها الاساسية يلقي ضوءاً على الحالة الحاضرة ويساعد على فهمها

من الحقائق المسلم بها شدة اهتمام انكلترا باقصر طريق بحري الى امبراطوريتها الاسيوية ، منذ فتح ترعة السويس واحتلال انكلترا لمصر فلا حاجة بنا الى التوسع في هذه الناحية من الموضوع الآن . ولكن لا بدّ من كلمة في الاعتبارات التي أملت على الحكومة البريطانية خطتها في حماية هذه الطريق . فقد كانت انكلترا تخشى روسيا اكثر من خشيتها اية دولة اوربية أخرى في بضع السنوات التي تلت شقّ الترعة . وكان همّ دزرائيلي متجهاً إلى صدّ روسيا عن التقدم في البلقان والقوقاس . فلما انفرجت ازمة سنة ١٨٧٨ كانت انكلترا محتلة قبرص . وكان الظن أن الغرض من هذا الاحتلال استعمال هذه الجزيرة قاعدة يعتمد عليها في مقاومة روسيا اذا حاولت التوسع جنوباً من طريق الاناضول أو عن طريق البحر . ثم أطلق لورد سليسبوري يد فرنسا في تونس وهذا يدلُّ على ان انكلترا لم يخطر لها قيام عداء انكليزي فرنسي . فلما احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١ وشرعت تناوىء بريطانيا كان الباعث على مناوئتها الظهور بمظهر الدولة القوية المهيبة ، ولم يدر حينئذٍ في بال الفرنسيين أن لتونس مكانة عسكرية تذكر

ولم ينشأ التنافس بين انكلترا وفرنسا في البحر المتوسط الا بعد ما احتلّت انكلترا مصر . ومع ذلك ظلّ الانكليز ينظرون في العقد التاسع من القرن الماضي الى مناوأة الفرنسيين لهم مستخفين بها . ففي ذلك العهد كان الايطاليون يخشون فرنسا فتعلقوا بأذيال انكلترا وعلى ذلك عقدت المواثيق الخاصة بالبحر المتوسط في سنة ١٨٨٧ بين انكلترا وايطاليا ثم انضمت

(*) مجلة الشؤون الخارجية عدد يوليو سنة ١٩٣٧

اليها النمسا والمجر وكان ذلك بمساعدة بسمارك وتشجيعه . واهم ما في هذه المواثيق ما يخص البحر المتوسط الاتفاق على الاحتفاظ بالحالة الراهنة في ذلك البحر والحيلولة دون اتساع سلطة فرنسا في شمال افريقية. ومن المؤكد انهُ لو حاولت فرنسا حينئذٍ ان تتجاهل مغزى هذا الاتفاق لواجهت قوات ايطاليا وانكلترا مجتمعةً

فلما عقدت الحالفة الفرنسية الروسية (١٨٩١—١٨٩٣) كان عقدها على الغالب ردًّا على اتفاقات البحر المتوسط التي اشتركت فيها بريطانيا وايطاليا وامبراطورية النمسا والمجر . ولما زار اسطول روسي ثغر طولون في شهر أكتوبر من سنة ١٨٩٣ أدرك الانكليز مغزى الزيارة . وكان لهم في البحر المتوسط أسطول قوي مرتكزاً على مالطة . ولكن الاسطول الفرنسي في طولون لم يكن دونهُ عدداً والراجح انهُ كان يفوقهُ قوةً . وكانت فرنسا حينئذٍ على وشك انجاز التحصينات القوية في بيزرته . وباستناد قواتها الى بيزرته وطولون أصبح غرب البحر المتوسط في قبضتها تقريباً . وعلاوة على ذلك كان لروسيا أسطول لا بأس بهِ في البحر الاسود وكان في استطاعتهِ ان يصل الى شرق البحر المتوسط من دون ان يخشى الاتراك . ففي حالة نشوب حرب ، كان يخشى على الاسطول البريطاني ان يقع بين حجري الرحى في الوسط وليس لهُ دون الاّ اسطول ايطاليا . فسرى الذعر في نفوس البريطانيين في سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ وعني خيراؤهم بدراسة المشكلة من جميع وجوهها . حتى ان جوزف تشمبرلين والد رئيس الوزارة البريطانية الحالية صرح في مجلس النواب انهُ في حالة نشوب حرب لا يبقى أمام الاسطول البريطاني الاّ الفرار اذا كان يستطيع الفرار . وكان من رأي سياسيين آخرين مثل ذلك Dilke وبراسي Brassy بعد ان رأيا عجز الاسطول البريطاني عن حماية السفن البريطانية ان تسجل السفن البريطانية في سجلات دول أخرى وترفع علماً غير بريطاني وكان جل أملهما معقوداً على ان لا تحسب المواد الغذائية من المواد الممنوعة في الحرب Contraband

وكانت النتيجة أن أقبلت انكلترا على تعزيز أسطولها ببناء سفن حربية جديدة وسعى لورد روزبري الى تعزيز اتفاقات البحر المتوسط المعقودة مع ايطاليا والنمسا والمجر بحمل المانيا على تأييدها . ومن حسن حظ الانكليز ان أنظار الروس اتجهت الى الشرق الاقصى ، فلما اشتدّ النزاع بين فرنسا وانكلترا على مسألة فاشودة في سنة ١٨٩٨ أحسّت فرنسا ، وقد تخلت عنها صديقتها روسيا وأفضى النزاع الداخلي الدائر حول قضية دريفوس، ان لا قبل لها بمقاومة بريطانيا فمال ديلكاسه الى الاتفاق وكذلك تعززت هيبة بريطانيا البحرية

كان ديلكاسه في تلك الآونة يسعى الى التفاهم مع انكلترا بصرف النظر عن حادثة فاشودة نفسها . وكان أمله ان يعقد اتفاق بين انكلترا وروسيا سياسةً الى اضعاف المحالفة

الثلاثية بين المانيا وايطاليا وامبراطورية النمسا والمجر . فاستهال السفير الفرنسي في روما — كلود باريير — الحكومة الايطالية باطلاق يدها في طرابلس مقابل اطلاق يد فرنسا في مراكش . وكانت الحكومة الاسبانية قد خرجت ضعيفة من الحرب الاسبانية الاميركية ، وكانت تخشى خسارة جزائر كناري او جزائر البليار ، اذ كان الزعيم المانيا تنوي الفوز بها اذا استطاعت . فعرضت باريس على مدريد عقد اتفاق تنال بمقتضاه قسماً من مراكش . ولكن أسبانيا لم تقدم على عقد اي اتفاق من دون موافقة لندن . فوجب على دبلكاسه الاتفاق مع انكلترا فكان ذلك الباعث على عقد الاتفاق المشهور سنة ١٩٠٤ وأساسهُ تخلي فرنسا عن مطالبها في مصر مقابل تخلي انكلترا عن مقاومة السياسة الفرنسية في المغرب الاقصى

وكان من الطبيعي ان تشتمل المفاوضات لعقد هذا الاتفاق على دراسة مشكلة البحر المتوسط بجذافيرها . فالخطة البريطانية في ما يتعلق بالمغرب الاقصى كانت قائمة على ان كل اعتداء على ساحل المغرب الاقصى الذي على البحر المتوسط يجب ان يقاوم بالقوة . وكان دبلكاسه يخشى المانيا ويرغب في الوصول الى الاتفاق المنشود فقطع العهود اللازمة بل تمادى فاقترح اتفاقاً يحبط بمقتضاه على كل مسعى تبذلهُ المانيا للفوز بجزائر البليار ، فلم تقبل انكلترا هذا الاقتراح ، بل انطوى الاتفاق النهائي على الامتناع عن اقامة اي حصون على ساحل المغرب بين مليلة وطنجة وان تجعل طنجة منطقة محايدة . فلما عقدت اسبانيا اتفاقها مع فرنسا على مراكش قبلت العهود التي قطعتها فرنسا لانكلترا في موضوع التحصينات الساحلية . وكانت انكلترا قد اتفقت مع اسبانيا على الامتناع عن تحصين « الجزيرة » Algeciras المتاوحة لجبل طارق على الساحل الاسباني الجنوبي وكذلك فازت انكلترا بكل ما يلزم لضمان حرية مضيق جبل طارق

ولما كانت قوة فرنسا وانكلترا البحرية في البحر المتوسط على جانب عظيم من المنعة والقوة ، اضطرت ايطاليا واسبانيا ان توثق صلاتهما بالاتفاق الودي . كما ان ايطاليا ظلت على صلة بحليفتيها المانيا والنمسا ، ولكن اسبانيا والبرتوغال كانتا من اتباع فرنسا وانكلترا . فلما وقعت ازمة ١٩٠٥ وبدا خطر التوسع الالماني ، اصبحت انكلترا تنزع من كل وزير خارجية برتوغالي وعداً بان لا تمنح البرتوغال لالمانيا مرفأ حربياً او محطة تجارية في جزائر « مدورا » او « الازور » . وفي سنة ١٩٠٧ تبادلت مدريد مع باريس ولندن ما يطمئن تينك الدولتين على الاحتفاظ بجزائر كناري وجزائر البليار لاسبانيا

وقد ظلت الحالة بغير تبديل من تلك السنة الى سنة ١٩١٢ على الرغم من ازمة اغادير . ولكن حرب ايطاليا وتركيا (١٩١١) ادخلت عنصراً اساسياً على مشكلة البحر المتوسط ، ذلك ان احتلال ايطاليا لطرابلس اتاح لايطاليا قاعدة بحرية كبيرة الشأن في طبرق . وكان اهم من

ذلك احتلالها جزائر الدوديكانيز في مايو سنة ١٩١٢ الا انه جعلها على مقربة من سواحل الاناضول ومكنها من قاعدة متوسطة بين مالطة والاستانة وترعة السويس . فاحدث هذا الاحتلال موجة من الغضب في باريس ولندن . فالفرنسيون خشوا ان يكون الايطاليون يعدّون عدتهم لتحدّي مقامهم الاقتصادي والثقافي في الشرق الادنى . والانكليز اقلقتهم الناحية الحربية البحرية من الموضوع . فقد رفعت الاميرالية البريطانية مذكرة في سنة ١٩١٢ قالت فيها ان السلطات البحرية الانكليزية جرت على خطة اساسها ان لا يسمح لدولة ما ان تنشىء قاعدة بحرية تبعد اقل من الف ميل عن مدخل ترعة السويس اي الى الشرق من مالطة

وقد زاد هذه الحالة خطراً في نظر انكلترا وفرنسا طروء عوامل اخرى . فزيادة قوة المانيا البحرية اقتضى من انكلترا ان تسحب من البحر المتوسط معظم اسطولها في سنة ١٩١٢ لتعزيز اسطول البحر الشمالي . حالة ان فرنسا اضطرت ان تبقي معظم اسطولها في مياهها الجنوبية لمواجهة قوات ايطاليا وامبراطورية النمسا والمجر . وقد كانت قوات فرنسا البحرية متفوقة قليلاً على قوات ايطاليا والنمسا مجتمعتين مع ان هذه القوات كانت تحتوي على وحدات أحدث طرازاً وأقوى مدافع من الاسطول الفرنسي . وهذا حدا بدبلكاسه في سنة ١٩١٢ الى وضع برنامج انشاء بحري واسع النطاق ووعدت انكلترا بابقاء اربعة طرادات خفيفة في البحر المتوسط وبأن تبعث بضعة دريدنوطات حالما يتاح لها ذلك . وكان اعظم ما تخشاه لندن وباريس ان يسلم الايطاليون للالمان قاعدة بحرية على ساحل طرابلس او في الدوديكانيز . او ان تمنح بعض الدول اثر ايطاليا فتتخذ لنفسها قواعد بحرية في شرق البحر . ولذلك قال سفير بريطانيا في مدريد «عندما تملك ايطاليا قاعدة بحرية في شرق البحر المتوسط يصبح الحلف الثلاثي سيد تلك السواحل »

فكيف تواجه هذه الحالة ؟ اقترح بول كامبون سفير فرنسا في لندن اولاً ان يفتح البوسفور والدردنيل للاسطول الروسي في البحر الاسود . فلم يقع هذا الاقتراح موقعاً حسناً عند اولي الامر . ثم شرعت فرنسا وانكلترا تبحثان في امكان عقد اتفاق مع ايطاليا على اساس الاحتفاظ بالحالة الراهنة في البحر المتوسط احتياطاً للمفاجآت ومنعاً لايطاليا من ان تتمادى في الارتماء في احضان المانيا والنمسا . وأيد غراي وزير خارجية انكلترا هذه الخطة . وساعده في ذلك سفيرا فرنسا في لندن وروما . نظما عقد الصلح بين تركيا وايطاليا في اكتوبر سنة ١٩١٢ بدأت المفاوضات ولكنها لم تسفر عن اي اتفاق . لان ايطاليا طلبت ان تستبقي جزيرة او جزيرتين من جزائر الدوديكانيز ، وفرنسا وانكلترا اصرتا على اخلائها جميعاً . وظلت المفاوضات في هذا الموضوع دائرة حتى استهل الحرب الكبرى . ولم كانت ايطاليا قد تعهدت في صلحها مع تركيا بأن تخلي الجزائر متى انتهت تركيا باخلاء طرابلس وبرقة لكنها لم تفعل على الرغم من

مساعي لندن وباريس ، حتى اضطر غراي ان يقول للسفير الايطالي « ان ايطاليا اعتدت في السنين الاخيرتين على مصالح بريطانيا اكثر من اية دولتين اوربيتين أخريين »

وكانت نتيجة كل ذلك أن عادت ايطاليا الى حضن صاحبتيها المانيا والنمسا . وفي نوفمبر سنة ١٩١٢ انشأت المانيا لاول مرة في تاريخها البحري اسطولاً صغيراً في البحر المتوسط قوامه طراد القتال «غوبين» وستة طرادات صغيرة . فكان ذلك باعثاً على الظن بأن الحلف الثلاثي الذي تجدد في دسمبر سنة ١٩١٢ اخذ يوسع نطاق عمله حتى يشمل شرق البحر المتوسط

فلما رأت دولتا الاتفاق الودّي ان توازن القوى في البحر المتوسط دقيق رجّحتا بون اسبانيا . وقد دلت الوثائق الفرنسية الرسمية التي نشرت حديثاً على رغبة الملك الفونسو في الانضمام الى الاتفاق الثلاثي فبذل مساعي متواصلة لتحقيق هذا الغرض واكد غير مرّة للفريقين بأنهُ إذا نشبت حرب أوربية فيجب الايساورهم قلق ما من ناحية جبال البرنيه . ثم بيّن للسير بوانكاره بأنهُ اذا كانت أسبانيا متحالفة مع فرنسا فلفرنسا ان تستسهل ثغور اسبانيا في تنبه الجزيرة وفي جزائر البليار بل وسكك الحديد الاسبانية من الجنوب الى الشمال لنقل الجنود . ومع ان بوانكاره لم يتقيد بقيود واسعة النطاق الاّ انهُ استوثق من صداقة اسبانيا ومعاونتها في حالة نشوب حرب

فلما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ أعلنت اسبانيا وايطاليا حيادهما . وقد احتفظت اسبانيا بحيادها الى آخر الحرب على الرغم من أن الشعور الغالب على الامة كان شعور تأييد «للحلفاء» . أما ايطاليا فان حيادها مهما يكن سببهُ وسواء أكان لكره الايطاليين للنسويين أم لعدم استعدادها للحرب ، كان نعمة على فرنسا وانكلترا ، لانهُ احبط الاتفاق الذي وضعتهُ دول الحلف الثلاثي في نوفمبر سنة ١٩١٣ لمهاجمة سفن النقل الفرنسية السائرة من الجزائر الى جنوب فرنسا . ويكفينا ان نراجع ما احدثتهُ الدراعتان الالمانيتان « غوبين » « وبرسلو» من المتاعب للحلفاء في البحر المتوسط ، في أوائل الحرب ، لكي ندرك مدى تأثير ايطاليا في عرقلة خطوط المواصلات الفرنسية لو أنها انضمت حالاً الى المانيا واستعملت قوتها البحرية في تنفيذ الاتفاق المذكور . إذن لتأخر وصول الجيش الفرنسي التاسع عشر عن الوصول الى اوربا في وقت الحاجة اليه . وقد كانت قوات ايطاليا والنمسا والمانيا البحرية متفوقة قليلاً على قوات فرنسا وانكلترا في بدء الحرب ثم زاد تفوقها قليلاً في مايو ١٩١٥ (اذا صرفنا النظر عن القوات البحرية المحتشدة امام الدردنيل . ومما يدلك على مبلغ رغبة الحلفاء في سنة ١٩١٥ في اتباع ايطاليا بالانضمام اليهم ان جزائر الدوديكانيز منحت لايطاليا في معاهدة لندن السرية مع ان دومرج صرح من شفتي غراي قبيل الحرب قولهُ : « يجب على الايطاليين ان يعيدوا الجزائر يجب الاّ يحتفظوا بها . واننا لن نسلم بذلك » فلما انضمت ايطاليا للحلفاء انتهى الامر ، وعلى الرغم من اعمال التواصات في البحر

المتوسط ، كانت السيادة للحلفاء فيه واستطاعت فرنسا ان تبقي مواصلاتها مع شمال افريقية حرّة

وكذلك ظهر من معالجة هذا الموضوع في اثناء الحرب ، انهُ اذا اتفقت انكلترا وفرنسا اغرى اتفاقهما باقضام الدول الاخرى اليهما وان ايطاليا كانت عاملاً حاسماً في الموضوع، ولكن الثمن الذي اقتضتهُ كان باهظاً

في الفترة التي تلت انتهاء الحرب الكبرى مباشرة ، زالت النعما والحجر من حساب الدول البحرية في البحر المتوسط . ولكن ذلك جعل البحر الادرياتيك بحيرة ايطالية تقريباً ، ومكن ايطاليا من ان توجه عنايتها الى البحر المتوسط نفسه. وقد بذلت مساع متعددة بين (١٩١٩— ١٩٢٢) لحمل ايطاليا على التنازل عن جزائر الدوديكانيز فاخفقت فلما عقدت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ اعترف لايطاليا بسيادتها على تلك الجزائر. وفي خلال ذلك كان موسوليني قد قبض على ازمة الحكم في ايطاليا فاوضح بما لا يدع مجالاً للبس انهُ ينوي ان يسعى الى تحقيق آمال ايطاليا في البحر المتوسط . وكذلك تحوّلت عبارة « ماري نوسترم » اي « بحرنا » من حلم الى خطة وبرنامج

وما لبث موسوليني حتى بدأ يغازل أسبانيا . فالدكتاتور بريمو ده ريفيرا كان يكره ان يكون جبل طارق لدولة أجنبية . فتقربت ايطاليا على هذا الوتر الحساس . وفي سنة ١٩٢٣ زار الملك الفونسو ايطاليا ثم ردّ الملك فكتور عمانوئيل الزيارة في السنة التالية . وعقدت معاهدة صداقة بين الدولتين في أغسطس سنة ١٩٢٦ وشرعتا تسيان معاً لاضعاف مقام فرنسا المتفوق في طنجة. ولا يبعد ان يكون عقد اتفاق سري منحت بهِ ايطاليا حق استعمال جزائر البليار في أثناء حرب، ولكن من الثابت ان القول بنية أسبانيا ان تحفر نفقاً تحت مضيق جبل طارق أحدث هزة في فرنسا ومن المرجح ان سقوط الدكتاتور الاسباني لم يكن باعث أسى وحزن في باريس . ومنذ ذلك الحين عنيت فرنسا بحشد معظم قوتها البحرية في البحر المتوسط، وقد كان موضوع المساواة بينها وبين ايطاليا في القوة البحرية ، من أعقد المشكلات التي قامت بعد نهضة ايطاليا الحديثة

فلما وقعت الازمة الحبشية سنة (١٩٣٥ — ١٩٣٦) ظهر للعيان ماطرأ على البحر المتوسط من تحوّل أساسيّ في شؤونهِ بعد الحرب . فقد اتسع نطاق المصالح الفرنسية والبريطانية في شرقهِ وفي الشرق الاقصى اتساعاً عظيماً . وأصبح نقل النفط فيهِ اليهما من أهم المسائل التي تسترعي عنايتهما . فبريطانيا تجيء بثلاثة أرباع حاجتها منهُ من جزائر الهند الشرقية الهولندية وايران والعراق ورومانيا حالة ان فرنسا تجيء بنصف حاجتها منهُ من العراق . وهذه الشحنات تجيء عادة عن طريق البحر المتوسط ، فنفط العراق يدفع في الانابيب الى حيفا وطرابلس قرب بيروت . وهذا علاوة على ما لفرنسا وانكلترا من مهام الدفاع في سوريا وفلسطين وشرق الاردن ومصر والعراق. ويضاف الى ما تقدم ان بريطانيا جعلت شرق البحر المتوسط عقدة رئيسية في

شبكة مواصلاتها الامبراطورية الجوية . وفرنسا اصبحت اشد اعتماداً مما كانت على امبراطوريتها الافريقية ومستعمراتها الافريقية لتجنيد اشدائها حالة ان تلك جيشها في اثناء السلم مقيم في افريقية ونقله الى فرنسا عند نشوب حرب اوربية مسألة موت وحياة في نظرها

وكذلك يرى القارىء ان مصالح فرنسا وانكلترا السياسية والاقتصادية والتجارية في البحر المتوسط اصبحت اعظم شأناً مما كانت من عشرين سنة . ثم ان الاسلحة الحديثة ولا سيما الطيارات، قد احدثت تغييراً اساسيًّا في الموضوع من وجهة الحربية. فالطيارات الحربية من مقاتلة ومطاردة وقاذفة للقنابل جعلت البحر المتوسط مجازاً ضيقاً لانها تطير بسرعات تتفاوت من ٢٠٠ ميل الى ٢٥٠ ميلاً في الساعة (بل اكثر من ذلك) وهذا جعل للدول القائمة على سواحله كايطاليا واسبانيا امتيازاً حربيًّا عظيماً ، وقلل من شأن جبل طارق ومالطة ، اللذين اختيرا لمكانتهما البحرية

وغني عن البيان كيف روّعت انكلترا في سنة ١٩٣٥ عند ما اشتدت الازمة الحبشية ، فاضطرت ان ترسل على وجه الاستعجال وحدات اسطولها البحري ومئات من طياراتها الى سواحل شرق البحر المتوسط وان تعقد اتفاقات التعاون المتبادل مع فرنسا ويوجوسلافيا واليونان وتركيا للعمل معاً في حالة نشوب حرب يكون سببها قرارات الجامعة . فلما اخفقت الجامعة في ردع موسوليني وانقاذ الحبشة ، شرع كثيرون من الانكليز يقولون انهم عاجزون عن حماية مواصلاتهم في البحر المتوسط في حالة نشوب حرب فيه . وأشاروا بتحويل السفن التجارية البريطانية الى طريق رأس الرجاء الصالح . ولكن الاعتراض على هذا الاقتراح كبير . فطريق الرأس اطول من طريق السويس بنحو ٨٠ في المائة . والاسطول التجاري البريطاني اقل مما كان قبل الحرب بنحو ٢٠ في المائة . وزعم السر ارنشيلد جيرد الثقة الانكليزي الكبير انهُ في حالة نشوب حرب تحتاج انكلترا الى ٧٠٠ سفينة اضافية علاوة على سفنها التجارية لتنقل الى انكلترا كفايتها من الطعام . فاذا حتم على هذه السفن السفر حول رأس الرجاء الصالح نقص مقدار الوارد الى بريطانيا نقصاً كبيراً لطول الطريق . ويضاف الى هذا العهود والمعاهدات المعقودة بين انكلترا وفرنسا وبعض البلدان في الشرقين الادنى والمتوسط . ومع ذلك فقام طريق الكاب غير مهمل بتاتاً والعمل ماضٍ بسرعة لانجاز تحصين القواعد البحرية اللازمة على سواحل افريقية الغربية والجنوبية

إلا أن انكلترا عازمة حتماً على ابقاء طريق السويس مفتوحاً اذا كان ذلك مستطاعاً على الاطلاق . وهي لذلك ماضية في برنامج تسلُّحها العظيم بحيث ينتظر ان يكون لها ٢٥ بارجة حربية سنة ١٩٤٢ والعدد الذي يكافأ معها من الطرادات والمدمرات والغوّاصات . كذلك ينتظر ان يكون سلاحها الجوّي ٥٠٠٠ طيارة سنة ١٩٤٠ ومع أن ايطاليا ماضية في برنامج

تسلحها ، الاّ أنها على الغالب لا تستطيع ان تجاري انكلترا . ولا ان تبنى ندّة لها في القوة البحرية في البحر المتوسط . ولكن اهم مشكلة يواجهها الانكليز هي مشكلة القواعد البحرية والجوّية . فهم آخذون في تحصين مالطة ولكنها اذا صلحت لأن تكون قاعدة جوّية كبيرة الشأن وقاعدة للغوّاصات فهي لا تصلح ان تكون مثابة للاسطول . ان قربها من صقلية يعرض الاسطول لهجمات الاساطيل الجوّية . كذلك لا تصلح الاسكندرية ولا حيفا قاعدة للاسطول علاوة على كونها في بلاد غير خاضعة للسيادة الانكليزية . ولذلك اتجه النظر الى قبرص ليكون أحد مراتبها قاعدة بحرية ، وليكون مجدها المتوسط قاعدة جوّية ، تعدّل قبل القواعد الايطالية في الدوديكانيز وتحمي انبوب النفط الممتد إلى حيفا ومدخل قناة السويس والسفن الماخرة في شرق البحر المتوسط . اما في البحر الاحمر فالاعتماد على العقبة وعدن وهناك مساعٍ تبذل على ما يقال ، للفوز بقواعد في قرسان او في الشيخ سعيد . وقد اخذت شركة بترول العراق ترخيصاً من الملك ابن سعود باستغلال سواحل بلاد العرب على البحر الاحمر في منطقة عرضها ١٠٠ كيلو متر من الساحل

فلما نشبت الحرب الاهلية الاسبانية ، ضمّت مشكلات البحر المتوسط في غربه الى مشكلاته في شرقه واصبحت انكلترا وفرنسا معرّضتين لمخاطر جديدة لان هذه الحرب قد تسفر عن رسوخ اقدام ايطاليا والمانيا في جزائر البليار والمغرب الاقصى الاسباني وجزائر كناري . فانكلترا تعلم ان جبل طارق قد ضيّع معظم مكانته الحربية لان المدافع الحديثة تصلهُ من الشط المقابل ، ولانهُ ليس فيه بقعة تصلح ان تكون مطاراً حربيًّا . فهي يهمها لذلك ان تكون جزائر البليار وسبتة وطنجه في ايدي دولة محايدة . وفرنسا على الرغم من قاعدتها البحرية في بزرته وأعمال التحصين في المرسى الكبير على الغرب من وهران تحسب حساباً للمستقبل . وقد شرعت تخزن مقادير كبيرة من البترول في فرنسا نفسها خشية ان تقطع صلتها بطرابلس قرب بيروت . ووضعت الخطط لنقل الجنود من المغرب الاقصى الفرنسي من رباط والدار البيضاء (كازابلانكا) الى بوردو بدلاً من نقلها في البحر المتوسط الى مرسيليا وطولون اذا اقتضى الامر كذلك مع ان ذلك يضيّع عليهم بضعة ايام في بدء الحرب قد تكون اهم ايامها . واذا رسخت اقدام الالمان في جزائر كناري او في ريو دورو امكنهم ان يصبحوا خطراً يهدّد خطوط المواصلات لفرنسية والبريطانية مع جنوب افريقية وأميركا الجنوبية . ثم ان الجنرال فرانكو صرّح غير مرة وكذلك موسوليني وهتلر ان ليس في النية تغيير الحالة الراهنة بضم أجزاء من أسبانيا لايطاليا او المانيا او كاتيهما . ولكن الغمّ الجبراتي ليس شرطاً أساسيًا لقيام الحالة التي تخشاها انجلترا وفرنسا اذ ثبت في الحرب الكبرى ان ثغور الدول الصديقة قد تستعمل مثابة ومباءة للغواصات وما يصدق على الثغور قد يصدق على المطارات في المستقبل

الحرية المختنقة

استاذ تاريخ في اميركا يصف اعتناقه الشيوعية ثم انسحابه منها

لمورستاد ستيورت بروده

كلما رجعت بفكري الى الماضي ارى اني كنت يوم انتظمت في الحزب الشيوعي شهيد مبدإ صالح . كان قد خصم من راتبي يومذاك ٣٥ ٪ ، وزيدت ساعات التدريس الذي ازاوله . وشر من هذا وذاك اننا استهدفنا لحملة منكرة اثارتها بعض الصحف على الاساتذة . وايقنا ان رئيس جامعتنا كان يشجع التسلطي على حريتنا . فتألفت لجنة من الاحرار لمجابهة تلك الحال ، والتقيت في احد اجتماعاتها بزعيم شيوعي ، دعيت بواسطته للخطابة في اجتماعات اتحاد العمال . فاتجهت الى الحزب تدريجاً عن طريق الخطابة حتى انتظمت فيه

فلما انضممت الى تلك الجماعة تبينت لزوم القيام باسداء خدمة الى جميع طبقات الاحرار تحت علم الشيوعيين ، ضد الخطر الفاشستي المخيف ، الذي لو عمّ البلاد لوجد الاساتذة انفسهم مصفّدين في اميركا كما هي الحال في بعض اقطار اوربا . فانتظمت في الجماعة واثقاً بأن الشيوعية تحتضن الحرية الثمينة ورعاها ، والحرية مأثورة عندنا نحن الاميركيين . وقد اقنعني رائدي الشيوعي بأنني صرت رجلاً ، ولست فيما بعد من الحليّات السجينة

كان في الجماعة يوم دخلتها ستون وزوجاها ، وثمانية من العمال ، فنظمونا كفصل طلبة ، يلتحق بفصل اكبر مؤلف من العمال . وقد قال لنا المدير ان الولايات المتحدة تقسم عندهم الى اثني عشر حقلاً ، يخضع كل حقل لمدير خاص وينقسم الحقل الى فروع يرأسها « مدير الاثارة » . وقد اخبرت ان هذا المدير مختص باهاجة الاعضاء واثارتهم . وتلقت حولي فاذا شاب صغير طرّ عارضه يقول « انا مدير الاثارة » فتبينت فيه كاتب محل الثاث في نيويورك السفلى . وهو شاب لم اجد في علمه وثقافته ما يحملني على الاعجاب به حين كنت اذهب الى المحل لتوفية اقساطي الشهرية ولكنهُ الآن اصبح المسيطر على تقدمي العقلي

ثم انطلقوني على اسماء الاعضاء الجديدة اذ لا يؤذن لاحد من الاعضاء الذين يحرصون على سلامتهم باستعمال اسمه العادي ولكل عضو رفيق خاص يلوذ به ، وتسلمت دفتر عضويتي وفيه جداول تبين كم يجب ان يدفع العضو بالقياس الى دخله ، وبحسبها تتدرج المبالغ من سليمين عن افقر عامل ، الى ثلاثة دولارات ونصف — في الاسبوع — على امثالي ، وراتبي السنوي يومذاك ٣٦٠٠ ريال . ويضاف الى المرتب الاسبوعي المرقوم اتاوة للدولي الثالث والمؤتمرات عدا الكتب والمجلات والكراريس والجرائد التي يجب ان يشتريها كل عضو . وعلى فوق كل هذا

ان أدفع مرتب يوم في السنة لجريدة « العامل اليومي » . فكان مجموع ما دفعتهُ للجمعية في ثلاثين شهراً ٩٠ دولاراً. ولما انقضى العام الاول اقترض عليّ التنازل عن ساعتي للنزهة كل أسبوع لكي اعمل في سبيل الحزب . فاضطررت ان أقسم علاقاتي بجمعيتين لاتحاد المؤرخين. كما اني أرغمت على قطع اشتراكي في ثلاث مجلات ، مع التوقف عن شراء الكتب اللازمة لعملي

كانت اجتماعات الوحدة (unit) تعقد في بيوت الاعضاء ، الا حيث ربة البيت ليست من الرفقاء . وفي كل جمعية كنت اشعر بجوٍّ خانق كأن هناك مؤامرة وكأن « الفاشستيين كامنون لنا في كل زاوية » . فاذا رفع عضو صوته أسكته اخوانه . واذا رنّ جرس الباب صمتت الجميع صمت الموت

مرّ العام ولم تدرِ زوجي بأمري ، وكنت أكذب عليها في تعليل غيابي عنها . ولما أتقنت الملك كان سروري عظيماً بأنهُ صار في امكاني أن أسهر في البيت مع زوجي مرتين في الاسبوع. ومرّة عدت من الجمعية الساعة ٣٠ : ٣ صباحاً ، فاذا زوجي ما زالت ساهرة . فقالت : هل لك ان تخبرني حالك ؟ فقد عيل صبري ، حتى تسرّب اليأس الى فؤادي . فقل لي بربك أعالقٌ أنت بهوى سواي ؟ !

لم يدر في خلدي انها ستراقب يوماً في حيي . فأخبرتها أني دخلت الحزب الشيوعي . وواصلنا الحديث الى الفجر . ولا أقدر أن أصف ما شملني من السرور فيما تلا ذلك ، لأني تحررت من الكذب المتواصل على زوجي . وبعد أسبوع قالت لي : اذا كانت الجماعة تلائمك فهي تلائمني أنا ايضاً . واذا كان العمل ضربة لازب فلنشترك فيه كلانا : وقد قبلها الحزب بشيء من الارتياب في نضوجها السياسي . الا ان « مدير الاثارة » وعد ان يملي عليها دروساً تثقيفية

وفي احدى الاجتماعات مزحتْ مزاحاً لطيفاً على عارضي ستالين . فعقب ذلك صمت عميق وعلمت حينئذٍ ان المزاح يجوز في هتلر أو روزفلت ، ولكنهُ لا يباح حتماً في ستالين . وقال المدير : انا في جمعية حرية ، فاذا لم ندفع عن كرامة الاتحاد السوفياتي فنحن خائنون حركة العمال . وفي الليل ، وأنا أظن انها نائمة استخرطت في الضحك خفيةً . ولما سألتها عما أضحكها قالت : أضحكني كون عارضي ستالين جزءاً من حركة العمال

بعد شهر من انتظام زوجي في الحزب تلقينا بياناً ، يكل الينا أمر تقديم تقرير سري عن خطة والدها في معمله الصغير في معاكسته العمال . فانهُ غير منضم الى اتحاد العمال : هل كفّ الموظفون عن النضال ؟ ومن يقصد ان يطرد من معمله ؟ . ذلك ما يلزم ان تتسقطه من حميّ ونحن جلوس الى مائدته نتناول مهمّ الطعام

وأتاني المدير يوماً يسألني عشرين دولاراً لصندوق الطوارىء ، لانهُ في أزمة ، وبالله

ما أكثر أزمات ذلك الصندوق ! . فاعتذرت بأني الآن دفعت خمسين دولاراً لصديق قديم ، ملزم على ادخال زوجه في المستشفى ، فانها على وشك الولادة ، ولا يملك نفقاتها . ويالسوء ما ذكرت من بيان ! فقد عبس المدير وتولى وهو يقول : أتدفع لصديقك خمسين دولاراً ، وتملك عشرين دولاراً عني ؟ . ليس هذا التصرف شيوعيًا : وقال : لا نقدر ان نعتمد على الطبقة الوسطى في الولاء للشيوعية . قال : أما أنا فاني أخدع ، حتى ، جدّي في مصلحة الثورة

إن أحد اغراض الجمعية جمع المال . فكنا ، في كل اجتماع ، نراجع لائحة اسماء المئين القادرين على امدادنا بالمال لاقناذ المساعي التي لا تزال في رؤوس زعمائنا . وكنا نسأل أن نقيم مآدب ونزهات وسهرجانات وسياحات لمصلحة المال . وتحمل القوم على التبرع لهذي الاغراض . وعلينا أن نحيي حفلات في بيوتنا ، يتضمن قبول أصحابنا الدعوة لحضورها ، وتقدم مايدفعونهُ لنا للجمعية . وعلينا فوق سلب أصحابنا من رجال الطبقة الوسطى ، ان تمد الجمعية باعضاء جدد . على أن الحظ لم يسعدنا في ذلك . فكان عدد الاعضاء لما دخلت الوحدة ١٣ فصاروا يوم انسحبت ١٦ فقد ربحنا ٦ وخسرنا ٣

وكانت القوانين تسنّ بلا انقطاع ، يتخلل املاءها عبارات الاطراء والثناء على ماضي الجمعية . وقد ثقلت على روحي وطأة الجد الظاهري التي بها تعالج الجمعية كل أمر . من ذلك رسالة عملية في المجلد الاول من كتاب (كري) في الشيوعية السوفياتية . وقد تلي على أسماعنا تقارير شتى عن الرفاق ، وأن أحدهم حضر اجتماعاً في نادي سيدات الريبليكان . وقدّم بياناً ضافياً للجمعية عما تلي في ذلك الاجتماع

وكانت تلاوة التقرير الطويل على مستوى واحد من الصوت . علاوة على ان ذلك التقرير كان قد نشر في الصحف قبل ثلاثة أيام . فكنا في دائرة مفرغة من هذا النحو ، نبدأ حيث انتهينا . ومع ماقي السياسي النادي من الحذق فهو ليس بشيوعي يذكر . إذا قيس بحذق الزعيم الشيوعي . فالزعماء الشيوعيون « أصلح المثل العليا » . هم مؤمنون ، يعيشون في جوّ من القداسة لا تساهل فيه

إذا اختلف أحد الاعضاء والزعيم أبانوا له خطأهُ وأوضحوا « للملك القانوني » فاذا أصرّ على رأيه ، أوعزوا اليه ان يراجع قطعة من كتاب كارل ماركس وستالين . لا مفر في الارض اكثر اتجاباً بالجميل من الشيوعيين بكتاب كارل ماركس معدّلاً بقلم لينين يتبعهُ ستالين

قد وجّه الزعماء ، في حملهم الانتخابية الاخيرة ، كل همهم ضد « لا تدون » تطبيقاً لخطة مرسومة . فقال أحد الاعضاء إذا كانت الجمعية تبغي انتخاب روزفلت فلماذا لا تصرح بذلك ؟ أليس ذلك خيراً من المداورة ؟ فأجيب بأنهُ عليه أن يصغي الى حكم القاضي . على أنهُ أصرّ على رأيه بأن ينتخب روزفلت

فساد الجمهور الصمت ، حتى خُيِّل اليَّ اننا في موسكو . وإن هذا الرجل جاسوس هدّام يقتل صدور الحكم بهلاكه

وأخيراً قال لهُ الزعيم : رد دفتر عضويتك فلست عضواً في الجماعة بعد الآن

فمسحت العرق عن جبهتي ، وسرت نحو الشباك ، وكانت الشمس تسطع على المدينة الاميركية المحبوبة ، وحينذاك خطر على بالي ، لاول مرة ، ان أطلّق الحزب . ولم تأسف على ذلك انا وزوجي . ولما ابلغت الزعيم عزمي هذا بدت عليهِ ملامح الاضطراب . وسألني ان احضر الاجتماع ، واتلو على مسامع الجمهور ما يدور في خلدي . فأجبتهُ اني اظن انهُ لا يستحسن ان يسحني جمهور الاعضاء ، فيكفي ان اصرّح بذلك لهُ وحده . واليك ما قلت : —

سلكتُ مزعج . كنت حرية الفرد . الخداع اللازب القاضي عليّ بأن أكون ذا رأيين . يعدمني راحة الفكر . فصم علاقاتي بأصحابي ، اذ لا وقت عند اعضاء الجمعية للصحبة ، ولا لمطالعة الكتب والمجلات والجرائد غير الحزبية ، مما يبث في النفس الجرأة والاقدام . فجمدت جذوة حياتي العقلية ، وثقلت على روحي وطأة التكتم التي بها تعالج الجمعية كل قضية . فلست أرى ان الثورة على الابواب . ومع ذلك فكل اجتماع كان يوهمنا اننا في « بدرون » بمدريد . وأخيراً لست احتمل التدخل في حريتي الشخصية . كنت اذا دخلت قاعة الانتخاب كنت اشعر اني مستقل برأيي ، الاّ اني كشيوعي ملزم بأن انتخب من قررهُ الحزب بموسكو . هذه هي بعض اسباب انسحابي

وفي أثناء الصمت العميق الذي تلا بياني كان يدور في خلدي كيف لبثت عضواً في الجماعة هذه المدة . وكان يجب ان انسحب منها قبل الآن . وأظن اني كنت اخجل من اعلان انحداري لذلك لم أنسحب . ولبثت طويلاً اعتقد ان الجماعة ستنظم اعتراضاً فعالاً على أسوإ المظاهر في استغلال العمال . على اني مع مرور الزمن تبينت ان الزعماء يرغبون في الاضراب للاضراب ، لا لتحسين احوال العمال . فان الاضراب لو الاضراب يفضي الى الثورة . وقد خطرت فؤادي فترة ضم العمال كافةً لفرض واحدة على اني لما رأيت ان سعي إنما يشبه بشد ازر الدكتاتورية تحت اسم الديمقراطية ، التي كانت كظم للغرورين ، حين ذاك ، قضى على الرجاء الوحيد الذي كنت اعلل به الآمال

لبث صاحبي طويلاً يحدق بالشباك صامتاً . ثم قال لي : هل احضرت دفتر عضويتك ؟ قلت : نعم ودفتر زوجي ايضاً ، افلا تريد ان احضر الاجتماع ؟ قال : كلاّ ، بل ارى الافضل انهاء الامر اليوم . فسلمتهُ الدفترين اشعاراً بالانسحاب .

اعتقت البلشفية لاجل الحرية . ولاجل الحرية هجرتها

***

صورة خلقية نادرة

مركب العاملات

للكاتب الفرنسي المعروف جاك نورلد بوي

« نقلها عن الفرنسية احمد ابو الخير مدني »

من بين النساء اللاتي يشتغلن في باريس بالاعمال المختلفة، تلك العاملات المعروفات بعاملات الجملة . فان يومهن مصروف في غسل الثياب في مراكب قد تراصت على ضفة السين . تراهن دواماً جاثيات تحت آصار غسالاتهن ، صاعدات هابطات سلاليم شديدة الانحدار ، مكابدات ثقيلات الفصول ، متسمات روائح منتنة تملأ المناطس عند شواطىء نهر تقضي اليه اقذار مليون من السكان ، متعرضات للرطوبة الدائمة المتغلغلة في اثوابهن ، المخدرة لاجلادهن وأطرافهن وأجورهن اليومية زهيدة . وجلهن ذوات بعولة وبنين . ومع هذا فقد استطعن اقتطاع دريهمات قلائل منها جعلنها في صندوق توفير يرد عنهن عوادي الدهر وطوارىء الحدثان ، ويدرأ عن بعضهن البؤس ويعصمهن الضر الالتجاء الى باب آخر او التماس المعونة أيًّا كانت ولهن ايضاً عادة ان يتخذن كل حول زعيمة يلقبنها بالملكة تتصدر ملاهيهن ومسراتهن وتقضي في خلافاتهن وخصوماتهن . ومن مرقت منهن عن سنة الاخلاق القويمة اعتزلنها وقهوها من مملكتهن قياً قصيًّا

عند اسفل الرصيف المعروف برصيف البلدة في باريس مركب كبير قد أمَّهُ عدد عظيم من النساء القاطنات بهذا الحي المزدحم . واشتهرت من بين هذه العاملات البارعات فتاة ناهزت الثالثة والعشرين تدعى بلانش ريمون ذات وجه بنطلق ، تتبين في قسماته خلوص الطوية وصفاء النية ، صناع يادية الحذق ، مستنبة الخلق شديدة قوية . وتوفي امها الموت ، وأصبحت عضد أبيها الاعمى وبصيرته التي ليس لهُ من دونها ولي ولا نصير . فكانت تضاعف جهدها وتواصل في حرفتها كدها ودأبها لتكفل اباها ونفسها ، وكان أبوها السيد ريمون مع فقدانه البصر يشتغل في غياب ابنته بعمل الشباك لصيادي السمك . وبلغ من فرط اجتهاده ان صار يصيب في يومه قرابة الفرنك ، فرزقه ذلك قليلاً من عيشهما ودفع عنه الم الظن بأنه عالة كله على ابنته . وكانت

بلانش حتى اعدت طعام الفطور لابيها المقيم في منزل تجاه السلم المؤدية الى مركب الناسلات ، هبطت الى مقر عملها وجه النهار ، فاذا اقبل الظهر عادت الى ابيها الضرير تجهز له طعام الغداء ثم ترجع الى عملها حتى يبلغ النهار حده ، فتنقلب الى بيتها الصغير الذي انتشرت في ارجائه النظافة والرفاهة ، فتمضي بأبيها الشيخ تجول معهُ على رصيف البلدة ساعة ، تفاكهه وتسامره وتملأ قلبه سروراً وطرباً ثم تعود به ليتناول العشاء فاذا طعم ونام رقدت هانئةً قرير العين بعناية ابنته وبرها به

***

وانقضت ثلاث سنين على موت امها وكانت بلانش تشعر بسعادة عظيمة بالعناية بأبيها والاجتهاد في مسرته ومرضاته لتفيه ما استطاعت فقد رفيقة حياته الوفية . وكانت محبتها لابيها بالغة من الشدة والتمكن بحيث لم تجد اية عاطفة أخرى الى فؤادها مدخلاً او سبيلاً . وكان فتيان الصناع في المصانع القريبة يحاولون بغير طائل التحبب اليها واكتساب رضاها فقد كانت عنهن بأبيها ومؤنتف عمومها وأعمالها في شغل

الاّ انها رأت من بين عمال أحد مصانع الاقمشة فتىً يدعى فيكتور ، وسيماً مديد القامة ، شديد الأسر ، تعرف من سيماه رضى النفس وطيب الاعراق . وكان بالفتاة الخاملة حبًّا لا يخلط حديثه معها بما يُشعر بمجاوزته الاحتشام ولا يلقاها الاّ بتحية الود الخالص والاحترام وكان يكثر من سؤاله عن أبيها فما كانت تجد الاّ ان تكون بسؤاله حفية شاكرة . وإن يلقها صاعدة سلم المركب يؤدها حتى وجاهها الطافح فيسلمها ، يقف من خلفها فيخفف بذراع شديدة وقرها ، ثم يصحبها الى باب دار عملها فاذا بلغته زايلها بتحية الادب البارع

ولم تقدر بلانش ان تملك متجافية ازاء هذا الود الصفي المتكرر ، فلمح فكتور منها انها من دون خطابها جميعاً قد فاز باعجابها وحظي عندها . وقد جراه ذلك الاعتراف المضمر فضاعف من توقيره لها والطافها ، والتمس منها الايضاح والجلاء فألفاه أغرى ما يكون وأيأس ما يكون

— فقد قالت لهُ مخلصة بساطة : يا فكتور ما في استطاعتي اخفاء أمري عنك . فاعلم انهُ لا شيء يستطيع فصلي من أبي الذي طعن في السن وفقد البصر . فما لهُ أحد في الدنيا سواي ليخفف ما به من ضر وسوء حال

— فقال فكتور اذاً اني لعون لك في هذا الذي تبغين . لقد فقدتُ أبي وأنا طفل لعوب وكادت كلة أب ، وما أحلاها منطقاً ، لا تخرج من فمي . وهذه سعادة أخرى أنا مدين لك بها أجل يا بلانش ، انك اذ تجعليني بعلاً لك ، تصيرينني للشيخ ريمون ولداً باراً به وحفيًّا

— قالت ولكني اتخذ بذلك لنفسي رباً ومسيطراً ! . . . وما ألبث ان يعقب سعادتي بصيرورتي زوجة لك سعادة أخرى بصيرورتي أمًّا . وهناك لا يجد أبي في قلبي الاّ المكان

الثالث . ولن يصيب مني الا جانباً ضئيلاً من هذه المحبة التي هي اليوم كلها لهُ . وسيفطن لذلك ويأسى منهُ ثم لا يشكو ولا يئس فاذا هو من أشقى العالمين . . . كلاَّ . كلاَّ . ما عاش أبي فاني مصروفة عن الزواج . فلا تحاول اغرائي بصور من السعادة تبهر عيني كما تبهر عينك ! فدع بلانش تنهض باسم الذي ألقاه على عاتقها القدر

وكان مما أمعن في نهر نفسها النفسانية ، ومقابلة قلبها الكريم ، وكأنهُ زحزحها عن عزمها الشديد ما ذاع من أمر حب فكتور لها بين الشاملات . فقد أكبرنَ ثباتها وتعجبنَ من عنادها أمام رجاء ذلك الفتى الكريم وتوسلاته . وأبهُ لها لنعم القرين . فكانت كل منهن لسانه وبيانه لدى بلانش . وما كانت تقدر ان تطأ أرض الشاطىء حتى ينحزن الى جانب فكتور وعائلتهُ عليها ويحامين عنهُ . فلما ألفت نفسها مضيقاً عليها محاطاً بها من كل صوب ، ولم تجد فُسحة عن سماع صوت فؤادها ، والميل مع هواها ، قالت انهُ ان ساعدت المقادير باحرازها دار للغسيل ، وحينئذٍ يتاح لها رعاية أبيها ومتابعة العناية به ، فما يمنعها مانع من الزواج بفكتور . بيد ان هذه الدار انما تُقوَّم بحسب السعر الحاضر بخمسة الى ستة آلاف فرنك . ولكن كيف الحصول على هذا المبلغ الجسيم ، وكيف الوصول الى ادخاره من أجر كدها الزهيد ؟ على ان فكتور ظفر منها بوعد وواثقته بموثق ، ولم يداخله يأس من بلوغ مناه . وكان يؤجر خمسة فرنكات في اليوم في معتمه . وكان قد ادخر بعض مال . وكان التاجر الذي تغشى عنده عشر سنين ، يبدي لهُ كثيراً من الرعاية والتقدير . ولعله ان يتطول عليه فيقرضهُ جانباً من هذا المبلغ . ثم ان جميع شاملات المركب عرضنَ بذل المبلغ اللازم لزواج الفتيين من مدخر ماهن السنوي وقدره تسعة آلاف فرنك ، ولكن بلانش ، وان لم تكتم تأثرها الشديد ، لمروءة زميلاتها ، فقد أبت إلا الثبات على صريمتها ، وجددت لفكتور ميثاقها أن تتزوج به حين يستطيعان باجتماع مالهما ابتياع دار للغسيل . ولكنها لم تلبث أن بنيت بمحنة جديدة كادت تهد أركان عزيمتها

ذلك أن اباها الذي ناجز السنين كان عاملاً قديماً في الميناء المعروفة بميناء القراميد . وكان قد قضى طويلاً برد الشتاء القارس ورطوبة شاطىء النهر ، فأصابهُ من ذلك رثية وتقرس اصاراه كسيحاً عاجز اليدين ، عديم الحركة . فكان لا بد من مرببته بملابسه ، من رأسه الى أخمص قدميه ، والقامه طعامه كما يلقم الطفل الصغير طعامه . وكان يلزم فراشه الى الساعة التاسعة إذ تعود ابنتهُ من المركب لتهضهُ وتبوأه مقعده الضيق وتأتي له بفطوره الخفيف . وكانت هي أيضاً تقضم على عجل كسرة من الخبز ثم ترد كل شيء الى موضعه وتعود الى غسيلها . فاذا دقت الساعة الثانية أرقلت الى داره تجهز طعام الغداء لأبيها حتى إذا طعم وهنأه ، تعود لتتم نهارها في عملها . فاذا قبضت أجرها عادت تجلس الى ابيها تسليه وتخفف اساه واكداره

واختلست بلانش يوماً ساعة الراحة الصباحية فأتت متواها حسب عادتها، فألفت أباها مستوياً على مقعده قد أصلح فراشه ونسق النمد في حجرته ، فاستخبرت عن تلك اليد المؤازرة التي باغتتها هذه المباغتة المستحبة ؛ فأجابها الشيخ مبتسماً بأن ذلك سر هو به حفيظ . ولم تلبث الفتاة أن استكشفت انما هو فكتور الذي استرضى رئيس المصنع أن يعفيه من العمل في الساعة الثامنة بدل التاسعة ، فأذن له بذلك . فكان يأتي بنفسه الى الشيخ الضرير فينهضهُ ويبذل لهُ كأبر الابناء كل ضروب العناية . فأثر صنيعه ذاك في بلانش أبلغ اثر . وما فتئ الاعتراف هواها به الذي كانت تتنسمهُ في نفسها منذ حين . ورأت مرة أخرى في عودتها في الساعة نفسها من النهار أن أباها لم يكن خارج فراشه فقط ؛ بل كان مستوياً في حمام كبريتي سروف بحمام باريج جهزه فكتور بنفسه بحسب ارشاد طبيب نطاسي كان قد استصحبهُ لفحص المريض . فلم تملك بلانش عندما رأت ذلك أن تدفع سيل الدموع من مآقيها ، وتناولت يد خطيبها فجعلتها على قلبها وشدت عليها وهتفت تقول :

— إني ليعجزني ان أفي لك فضلك ومنك عليّ ما حييت

— قال أن هي الاَّ كلمة تخرج من فيك يا بلانش فتوفي هذا الدين

فتورد خدا الفاتنة من خجل واسبلت جفنها وهي ترجو الاقلات بعضها ، من هذه الورطة الجديدة . واذا الشيخ ريمون نفسه يضم رجاءه الى رجاء فكتور مبدياً لابنته رغبته أن يراها زوجة هذا الغلام الكريم . وارحتاه لها ! كم كابدت وهي هي ذات الشعور المضطرم في هذا النضال المضاعف ! أن تعصي أباها وخطيبها ، وان تغالب كلي سلطاني الابوة والحب المتولد عن شكر المنعم : وهذا لذاك عدل وقرين ! ... ولكن كانت كلمة الحب النبوي هي العليا . فشدت ما بين يديها من جلد وعزم شديد ، وقالت إن لسة الزواج بأفضل من عرفت من الرجال لا يخليها البتة من واجبها الذي فرضتهُ عليها الطبيعة ، وأنها كلما ازداد أبوها وهناً ، كانت حاجتهُ إلى ابنته أشد وأقوى

فلم يكن من اقرارها على ما تريد بد ، وكانت حالة المريض تتقدم ، ولكن مضاعفة العناية بأيها العجزها ان تتم عملها اليومي في المركب ، فاستمنحت صاحبة المشتل حق العمل بالقطعة . وكان هذا يعود عليها بمثل ما كان يعود به العمل المعتاد

***

وجاءت بلانش ذات صباح الى المركب متأخرة على خلاف عادتها ، اذ قضى أبوها ليله متوجعاً ، فاقبلت على عملها بجهد شديد لتستعيض ما فقدتهُ من وقتها . وأزفت الساعة المعلومة

فتبادرت من فورها ما فضل من غسيلها وتركته في رعاية جارتها . ومضت على عجل الى ايها لتصنع له طعامه المعتاد ، وعادت بعد حين الى المركب ، فأخذ منها العجب كل مأخذ إذ الفت غسلتها التي لم تفرغ منها بالامس الا عند اسدال الليل استاره ، قد انتهت اليوم قبل ذلك بوقت طويل ، على انها كانت قد قضت لدى ايها وقتاً كثيراً ، وجاوز اجرها في ذلك اليوم ثلاث الفرنكات . فلما كان من الغد تنبيت ساعات كالامس فاصابت نفس اجرها الذي اصابته بالامس ، فما شكت ان بداً بحسنة تشتمل من اجلها اذ تمضي لخدمة ايها . فتربصت خلف سور رصيف البلدة ورمت بنظرها شطر المكان الذي غادرته خالياً تستطلع ، فالفته طامراً باحدى ازاره . وكانت التي حلت مكانها قد اتفقت مع سائر الغاسلات ان تأخذ من وقت راحتها المعتاد ما يكفي من الوقت للحلول محل بلانش في غسلها ، ليعود الوقت الذي تفرغه لخدمة ايها بالفائدة عليها . واتفقن ان يداولن ذلك بينهن ، لحرصهن جميعاً على اظهار دلائل مودتهن واكبارهن لمن هي ابر البنات بالآباء فوقع ذلك منها موقعاً وتجاهلته . ولم يلبث ان تم برؤه بتحسن حالها وتوفر وسائل العناية به والمعالجة . ولكم طربت بذلك وقرت به عيناً وكم طار فؤادها جذلاً اذ خرجت بابها وسط زميلاتها فنبأته بعجيب اخلاصهن وكيف تعاونن عليها وافضلن . وكان الشيخ قد رجع اليه شبابه فجعل يقبل هذه ويشد على كف اخرى ويطرب بما يصل مسامعه من عبارات الهناء التي كانت بلانش تتلقاها من كل من حضر من الغاسلات وكان فكتور قد اندس في زمرتهن قدنا منها متحفياً بتحيتها وقال لها هامساً :

— أنا أكون اذاً وحدي الذي تغادرينه شقياً غبياً ؟

وارادت بلانش ان تجيب ، ولكن كان اضطرابها بالغاً شديداً . فراحت ترتمي في احضان ايها لتخفي ما يطوي فؤادها من عراك وقتال

***

واقبل يوم انتخاب الغاسلات للمكنهن فأجمعن على انتخاب بلانش اذ احرزت اعجابهن واكبارهن ، فتوجهنا في هذا العيد الحافل في قلب المركب وقد سامت قلوعه النظام السماء وزانته زخرف من زهور من كل لون بهيج . وجاء بها ابوها الى الحفل مستبشراً أرناً فتلقبها بالهتاف وأجمعن على ان يكون لابيها شرف وضع اكليل الورد على رأسها . واضطربت يداه من فرط السرور لا من فرط الوهن . وقال ان هذا اليوم لأحب ايامه اليه ، ويعد ان دعا لابنته بالسعادة والرفاهية ، اخذ يساقط على وجهها ارق القبل واحلى الدموع . واقبلت الغاسلات بأسرهن

يبدين ملكتهن الجديدة آيات الاجلال وتحيات الاكبار ودنا منها فكتور كواحد من رعيتها المخلصين الامناء وقال لها ايضاً :

— أفأكون اذاً وحدي الذي تغادرينهُ شقيًّا تحيًّا ؟

***

تخرقت هذه الكلمات التي فاه بها بلهجة مؤثرة مسامع كثير من العاملات ، ولاسيما صاحبة دار النسيل فاكان منها الا ان قالت انها تنزل عن نصفها يوم يتاح لبلانش الحصول على خمسة آلاف فرنك

— فقال فكتور اني الآن املك ربع هذا المبلغ ولا اقترضن الباقي من صاحب المصنع الذي اعمل فيه

— فقالت بلانش وهي لا تملك كتمان اضطرابها ان هذا دين يؤدنا حمله ، وانّى لنا وفاؤه ولو بعد حين

— فقال شيخ كان قد اختلط في المشاهدين ذو مهابة ووقار ، بجائزة الفضيلة التي منحك إياها المجمع اللغوي الفرنسي

فاستطلعوه طلع ذلك فذكر لهم ان المجمع يوزع كل عام جائزة للفضيلة مقدارها ستة آلاف فرنك لمؤسسها مونتيون العظيم تمنح لمن يمتاز من اهل باريس بمأثرة او ضيع جميل عجيب . وذكر ان عمدة الدائرة الثامنة تلبية لطلب عاملات البلدة قد ذكر بلانش كمثل عجيب في بر الابناء والاحسان بالوالدين ، فاختارها جماعة العلماء الذين هو واحد منهم وانتدبوه ليبشر الفتاة البارة بما اصابت من مثوبة هي بها حقيقة

***

وقد احدثت هذه البشرى في اهل السفينة ما كان يتوقعهُ ذلك البشير الكريم من اثر بليغ فارتفع في اركان المركب هتاف الاستبشار . وأحاط العاملات بأصيلتهن بعض المجمع الجليل محتفيات مكرمات ، يؤيدن بسرورهن وشكرهن ذلك الاختيار الذي اصاب رفيقتهن العزيزة التي سلكوها من قبل عليهن ، أما بلانش التي زانها تواضع وبساطة فقد خطت ، وهي لا تزال في ريب مما حظيت به من تشريف واكبار ، متوكئة من جانب على ذراع أبيها . ومن الآخر على ذراع فكتور ، تنبض من المتدوب الجليل الجائزة التي فيها بلوغ أمانيها وادراك مآربها

معهد ما اعظم فضله

على الشرق[1]

المعروف اننا نحتفل اليوم في هذا المعهد الكريم بيوبيله الماسي اي انهُ قد انقضى خمسة وسبعون عاماً على تأسيسه . والحقيقة انهُ قد انقضى على تأسيسه مئة سنة وسنتان وان كنتم في شك مما اقول فيها كم التاريخ

لما دعتني لجنة اليوبيل الكريمة لاقول كلمة في تاريخ المدرسة رأيت انهُ لا بدّ لي ان اعود الى دفاتر « امي » القديمة فطلبتها من ادارة المدرسة وشدّ ما كانت دهشتي لما وجدت بعد درس السجلات أن تاريخ هذا المعهد يعود الى سنة الف وثمان مائة وخمس وثلاثين لما فتحت عقيلة المرحوم عالي سمث اول مدرسة للبنات في سوريا بل قل في المملكة العثمانية وكانت المدرسة يومية فقط . وفي السنة التالية اي سنة ١٨٣٦ كانت المدرسة تضمّ اربعين تلميذة بينهنّ راخيل عطا التي اقترنت فيما بعد بالعلامة المرحوم بطرس البستاني

مرّت سنوات على المدرسة وهي تنمو وتكبر وتتقدم حتى جاءت سنة ١٨٦١ لما شعر المرسلون الاميركيون الكرام الذين لهم الفضل الاكبر في نشر العلم الصحيح في بلادنا هذه بحاجة البلاد الماسة الى مدرسة داخلية للبنات فاستأجروا في السنة التالية اي سنة الف وثمانمئة واثنين وستين بيتاً جهزوه بالمعدات الضرورية وعملوه مدرسة داخلية وبيتاً لكن مدير المدرسة ومديرتها المرحومين مخايل ولولو عرمان

كان عدد البنات الداخليات في الأشهر الأولى من السنة الاولى ستًّا فقط لكن ما أتى ختام السنة الدراسية حتى كان العدد خمس عشرة بنتاً . وزاد في السنة التالية الى الثلاثين فأصبح مع هذه الزيادة المطردة من الضروري انشاء بناء أصلح للمدرسة فقرر المرسلون الاميركيون سنة ١٨٦٤ أن يبنوا مدرسة تصلح لان تكون داخلية ويومية في آن. وآخر ويعود الفضل

---

(١) طرف فاخرة من تاريخ هذه المدرسة كما جاءت في خطاب السيدة اديل جريديني حجار في الاحتفال بيوبيل المدرسة الماسي

الاكبر في تحقيق هذه الامنية الى المرحوم الدكتور هنري جسب الذي كان صديق المدرسة الحميم من يوم أن تصوَّرت في مخيلته الى ساعة وفاته ، هو الذي طاف البلاد الاميركية يجمع التبرعات بهمة لا تعرف الملل ، ولما تجمع لديه المبلغ الكافي من المال عاد الى بلادنا فوضع تصميم البناء وأشرف على العمل حتى النهاية فكان دولاب الحركة هنا وهناك

قام مكان هذا المعهد أولاً بيت للمرسل الاميركي المرحوم اسحق بيرد . ولما نقلت المطبعة الاميركية سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت حولوا ذلك البيت الى مطبعة فكان الدور الاول منهُ مطبعة وكنيسة وفي الدور الثاني ترجم الكتاب المقدس الى اللغة العربية

ولما قرَّر المرسلون الاميركيون بناء هذا المعهد أخلت المطبعة البناية ، وفي تشرين الاول سنة ١٨٦٥ بوشر بالعمل فرمم البيت القديم وزيد عليهِ وجهز بكل المعدات الحديثة اللازمة لمعهد كهذا وجيء بكثير من المواد الاولية المستعملة في البناء من أميركا وأوربا رأساً فجيء بالخشب مثلاً من مقاطعة ماين في الولايات المتحدة وصنعت النوافذ والابواب في لولو ما سشوستس بأشراف الدكتور هملن وجيء بالقرميد من مرسيليا والبلاط بعضهُ من ايطاليا وبعضهُ من لبنان وكلف بناؤه نحو عشرة آلاف ريال اميركي

وفي خريف سنة ١٨٦٦ فتحت المدرسة الجديدة — أي هذا المعهد كما هو قائم أمامكم اليوم — أبوابها لقبول الطالبات فمن هذه الناحية فقط اي منذ ابتداء المدرسة الداخلية سنة ١٨٦٢ الى يومنا الحاضر نقول اننا نحتفل اليوم باليوبيل الماسي لمدرسة البنات الاميركية في بيروت والحقيقة يجب ان تكون اننا نحتفل بيوبيلها المئوي فمن سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٩٣٧ مائة سنة وسنتان

***

اسندت ادارة المدرسة الداخلية أولاً الى المرحومين مخايل ولولو صرمان وسنة ١٨٦٨ تسلمت ادارة المدرسة المهذبة الكبيرة المرحومة اليزا افرت التي هذبت وعلمت والفت وثابرت هي ورفيقاتها من اجنبيات ووطنيات طيلة ثمانية وعشرين عاماً الى أن اوصلت مدرسة البنات الاميركية الى مستوى المدارس العالية الحالية . وكان للعلاَّمة المرحوم يعقوب صرُّوف الذي عمل جنباً الى جنب مع مس افرت والسيدة فرحة حدَّاد فضل كبير جدًّا على تهذيب نشأة ذلك العصر وسيدة المستقبل

تعاقب مديرات ومهذبات أميركيات ووطنيات بعد ذلك فمنَّ جميعاً فضل كبير على هذا المعهد العزيز لا بل على بلادنا المحبوبة اخصّ منهنّ بالذكر المرحومة اميليا طمسن التي وقفت الشطر الاكبر من حياتها الطويلة لخدمة بنات ونساء سوريا

ونذكر بالتقدير العظيم أيضاً السيدة السي بادير رفيقة مس افرت ومس طمسن وهي لا تقل عنهما

بشيء من حيث محبتها لبنات بلادنا ونسائها وقد خدمتهن بكل ما أوتيت من حكمة وعلم ودراية والآنسة راحيل طوباز المقيمة الآن في اميركا وما انفكت عن خدمة بلادنا الا المرض فهي لا تزال تحن الى لبنان وأهله

وأنت يا مس هورن يا من خدمت وطنك الثاني هذا باخلاص ما يمده اخلاص طيلة ست وثلاثين سنة يا عنوان العمل والجد والاجتهاد يا من لم تميزي يوماً بين بني قومك وبني قومي يا عنوان المروءة والتضحية والخدمة امامك نحني رؤوسنا خاشعين مقرين بفضلك العظيم علينا وعلى بلادنا — تبقى انتِ منحفظ لك في قلوبنا اجل ذكرى وأعظم تقدير

نخرج الى الآن من هذا المعهد الكريم اربعمائة وسبعون شابة نقول بحق انهن كن ممهدات سبل العلم الصحيح والادب القويم ولا نغالي ان قلنا انهن كن من اركان نهضة الشرق الفكرية والعلمية وحيث نجدون اليوم في الشرق العربي أمة ناهضة حرة تعرف ما لها وما عليها تقوا ان وراء هذه النهضة المباركة تأثير روح وطنية صادقة مقدامة هي روح نفثهُ خريجات هذه المدرسة المحبوبة حيثما وجدن في ربوع سورية ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان تفاعل تأثيرهن الصحيح

فمن مهذبة توحي لمقول تلامذتها آيات حب الوطن الصحيح وتنشئهم على تفهم معنى الحرية الحقيقية — اي ان الحرية هي القيام بالواجب لا عمل ما نريد — الى شريكة حياة تشق لزوجها طريق الخدمة الشريفة النزيهة الى مجاهدة غيورة في سبيل كل عمل شريف

اول مدرسة « خرجت فتيات » وطنيات حاملات شهادة عليا عالية احترفن شتى المهن هي المدرسة الاميركية في بيروت

فاول طبيبة « وطنية » في الشرق العربي الدكتورة انيسة صيقع هي خريجة هذا المعهد التي اضطرت الى مغادرة بلادها ووطنها لان الحكومة العثمانية لم تشأ ان تمنحها حق ممارسة مهنتها الشريفة في بلدها طرابلس وهي الى اليوم تخدم الانسانية بعلمها وعملها في مصر

وأول ممرضة ومولدة قانونية حائزة على شهادة رسمية من انكلترا السيدة هيلانة بارودي هي احدى خريجات هذا المعهد الكريم

وأول مفتشة عينتها وزارة المعارف لمدارس البنات في القطر المصري هي السيدة سعدى سابا خريجة هذا المعهد

وأول من اشتغل في الصحافة استير مويال وليبية ماضي هاشم خريجتا هذا المعهد ايضاً

وان ننسى فلا ننسى أول من ساهد في وضع الحجر الاساسي لكلية البنات الاميركية في القاهرة السيدة ميليا بدر خريجة هذا المعهد وهي الى اليوم ركن من أركانها

وأول آنسة نالت درجة دكتور في الفلسفة والعلوم في سوريا ولبنان الآنسة نجلا ابو عز الدين هي ايضاً خريجة هذا المعهد

وأول مهذبة ذهبت الى العراق بطلب من حكومته هي الآنسة رضى جريديني حفيدة وخريجة هذا المعهد وقد عينتها وزارة المعارف هناك بعد أول مفتشة لعموم مدارس البنات في العراق

قد يعتقد البعض من سكان بيروت ان مدرسة البنات الاميركية اعجب من الوجود يعتقد هذا لا لسبب إلاّ لان هذه المدرسة تعمل وتجاهد بلا اعلان ولا ضوضاء بينما هي تنتمي الى شعب عرف بين شعوب الارض قاطبة باتقانه فن الاعلان الجذاب وهل من برهان على صحة قولي اقطع من الحقيقة التي سأكشفها لكم — ان هذا المعهد الذي انقضى عليه مائة سنة يخدم بلادنا المحبوبة لابن الشرق الادنى كله — هذا المعهد الشيخ بالقياس الى سني حياته — الشاب بجهوده وعزيمته يثابر على العمل المجيد الذي عرف به من أول تأسيسه، يثابر عليه رغم كل الصعوبات ويقوم بنفقات نفسه لا لجنة مالية تسنده على الاطلاق أميركية كانت أم وطنية وقد صار لهُ مستقلاً هذا الاستقلال المادي ما يزيد على الثمرين سنة . أفلا يحق لنا تجاه هذه الحقيقة ان ندعوه وطنيًّا او قولوا ان ندعمهُ وننظر اليهِ كما ينظر الى كل معهد وطني

***

أما غاية هذه المدرسة فقد كانت ولا تزال ان تؤهل تلميذاتها لخدمة أوطانهن ومحيطهن عن طريق العلم والادراك الصحيحين ، غاية وأن تنوعت بتنوع الافراد والازمنة والاقطار لا تتنوع بجوهرها وهي لا تسعى الى صنع افكار تلميذاتها بالصبغة الاميركية بل الى ان تجعل من كل تلميذة فرداً مستقلاً متصفاً بتفكيره وتحليله للامور فيصح في مستطاعها ان تكيف ذاتها بحسب الظروف والاحوال غير ناسية التمسك بالمبدأ القويم في وسط هذا التكييف . ومن غايتها ايضاً اعداد تلميذاتها لدخول كلية البنات الاميركية إذا شاءت التلميذات متابعة الدرس العالي وما هذه الكلية الاّ بنت المدرسة نشأت عن رغبة المحيط واحتياجه اليها فكانت جزءًا من هذا المعهد اولاً ثم اصبحت مؤسسة منفصلة

وهي أي مدرسة البنات الاميركية تسعى الى تحقيق غايتها بأحدث الطرق العلمية وتعنى اول كل شيء بان تدرس اللغة العربية لكل تلميذة بحيث تستطيع إتقانها واستعمالها في محيط عربي وكذلك تعنى كثيراً بتدريس اللغة الفرنسية ومثلها اللغة الانكليزية غير ناسية أهمية ما للرياضة البدنية من الشأن وقد استدعت لتعليمها لاستاذة اختصت بهذا الفن في جامعة كولومبيا والمدرسة تدرب تلميذاتها على الاعمال المنزلية اليومية وهي ترمي الى ان تجعل اللواتي ينلن شهادة المدرسة بيّنة لامتحان البريفه البنانية في القريب العاجل . حقق الله آمالها

تأثير الغيرة في الاجسام

نشرت صحيفة انكليزية بحثاً مفيداً لطبيبة اختصاصية في هذا الموضوع نلخصهُ فيما يلي : —

ما هي الغيرة . انها غريزة في الانسان وجزء من طبيعة نفسه من أقدم الازمنة والعصور . من العهد الذي كان يتحارب فيه اجدادنا باسلحة من الحجارة . كانت الغيرة اولاً نزاعاً على التفوق والبطولة والسلطة شعر بها الانسان لأول مرة عندما وجد نفسه مغلوباً على امره وإن الحيوان اشد منهُ قوة وبطشاً ثم اصبحت الغيرة مظهراً من مظاهر الرآسة والتفوق قد تدعو الى كثير من الفضائل كالشجاعة والنخوة وغيرهما . ولكل للغيرة في وقتنا الحاضر معنى آخر ودواعي اخرى وعندما نشعر بالغيرة تشعرين باضطراب في كل شيء والرجل الغيور قليل الثقة بمن يحب يحجب عنهُ الغيرة محاسن من يحب ويصبح حملها ثقيل الوطأة على عاتقه

الغيرة في نظري تقتل الحب وليست مظهراً من مظاهر وجوده وسموه وتقضي على السعادة وهي تقتلها وتقضي عليها ببطء لا يدركه الانسان وفي الوقت نفسه تصيب الجسم بكثير من المتاعب والامراض . فمنذ ما تكونين غيورة يتأثر نظام عيشتك ويختل توازن اعصابك فيستحي عليك النوم ولا تؤدي اعضاء الهضم وظائفها في حالتها الطبيعية . والهياج والشجار وهما من اول نتائج الغيرة يزيدان في سرعة الدورة الدموية ويرهقان القلب بالعمل ويجهدانه وتظهر آثار ذلك في جلد الفتاة اذ يحتقن الدم ولا يسير في مجراه الطبيعي وتظهر في الجلد بقع خضر اللون باهتة

أعرف زوجين كانا من خير من عرفت من الناس كانت حياتهما سعيدة حتى بدأت الغيرة تدب في قلب الزوج من اتفه الاشياء وكأنما اراد ان يقيم سوراً حول زوجته يحول بينها وبين عيون الناس بل ان يكون صاحب السلطان على اتجاه افكارها . واشتدت به الغيرة حتى اصبحت حياتهما غير محتملة وكانت نتيجة ذلك ان زال حبها لهُ واصبحت تقلم عليه ثم ساءت صحتها واعزمت ان تعيش بعدة عنه تسترد بعض ما فقدته من هانية وصحة وتم لها ما ارادت واصبح الزوج يعض بنان الندم اذ سمح للغيرة ان تتمكن منه حتى تحطم حياته المنزلية وتسلبهُ حب زوجته

وأعرف إمرأة بلغت بها الغيرة على زوجها مبلغاً كان يحملها على ان تحاسبه على كل ما يفعل فاذا رأت منهُ اعراضاً انفجرت باكية واخذت تكيل له اللوم والعتاب فاصيبت بصداع وكانت تتهمهُ دائماً بانهُ السبب فيه حتى تضايق زوجها وعددها بالفراق . هذه المرأة حمقاء فانها تحاول ان تجذب زوجها اليها ولكنها تجهل كيف تجذبهُ فتنفصه وهي تريد ان تتحكم في ارادته فاذا استعصى عليها ذلك لجأت الى البكاء والعويل

إذا احسست بالغيرة فاذكري انها تنتهي دائماً بالحية وهي كفيلة بان تفقدك ما تملكين من امر زوجك . واعتقد ان التغلب على الغيرة امر صعب ولكنها كبقية الامراض لا يستعصى شفاؤها على اللاتي يملكنَ عزيمة قوية ولا يفقدنَ شعورهنَّ وحكمتهنَّ بفعل جنون العاطفة

باب الأخبار العلمية

فيتامين C في الليمون

يفيد في علاج البيوريا

البيوريا (نحيج : شرف) من شر الادواء التي يصاب بها الفم اذ تقيح اللثة وتتخلخل الاسنان. ولكن البحث الحديث في مدرسة هارفرد لطب الاسنان يشير الى ان هناك صلة بين البيوريا والاسكربوط وان نقص فيتامين C من الغذاء قد يكون سبباً مباشراً او غير مباشر للبيوريا كما ان نقصه سبب للاسكربوط

ان هذه المباحث لم تبلغ بعد تمامها من الناحية الطبية ولكن الرأي على أن طبيب الاسنان يستطيع إن يصف للمصابين بالبيوريا غذاء يتضمن فيتامين C من دون تعريضهم لاي خطر صحي

وقد أجرى علماء هارفرد تجاربهم في هذا الموضوع على الخنازير الهندية اولاً وجرت التجارب على القواعد المألوفة في مثل هذه الاحوال فاخذت طائفة من الخنازير الهندية وغذيت بغذاء يختلف فيه مقدار فيتامين C ثم فحصت فحصاً دقيقاً لمعرفة درجة اصابتها بالتجيج (البيوريا) وفي تشخيص البيوريا اعتمدوا على اشعة اكس والبحث المجهري (المكرسكوبي) فثبت لهم ان الحالة التي اصيبت بها هذه الخنازير من جراء تغذيتها بغذاء ليس فيه المقدار الكافي من هذا الفيتامين هي تحيج (بيوريا) لاريب فيه

ثم درست حالات ٤٨ رجلاً وامرأة بقصد معرفة الصلة بين درجة الاصابة بالتجيج ومقدار فيتامين (C) في دمهم فظهر في ثلاثة وعشرين منهم أن مقدار هذا الفيتامين في دمهم قليل جداً وتقترن قلته باعراض ظاهرة للاصابة بالداء. وظهر في عشرة آخرين أن مقدار هذا الفيتامين أكثر قليلاً واعراض الداء اقل قليلاً. اما الباقون وهم خمسة عشر رجلاً وامرأة فكان مقدار الفيتامين C في دمهم سويًّا ولم تبد عليهم اعراض أية اصابة بالتجيج

***

وهذه التجارب التي جربت بالناس ليست حاسمة ولكن نتائجها تبعث على الرضا بوجه عام لا سيما من حيث علاقة نقص الفيتامين C بالاصابة الذريعة في اللثة والاسنان

وما يهم القارىء من هذا البحث الآن ان تناول فيتامين C من مصادره لا يضر الصحة ولا يعرضها للخطر ما كما قد يفعل تناول فيتامين D ثم ان هذا الفيتامين اي C يكثر في اثمار الموالح كالليمون وياع كذلك في اقراص كاقراص الاسبرين والافضل الاعتماد على مشورة طبيب قبل تناول الاقراص

لغة النحل وعبقريتها العجيبة

رقص النحلة وسيلة من وسائل المخاطبة

الاستاذ فون فرتش أحد أساتذة جامعة مونيخ بحال عالمي . فقد أثبت أولاً حقائق تتعلق بحواس النحل كان الرأي مختلفاً فيها

كان هناك فريق من العلماء يذهب الى ان النحل لا يعرف الالوان المختلفة فاثبت فون فرتش بالتجربة انهُ يميز البرتقالي والاصفر والاخضر والبنفسجي ولكنهُ لا يميز اللون الاحمر . وعلاوة على ذلك يميز الاشعة التي فوق البنفسجي وهي الاشعة التي يعجز الانسان عن رؤيتها ولا يتبينها الاَّ باللوح الفوتوغرافي

ثم أثبت ان حس الشم فيهِ دقيق جدًّا وبهِ يميز انواع الزهر بعضها عن بعض

ثم ان حس الذوق فيهِ قوي فيميز الحلو عن المر عن الحامض عن المالح ولكن ما يحبهُ حلواً قد لا يكون كذلك في نظره فالسكرين والدولسين وهما من انواع السكر المركب لا طعم لها في ذوقه

وبعد ما اثبت كل ما تقدم بالتجربة عكف على دراسة لغة النحل . والذي حمله على ذلك التجربة الآتية : وضع قليلاً من الحلوى على لوح ووضع اللوح على مائدة في الهواء الطلق . وجعل يراقبهُ حتى وصلت اليهِ نحلة وعرفت ما عليهِ فلم ينقض وقت طويل حتى كثر النحل على اللوح وجيء آت من القفير الذي جاءت منهُ النحلة الاولى . فقال في نفسهِ : كيف استطاعت النحلة الاولى ان تنبيء سائر النحل في القفير بما اكتشفت

قصد الاستاذ فون فرتش الى رقم النحل في قفير ما كل نحلة رقماً خاصًّا . ثم جعل يراقب ما يقع . فاكتشف ان النحلة التي تجد اللوح الذي عليهِ الغذاء اولاً تأخذ منهُ قدرتها وتعود الى القفير فتفرغ ما في جيبها ثم تجعل ترقص رقصاً خاصًّا والنحل من حواليها ما خوذ برقصها يقترب منها ويلمسها بلواسهِ . وما تنتهي من رقصها حتى يخرج النحل الى موقع اللوح الذي عليهِ الغذاء . وعند ما يجده يأخذ منهُ ما يستطيع ويعود الى القفير فيفرغ ما في جيبه منهُ ثم يرقص فيكثر اقبال النحل على مورد الغذاء

وقد اثبت الاستاذ فون فرتش بالمراقبة الدقيقة ان بين كثرة النحل حول مورد الغذاء والرقص صلة مؤكدة

بعد ذلك خطر لهُ ان يبحث كيف يعرف النحل موقع الغذاء من مجرد الرقص لانهُ شاهد ان النحل الذي يذهب اليهِ يتجه مستقلاً لا تابعاً للنحلة الاولى التي اكتشفته . فوجد انهُ اذا كان مورد الغذاء حيرة أو لوحاً او اي مصدر للغذاء غير مألوف في حياة النحل فقد يطول الوقت قبلما يكتشفهُ النحل . فكان الرقص يدلهُ دلالة تامة على موقع المورد دون ان يستطيع التحديد . وقد كان مورد الغذاء في

احدى هذه التجارب جرة من الشراب السكري على بعد كيلو متر من القفير يحول بينهُ وبين القفير تلال وحدائق

اما اذا كان مصدر الغذاء طيبًا مألوفاً اي زهرة من الازهار فان النحل بعد مشاهدة الرقص يسير اليها توًّا صادفاً عن كل ما غيرها من الازهار . وقد نجح في تطبيق تجربته هذه على جميع الازهار الاَّ الازهار التي لا رائحة لها

***

وتفسير ذلك ان النحل يشم رائحة الزهرة العالقة بجسم النحلة الاولى عند ما يلمسها بواسطة رقصها

* * *

مخدر جديد لتسكين الآلام

يمنع الالم عند حفرها لحشوها

أذاع الدكتور أوسرمان أحد علماء مدينة نيويورك انهُ توصل الى صنع معجون مخدر لاعصاب الاسنان فيمنع الالم عند حفرها لحشوها وقد جرب هذا المعجون في ٣٦١ حادثة فأصاب نجاحاً باهراً في ٨٣ في المائة منها

لا يخفى ان الدنتين — وهو الطبقة الحساسة التي تحت طبقة المينا في تركيب الاسنان — أشد احساساً في بعض الناس منهُ في البعض الآخر . فقد يصاب سن احد هؤلاء بالتخر ويضطر طبيب الاسنان الى حفر السن لتنظيفه وإزالة الجزء المصاب قبل حشوه ويعاني صاحبهُ أشد الالم عندما يمس المثقب سنه . فاستعمال هذا المعجون عند معالجة هؤلاء يوجه خاص نعمة من نعم العلم على الانسانية

وقد جرب الدكتور اوسرمان ١٣٥ تركيباً كيماويًّا قبلما توصل الى هذا المركب الذي أذاع نبأه في اجتماع عام عقدتهُ جمعية طب الاسنان الاميركية في اتلانتك ستي في الصيف الماضي

ولم تقتصر تجربة هذا المعجون والجزء المهم فيه مخدر جديد مركب يدعى (نيمول امينوبنزويت) على الدكتور اوسرمان وحده بل جرب في عيادة طب الاسنان في مستشفى بيت إسرائيل بمدينة نيويورك فأصاب مجربوه نجاحاً تامًّا في ٨٣ في المائة من الاصابات التي عالجوها (وهي ٣٦١ حادثة) وبعض النجاح في ١٤ في المائة . ولم يكن لهذا المعجون أي تأثير في الثلاثة في المائة الباقية

***

ولكن الدكتور صموئيل غوردن أحد اطباء شيكاغو يشير بالحذر في استعمال هذا المعجون قبل ان يجرب تجارب علمية واسعة النطاق . ذلك أن الحكم على مخدر جديد للاسنان يقوم عادة على ما يقولهُ المصاب او على ما يظنهُ الطبيب وهذا وذاك عرضة للتأثر بعوامل مختلفة فلا يعرف تأثير المخدر في اعصاب الاسنان على وجه من الضبط العلمي . والطريقة العلمية الصحيحة هي أجراء الامتحان على المصابين وهم مصمومو العيون . فيحول ذلك دون ابداء رأي قائم على الوهم

شركة مصر للطيران في خمسة أعوام (١)

أسس هذه الشركة بنك مصر في سنة ١٩٣٢ بالاشتراك مع شركة « ايروورك » الانكليزية واحتفظ للمصريين باغلبية الاسهم فيها ولها وحدها حق استغلال الخطوط الجوية بالقطر المصري

وكانت جهود الشركة في بدء تكوينها مقتصرة على إنشاء مدرسة لتعليم الطيران بألماظه وتأجير الطائرات الخصوصية وأعمال التصليح والترميم وايواء الطائرات وظلت مدرسة الطيران مفتوحة منذ إنشائها من خمسة أعوام ويمكن للملتحقين بها الحصول على شهادة علاوة على رخص القيادة حرف «أ» و «ب» . ويتكون اسطول هذه المدرسة من طائرات من طراز « لمبارد موث » و «هورنت موث» و «جيبسي موث» وكلها مجهزة بمحركات القيادة الثانية . وقد بلغ عدد الملتحقين بهذه المدرسة منذ إنشائها ٦٥٠ طالباً حاز منهم امتحان القيادة ٢٧٨ طالباً وكان الاقبال على الالتحاق كثير الثباين من عام لآخر فبينما كان عدد الطلبة ٩٠ في سنة ١٩٣٢ زاد الى ١٢٩ في ١٩٣٣ ثم هبط الى ٣٦ في سنة ١٩٣٤ و ٣٨ في سنة ١٩٣٥ ثم عاد فارتفع ارتفاعاً فياساً في سنة ١٩٣٦ اذ بلغ ٢٦٦ طالباً

وبدأت الشركة استغلال الخطوط الجوية بانتظام في اول أغسطس ١٩٣٣ باسطول مكون من طائرات طراز « دي هافيلاند راجوز » ويتكون أسطولها الحالي من طائرات من هذا الطراز مجهزة باربعة محركات سعة ١٢ الى ١٤ راكباً وأخرى ذات محركين سعة من ٦ الى ٧ ركاب وجميع طائرات الشركة من احدث طراز ويمكن لها ان تطير بحمولة كاملة وباستعمال نصف قوتها المحركة بسرعة عادية من ١٣٥ — ١٤٥ ميلاً في الساعة

وقد بلغ عدد الركاب في السنة الاولى من أول اغسطس الى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ ، ٩١٧ راكباً وقطعت الطائرات مسافة قدرها ٦٧٩٤٠ ميلاً وزاد عدد الركاب في سنة ١٩٣٤ الى ٧٥٢٥ راكباً وقامت الطائرات بنقل ٢٤٠ كيلو جراماً من البريد وبلغت المسافة التي قطعتها ٣٠٣٠٠٩ اميال وفي سنة ١٩٣٥ نقلت طائرات الشركة ٧٠١٦ راكباً و ٢٠٣٦ كيلو جراماً من البريد و ١٩٨٠٥ كيلو جراماً من البضائع وبلغت المسافة التي قطعتها ٤١٩٣٥ ميلاً مقابل ١٥٧١٠ ركاب و ٢٧١١١ كيلو جرام من البريد والجرائد و ٨٥٥٨٦٦ ميلاً في سنة ١٩٣٦ أما عدد الركاب في الاشهر الثلاثة الاولى في هذا العام فكان ٣٨٣٨ راكباً وما نقل من البريد ٧٥٨ كيلو جراماً ومن البضائع ٦٤٦٩ كيلو جرام وعدد ما قطعته الطائرات من الاميال ٢٣٩٢٤٣ ميلاً . وتسير طائرات

(١) النشرة الاقتصادية الاسبوعية — وزارة التجارة والصناعة — عدد ١٥ يوليو سنة ١٩٣٧

الشركة بانتظام بين القاهرة والاسكندرية والقاهرة وبور سعيد وتسير في موسم الصيف بين القاهرة — اسكندرية — مرسى مطروح

وفي الشتاء بين القاهرة — اسيوط — الاقصر — اسوان

وفي عام ١٩٣٤ افتتحت الشركة خطوطها الجوية الى الشرق الاوسط مبتدئة بخط القاهرة وفلسطين ثم اتبعته في السنين التالية بخطوط منتظمة إلى العراق وسورية وأخيراً الى بلاد العرب كما افتتحت الشركة خطاً خاصاً بين جدة والمدينة في موسم الحج من ٧ فبراير الى ٦ مارس سنة ١٩٣٧ وبلغ عدد الركاب على هذا الخط ٢٦٧ راكباً وقد قطعت الطائرات ١٤٥٠٠ ميل

وتقوم الشركة بنقل الركاب وامتعتهم من المطارات واليها بالمجان على ان الامتعة الثقيلة التي لا يحتاج اليها المسافرون في أثناء السفر يمكن ارسالها رأساً الى جهة الوصول بغير طريق الجو وللشركة فرع مختص بالاستئجار الخاص للطيارات لنقل الركاب والبضائع وقد قامت طائراتها بسفريات خاصة الى وسط افريقية وآسيا وأوروبا

* * *

فيتامين C يلزم لشفاء المصابين بقرح المعدة

يشير الدكتور رفرز والدكتور كارلسن من اطباء معهد مايو الاميركي بأن المصابين بقرح في المعدة ولاسيما المصابين بميل الى النزيف في المعدة يجب ان يضاف فيتامين C الى طعامهم

وهما يقولان ان غذاء المصابين بقرح المعدة يعوزه هذا الفيتامين على الغالب ولما شاهدا ذلك بالاستقراء في المصابين الذين يعالجانهم اضافا الى غذائهم مقادير مبينة من هذا الفيتامين فعاد مقداره في الدم الى حالته السوية وتحسنت حالة المصابين تحسناً بيناً

هذا الفيتامين يكثر في الفواكه الخضرة والخضر ومن خصائصه منع النزيف ومن هنا فائدته في اصابات قرح المعدة

وقد اثبت الباحثون أخيراً ان نقص هذا الفيتامين يحدث اضطراباً في انساج الجسم وفي الخلايا فيحول هذا الاضطراب دون امتصاصها بعض المواد المغذية من الطعام الذي يتناوله المصاب به

فاذا كانت الانساج التي تغشى داخل البطن غير سليمة من هذا القبيل لنقص فيتامين C اضطرب غذاء الجسم بوجه عام واصبحت اغشية البطن نفسها عاجزة عن مقاومة التأكل والتقرح. فاضافة هذا الفيتامين الى الغذاء يفيد كثيراً في تحسين الحالة

اعلى تحليق

في اليوم الاخير من شهر يوليو الماضي حلق الطيار الانكليزي ادم احد ضباط سلاح الطيران البريطاني الى علو ٥٣٩٣٧ قدماً فوق سطح البحر وهذا اكثر من عشرة اميال ويفوق الارتفاع الذي بلغه الطيار الايطالي من عهد قريب بمبلغ ٢٥٧٠ قدماً

وعلى ذكر ما تم للطيار ادم نروي حادثة وقعت للماجور شرويدر الاميركي في سنة ١٩٢٠ فقد حلق هذا الطيار الى ارتفاع ٣٣ الف قدم وعندما بلغه احتل الجهاز الذي يجهز به الاوكسجين لتنفس فرفع نظارته التي تقي عينه من البرد القارس لكي يرى سبب الخلل فلم يستطع لان قلة الاكسجين كانت قد افقدته وعيه فهبط هو وطيارته من حالق كأنهما احد الرجم المنقضة في الفضاء وبقيا هابطين الى الطبقة القريبة من سطح الارض

وكان وجود الاكسجين فيها كان كافياً لانعاشه فاعاد له وعيه فاستيقظ قبل وصوله الى الارض وقبض على زمام طائرته واعاد موازنتها وحط بها سليمة على سطحها

* * *

قهر المحيط الاطلنطي

لقد قهر المحيط الاطلنطي طيارون اميركيون وانكليز وفرنسيون والمان وبولونيون وعبر فطاروا من اميركا الى اوربا او من اوربا الى اميركا ولكن لم تقهره قبل الآن طائرتان صنعتا خاصة لنقل البريد والركاب قامتا في ميعاد مضروب والتزمتا سيراً معيناً بسرعة معينة بقصد التمهيد لانشاء خط للملاحة الجوية المنتظمة بين اوربا واميركا. ففي اوائل يوليو الماضي طارت الطائرة «كاليدونيا» التابعة لشركة «امبريال اروبز» من فوينز القاعدة التي انشئت على نهر الشانون بأرلندة قاصدة الى نيوفوندلند وفي الوقت نفسه طارت الطائرة «كليبر الثالثة» التابعة لشركة «بان اميركان الجوية» من بوتود بفيوفوندلند قاصدة الى ارلندة فقطعت الاولى المسافة في ١٤ ساعة و٢٣ دقيقة والثانية في ١٢ ساعة و٣٤ دقيقة والاختلاف في سرعة الطائرتين سببه ان الطائرة الاميركية سارت من الغرب الى الشرق والريح تدفعها وأما الطائرة البريطانية فسارت من الشرق الى الغرب والريح تواجهها وتخفف من سرعتها

لم يكن الغرض ضرب الرقم القياسي في السرعة ولا في بعد المدى وانما الغرض الامتحان والتجربة — وقد توالت التجارب بعد الامتحان الاول — تمهيداً لانشاء خط جوي منتظم بالاشتراك بين الشركتين الانكليزية والاميركية. وكانت الطائرة البريطانية تزن ثمانية عشر طناً والاميركية كذلك تقريباً

تحويل عنصر الى آخر

«الكلور» الى «ارغون»

في لندرة علمية اذاعها قسم علم الطبيعيات بجامعة برنستن الاميركية ان اربعة من الباحثين فيه تمكنوا من تحويل عنصر الكلور الداخل في تركيب ملح الطعام الى بوتاسيوم اولاً. وهذا البوتاسيوم قصير العمر فلا يزيد عمر ذرته على عشر دقائق واربعة اخماس الدقيقة ثم يتحول الى العنصر الغازي المستعمل في بعض الاعلانات الكهربائية الملونة واعني الارغون وهو خدن النيون

والطريقة المستعملة تقوم على اعداد مقذوفات سريعة توجه الى عنصر الكلور فتصطدم ببعض ذراته وتحولها

وتصنع هذه المقذوفات من ذرات عنصر الهليوم المستعمل في البلونات وذلك بأن تطلق هذه الذرات في حجرة مفرغة فتصطدم بتيار من الكهارب تفقد بعض كهاربها وتصبح «ايونات»

وهذه الايونات تعرف ايضاً باسم «دقائق الفا». فعند ما تتولد هذه الدقائق تدخل جهازاً جديداً يدعى «سيكلوترون» فتدور فيه دوراناً رحوياً فتزايد سرعتها وزخمها حتى تبلغ سرعتها نحو ١٥ الف ميل في الثانية فتقذف حينئذٍ الى ذرات الكلور فتحولها الى بوتاسيوم قصير العمر قابل غاز الارغون

* * *

الادرينالين في علاج الملاريا

الادرينالين هو الاسم الذي أطلق على مفرزات الكظرين وهما الغدتان الفتان فوق الكليتين. ويستعمل عادة في تنشيط القلب ورفع ضغط الدم

أما الآن فقد ظهر انهُ يفيد في علاج الملاريا وأعلن الدكتور الاستاذ اسكولي رئيس العيادة الطبية بجامعة بارمو الايطالية انهُ بدلاً من الكينا يحقن المصابين بالملاريا في الاوردة حقناً يومية تحتوي على الادرينالين وقد وجه رسالة بهذا المعنى الى المجلة الطبية الالمانية المعروفة باسم «مولشفر مديزينش وشنشرفت»

ويعتقد ان فائدة الادرينالين في علاج الملاريا ناشئة عن أن الادرينالين ينقص مقدار الدم في الطحال. والطحال هو المكان الذي تتوالد فيه جراثيم طفيلي الملاريا. فنقص الدم في الطحال يجعل المكان غير موات لمعيشة هذه الجراثيم ونكاثرها. ويقول الاستاذ اسكولي علاوة على ما تقدم انهُ وجد الادرينالين مفيداً في اصابات الملاريا المزمنة والحديثة وفي علاج تضخم الكبد وفقر الدم والضعف العام الناشيء عن الملاريا

اختراع قد ينقلب صناعة الادوات البصرية

عدسات ولكنها ليست من الزجاج

عدسات النظارات والمراقب والمجاهر والمصورات الضوئية تقع على الرخام فلا تتكسر وتطرق بالمطارق فتقفز كأنها مطاط ولا تتشظى ولكنها مع ذلك تصنع الفاً وخمسمائة في الساعة ولا تحتاج الى صقل اي انها تخرج جاهزة للاستعمال

مخترع هذه العدسات شاب في الثانية والثلاثين من العمر هولندي الاصل انكليزي النشأة والجنسية تقلب في أعمال مختلفة فكتب بعض الاناشيد الخفيفة المتداولة وصنع نماذج لطائرات كسب بها أحدى الجوائز الدولية ثم انصرف الى صنع العدسات المتقدمة من مادة عجينية القوام

اسم هذا الشاب بيتر كوخ ده غورينده. وقد اطلعنا على صورة عدسة من هذه العدسات ثخانتها تسع بوصات ونصف بوصة ومن خلالها ظهر وجه فتاة فاذا هو بنفي النقاء كله واضح في جميع التفصيلات فكأنك ترى شبحها في مرآة صافية لا من خلال تسع بوصات ونصف بوصة من مادة مركبة غير مصقولة

اما المادة التي تصنع منها هذه العدسات فمادة راتينجية مركبة مبنية على أساس مركب كيماوي يدعى « مثيل متاكريلايت » وامتياز صنعه لشركة الصناعات الكيماوية بانكلترا ولشركة دوبون بأميركا

فاذا صح وتحقق كل ما يزعم في هذا الصدد فلا بدّ ان يفضي هذا الاختراع الى قلب صناعة الادوات البصرية على اختلافها رأساً على عقب فيصير في متناول كل انسان ان يحرز مصورة ضوئية (كاميرا) ونظارة مقربة ومرقباً صغيراً اذا كان من المشين الهواة ومجهراً اذا كان يهوى دراسة الاحياء الدقيقة دراسة لذة ومتعة

ويقدر الباحثون انه اذا صح ما تقدم فالمصورة الضوئية التي ثمنها الآن عشرة جنيهات تصبح ثمنها لا يزيد على ١٦٠ قرشاً ويغدو في امكان من يشاء ان يبتاع نظارات خاصة من نظارات الاوبرا المستعملة في المسارح بستين قرشاً

ويزعم دي غورينده وزميله كنستون انهما يستطيعان ان يفرغا هذه النظارة في قوالبها المعدة لها فلا يبلغ الخطأ في تحدبها او تقعرها أكثر من جزء من ١٥٠٠ر٠٠٠ جزء من البوصة

وقد امتحن احد علماء الجمعية الملكية بلندن احدى هذه العدسات وهي عدسة محدبة فوجد ان دقة تحدبها تجعلها صالحة للاستعمال في النظارات ولكنها لا تصلح كما هي الآن للادوات العلمية الدقيقة. ومن غرائب ما يروى عنها ان احد المرتابين في هذا النوع من العدسات

اخذ عدسة وضغطها ضغطاً شديداً حتى تشوه شكلها وهي مضغوطة فلما رفع الضغط عنها عادت الى شكلها الاصلي . وعرضها آخر لحرارة خمسين مئوية ربع ساعة فتقدت صفاءها فلما عادت الى حرارتها الطبيعية استعادت ذلك الصفاء المفقود ولعل هذا يجعل استعمالها في البلدان الاستوائية الحارة متعذراً الا اذا تمكن المستعمل من التغلب عليه

ويعترض صانعو النظارات التي يستعملها الناس لتصحيح نظرهم بأن العدسات التي يستعملها كل انسان تختلف عن عدسات غيره فتصقل وفقاً لوصفة الطبيب فكيف يمكن ان تصنع عدسات جاهزة للناس . ويرد ده غورينغ بانهُ اذا صنع من ٤٠٠ الى ٥٠٠ قالب مختلف تمكن من ان يصنع بها ٦٠ الى ٧٠ في المائة من العدسات التي يستطيع الناس استعمالها كما هي

* * *

« الوسكي » سم ناقع
لمن يتناول الاستركنين

وجه الدكتور جاك نوريس في الاجتماع الذي عقدته الجمعية الاميركية للباثولوجيين في فيلادلفيا تحذيراً الى جميع القيمين بمعالجة المرضى بأحد العقاقير المحتوية على الاستركنين بأن تناول الوسكي يفعل فيهم فعل السم الناقع

فقد أثبت الدكتور نوريس أن مقادير يسيرة جداً من الاستركنين والوسكي المستخرج من الذرة سم قتال فكلاهما يقلل من نشاط أعضاء واحدة ولا سيما القلب وأعضاء التنفس

ويقول هذا الطبيب ان الذين يموتون متأثرين بشرب الوسكي يجب ان تفحص جثثهم لمعرفة هل فيها أي أثر لسم الاستركنين لان بعضهم استعمل هاتين المادتين لارتكاب جناية القتل

ففي احدى حوادث القتل اعترف القاتل بأنهُ أغرى القتيل بتناول جرعة من الوسكي فيها مقدار من الاستركنين ثم أخذ يقربه بالشرب مبالغة في اكرامه فلما انصرف تبعه القاتل عن كثب حتى رآهُ وقد أخذه تشنج الصرع ووقع في الشارع ميتاً

وفي حادثة أخرى حصل الموت فيها من تناول المادتين معاً اتفاقاً

وقد جرب الدكتور نوريس تجارب بالحيوانات تبين منها ان تناول هاتين المادتين معاً يقتل الحيوان في مدى نصف ساعة الى ساعة بصرف النظر عن أيهما تجرع أولاً

مكتبة المقتطف

دليل دار الآثار القبطية

للآثار المصرية ثلاث دور رئيسية في القاهرة . اولاها وأشهرها وأقدمها دار الآثار المصرية الفرعونية ، وثانيها دار الآثار العربية ، وثالثها دار الآثار القبطية . وكل متتبع لارتقاء الفنون المصرية ونحوها لا غنى له عن زيارة هذه الدور على أن تكون زيارته الثانية لدار الآثار القبطية لان الفن القبطي حلقة اتصال بين فنون الفراعنة قبله والفنون الاسلامية بعده

وتاريخ الفن القبطي قسمان كبيران احدهما يمتد من القرن الرابع الميلادي الى القرن العاشر وتغلب عليه سمات التأثير اليوناني والبيزنطي . والقسم الثاني من القرن العاشر الى عصرنا هذا والسمة الغالبة هي سمة الفن الاسلامي في العصر الاول . تُرى العوامل الفنية بارزة في صور اشخاص وحيوانات ومشاهد للصيد واللعب والموسيقى والرقص والصور النباتية . أما في العصر الثاني ، ولاسيما بعد عهد صلاح الدين فتزول صور النبات والحيوان تقريباً ويحل محلها الرسوم الهندسية البديعة والصليب فيها دائماً

ان جمع آثار هذا الفن للمصري العريق وترتيبها في دار خاصة بها والدعوة الى العناية بها يعود الفضل الاول فيه الى صاحب السعادة مرقس سميكة باشا مؤسس هذه الدار ومديرها وعضو لجنة حفظ الآثار العربية وعضو مجلس دار الآثار العربية الاعلى

فقد أسست دار الآثار القبطية في سنة ١٩٠٨ باكتتاب عام اشترك فيه اعيان الاقباط واصدقاء الفن من جميع الطوائف والجنسيات وتوج قائمة الاكتتاب للمغفور له السلطان حسين كامل وكان اميراً حينئذ وانشئت مباني الدار في ارض موقوفة على الكنيسة القبطية اقتطعها لهذا الغرض المرحوم غبطة البطريرك كيرلوس الخامس وعلاوة على ذلك سمح باستعمال الآثار القبطية المختلفة المنتزعة من انقاض الدور القديمة التابعة للطائفة القبطية

على هذا الاساس مضى مرقس سميكة باشا بهمة لا تعرف الكلال ولا الملل فترعرعت الدار بين يديه واتسعت بحوطها ورتبت فلما كانت سنة ١٩٢٠ تفضل المغفور له الملك فؤاد الاول فزار الدار وكان هذه الزيارة الملكية كانت باعثاً على توجيه عناية خاصة اليها فأخذ نطاقها يتسع اتساعاً سريعاً . وفي يناير سنة ١٩٣١ الحقت الدار الخاصة رسمياً بالدولة مع احترام حقوق وقف الكنائس

بعد أن كانت ملكاً للبطريركية فهي بهذا الالحاق تابعة لمجلس ادارة يرأسه وكيل وزارة المعارف والدار قائمة في مصر القديمة داخل الحصن الروماني القديم المعروف بحصن بابليون والمرجح ان هذا الحصن شيده طريانوس الامبراطور الروماني في القرن الثاني الميلادي

الا ان سيكا باشا لا يألو جهداً لجعل محتويات الدار في متناول الجمهور المثقف من المصريين والافرنج فأكب بعد إنشائها وتنظيمها على وضع دليل لأهم الآثار المحفوظة فيها وبين يدينا نسخة من هذا الدليل النفيس باللغة الفرنسوية يشتمل على ١٦١ صفحة من الصور المتقنة على الورق الصقيل و ٨٢ صفحة من الوصف العلمي المدقق لها وقد صدره بصورة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول وبصورة جلالته ومعه شقيقتاه الاميرتان فائزة وفوزية عند زيارتهم المعرض في شهر يونيو من سنة ١٩٣٥ وبصورة المغفور له الملك فؤاد يحف به اقطاب الدولة عند زيارة جلالته للمعرض في دسمبر سنة ١٩٣٠ واهداه الى ذكرى العلامة الفريد بطلر وهو اول من عني بدرس علم الآثار القبطية وصاحب المؤلفات المشهورة في « الكنائس القبطية القديمة في مصر » الصادر سنة ١٨٨٤ « وفتح العرب لمصر » وغيرها

والدليل أقسام كل قسم منها يشير الى مجموعة بينها من محتويات الدار كالآثار الحجرية والخشبية والمعدنية والمنسوجات ويحتوي على صور أهم هذه الآثار ووصفها . ويتبعه وصف لاهم الكنائس القديمة في القاهرة

فالكتاب ليس دليلاً للدار فقط بل هو وصف تاريخي فني للفن القبطي من جميع وجوهه، فنهنىء سعادة سيكا باشا به ونشكر له هذه الغاية النظيفة التي لا تقوم من ناحية التثقيف التاريخي الفني بمثل

* * *

أبو سنادى الشاعر

رسالة بالانجليزية في ٤٠ صفحة مذيلة بمختارات متنوعة تقع في ٥٠ صفحة بحجم المقتطف

الزهاوي الشاعر

رسالة بالعربية في ٤٥ صفحة من قطع المقتطف ايضاً

الدكتور اسماعيل احمد أدهم حر الفكر الى ابعد حدود هذه الحرية ، صريح الى غاية بعيدة من الصراحة ، جريء يتصدى لموضوعات يحتاج الباحث فيها الى شيء من التهيب . وهو يلقى من جراء افكاره ومن اجل صراحته وجرأته كثيراً من ضروب الشتم والاضطهاد. على ان من يراعث هذه الجرأة حياة الكاتب زمناً وسط بيئات انقلاب فكري واجتماعي

استطاع فيها ان يكوّن لنفسه خطة واتجاهاً يستوقفان النظر ، اضف الى ذلك المحصول العظيم من الثقافة العالية التي استطاع الكاتب ان يلم به في سن مبكرة فهو ما يزال في العقد الثالث من عمره وقد حصل على بكالوريوس العلوم ثم على درجتي Sc. D., Ph. D. في العلوم وفلسفتها من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ كما انعم عليه من هذه الجامعة بدرجة الدكتوراه الفخرية في الآداب ثم اختير عضواً في اكاديمية العلوم الروسية فوكيلاً للمعهد الروسي للدراسات الاسلامية . وكان استاذاً للرياضيات العالية بجامعة بطرسبرج وهو الآن استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاستانة ومنتدب لدراسة الحياة الاجتماعية والادبية في مصر من قبل هذه الجامعة

وقد اكسبته دراسته العلمية اسلوباً خاصاً يظهر في بحوثه الادبية من حيث التحليل والتمحيص . فأما رسالة « ابو شادي الشاعر » فهي دراسة وضعها بالانكليزية اتى فيها بطرف من حياة الشاعر ثم انتقل منها الى ادبه والى العوامل الجديدة التي اثرت في شعره عند انتقاله من وطنه الى انكلترا ثم رد هذا الشعر الى اقسام ثلاثة وتكلم عن كل قسم محللاً ذلك في امانة علمية ودقة نقدية بارعة

***

وأما رسالته عن الزهاوي فهي اضع دراسة ظهرت حتى الآن عن هذا الشاعر تناول فيها الكاتب الكلام عن الادب العربي بين المدرسة القديمة والحديثة والتضارب في الرأي بينهما وخصائص هذا الادب وعدم تجرده عن الغاية وسكونه وأثر البيئة والطبيعة في ذلك وقصوره عن التصوير وطرقه ساحات مختلفة من الحياة رادّاً ذلك الى الدين واللغة والطبيعة وانتقل من ذلك الى الكلام عما ورثهُ الادب الحديث من خصائص الادب القديم وعن النهضة الحديثة وعواملها بعد عصور الانحطاط التي انقضت من أواخر العصر العباسي الى القرن التاسع عشر ثم تأثر الادب العربي بعد ذلك عند اتصال الحياة الشرقية بالحياة الغربية ثم انتقال الآراء الحديثة الى العراق عن طريق الادب التركي . ثمّ الى الكلام عن حياة الزهاوي والعوامل التي اثرت فيه واتصال ادبه بحياته وعناصر ادبه الاساسية وخصائصه ثم تلخيصه وروحه وتغلب الفلسفة والتأمل في شعره ثم الحب والتصوير والوصف وتعرضه لمبادىء الطبيعيات وفكرة القضاء عنده ومقارنتها بما يقابلها عند ابنشتين الى غير ذلك ثم انتقل الى الكلام عن شعره مع تحليل دقيق ثم بيّن اثر المعري وحامد عبد الحق وهيغو وداني في ملحمة الزهاوي « ثورة في الجحيم » . ولعلنا نستطيع في فرصة اخرى تناول هذه الدراسة الحية التي اخرجها المؤلف مقدمة لكتابه الذي يضمه بالالمانية عن هذا الشاعر

الصيرفي

ديوان العواطف

للشاعر النجفي محمد صالح بحر العلوم

ديوان يقارب ما بين دفتيه الاربعين قصيدة عدا الرباعيات والثلاثيات وبعض المزدوجات. وقد آثر الشاعر نظم قصائده على هذا الغرار الذي جنح اليه دعاة التجديد في شرع قافية القصيدة. وإذ صح ارتباط القصيدة بغرض تنشد فيه فالديوان إلا أقله يعد قصيدة واحدة مختلفة البحور والقافية، اذ لم ينجاوز إنشاد الشاعر ثورته على المظالم وإهابته الصارخة بمواطنيه أن يتحرروا من الخنوع للمستبدين ويحطموا الاغلال التي ترسف فيها أوطانهم. وما رباعياته الغرامية في الديوان إلا كموقف فكه مضحك بين فصول الدرامة المحزنة! وقد عقد الشاعر اللواء في كل مقطوعاته للفكرة والغرض، فأهمل لغة الشعر بل وأقحمها في معظم قصائده حتى اقترب في الاسلوب من العامية. ومن ذلك قوله يصف الشعب

فأذاق الشعب محلول النفاق فهوى يرضخ في تخديره
كلما حرر تحرير العراق شطب الخصم على تحريره

« فأذاق الشعب محلول النفاق » لعمري ترى إلى العامة من لغة الصيدليات! « وشطب الخصم على تحريره » كذلك لغة عامية إذ الشطب في لغة العرب هو الترميج. وقد كرر الشاعر كلمات محلول وغاز وميكروب وغيرها مما يعطينا فكرة عن وجهته اللفظية! ففي قصيدة يقول

يخدّر محلول المكايد عزمهم وآفة عزم الشرق هذي المكايد

وفي مطلع قصيدة العقائد:

بعض العقائد وهي غاز قاتل من لثرها تتسمم الاجواء

وقد رأيناه يستخدم الالفاظ العربية في غيرما وضعت استخداماً يثير الغرابة من غير شك كقوله

فربضنا فوق أتلال الحمول نبتغي الخير ليفنى شره

ولعمري أن ربضة الاسد فيها تحفز ووثبة، وأن الحمول هبوط وانحلال. ويعوز هذا الشاعر عمق الخيال والحكمة فشعره قوي الصلة بالعواطف، ولا شك أن العاطفة سطحية التأثر فيها طفولة بريئة!!

وإذا كان هذا الديوان ثمرة ناجحة للشاعر فنحن في انتظار ثماره اليانعة ولكل حياة سهل ولكل قصر طليعة

عبد الحميد الديب

وامرؤ الغريب

١٠٩ صفحات من القطع المتوسط — طبع مطبعة حجازي بمصر

عبد السلام رستم شاعر صادق العاطفة يصور بشعره ما يشكس مع مرآة نفسه في غير تعرج أو تزوير ، ولهذا يشعر القارىء في واحته بظل هادىء هو أثر من نفس هذا الشاعر الهادئة الساكنة في سكونها ، والقانعة بطأ نفسها والنازعة عن ضجيج الاعلان وطنطنة الظهور ولنل أبياته من قصيدة « الأدب فطرة » تؤيد ذلك :

رب أنشودة أبيت أقيها بما نالت الحوادث مني
فاذا قلت كان حبي أن أنـــطق بالقول صادقاً لا أمني

وهذا الشاعر من أكثر الشعراء الذين تأثروا بابن الرومي في النوص على المعاني حرصاً على ان تكون ألفاظه لباساً ناعماً لمعانيه ليس فيه من الخشونة ما ينفر أو يضعف قيمة المعنى ، وهو الى جانب ذلك وصّاف ينقل عن الطبيعة لوحاته بألوان تبعث الهدوء والتفكير ، وهو يتخيل لصوره دائماً ألواناً رقيقة وظلالاً خفيفة وفي قصيدته « في سكون الليل » و« الغروب » وهي قصيدة من الشعر المرسل و « الربيع والحب » و« الشتاء » و « الشمس في مطلع الفجر » وهي من أروع قصائده دليل على صدق هذا . ومن أبدع قصائده التي تصور نفسه تمام التصوير قصيدة « النفس الجانية » وفيها يقول

أراجع نفسي في ذنوب أتيتها فأقهرها بالكراهة والبغض
ويؤلمني عتب الضمير مؤنباً عليها ، ومالي من سبيل الى الغمض
اذا كان للجاني قصاص بجرمه فان قصاصي لوم نفسي على بغضي
وشتان ما بين القصاصين انما قصاص ضمير المرء أنكأ في المض
معيبة نفسي عند نفسي ، فليتني تبدلت نفساً لا تبالي بما تمضي !

* * *

Ancient Egyptian Dances. By. Irena Lexova
Oriental Institute Praha 1936 مطبعة

الرقص المصري القديم — للمؤلفة الشيكوسلوفاكية — ايرينا ليكسوفا وهي الرسالة التي نالت عليها درجة الدكتوراه من جامعة براغ

اهدت الي هذا الكتاب النفيس لقراءته أولاً وللاحتفاظ به ثانياً السيدة الفاضلة مدام Haisova من فضليات نساء تشيكوسلوفاكيا في مصر وأوسعهن ثقافة واكثرهن غراماً بمصر وكل ما يتعلق بها والكتاب رسالة علمية تقدمت به المؤلفة الى جامعة براغ فأحرزت به شهادة الدكتوراه بعد جهد طويل وتعب متصل . ويمتاز بأنه على الرغم من منحاه العلمي فانه لا يسئم القارىء بل يزيده

شغفاً بمطالعته . فكل ما فيه مفيد لديه . وقد تناول كل ما يتعلق بالرقص وآلاته وملابسه وحركاته وانواعه بعبارة انجليزية سامية يرجح الفضل فيها الى مترجم الكتاب من اللغة التشيكوسلوفاكية الى الانجليزية الاستاذ H. Hulbeur

ومن لطائف هذا الكتاب أن ملوك مصر القدماء أغرموا بالرقص غراماً شديداً . ولقد ارسل الملك « بيي نفركار » من ملوك الاسرة السادسة رسالة الى « هركوف » زعيم الحملة التي ارسلت الى « ام » يقول فيها : — (انشر قلوعك على عجل على مياه النهر الى قصر الملك . أسرع واحضر معك السلاق الذي جلبتهُ من ارض الارواح . متعتهُ الآلهة بالعمر الطويل ! والصحة والصباحة ! حتى يعود الينا ويرقص بيننا الرقصات المقدسة ، ليدخل السرور على قلب الملك « نفركار » ملك مصر العليا والسفلى . متعهُ الآلهة بالعمر الطويل !)

وكان المصريون القدماء يرقصون على الاموات ترحماً عليهم وحنيناً اليهم . وذلك النوع من الرقص يتكون من المزين والمعزيات يرقصن على ايقاع منتظم من تصفيق يحدثهُ بعض المشتركين في الرثاء . وهناك نوع آخر منهُ يقدم الى روح الميت في مناسبات بعيدة لا يناسبه في قبره . ويؤيد هذا القول رسالة ارسلها الملك « خبركار » من الاسرة الثانية عشرة الى « سنوحيت » من رجال بلاطه يقول فيها (. . . . وبعد الوقاة سيتقدم موكب جنازتك الموسيقيون ، وستنظم الرقصات المقدسة على باب قبرك)

وكان رقص الجماعات او Group Dances مألوفاً عند المصريين . ولم يكن هذا النوع من الرقص منسجماً بين المشتركين فيه فلكل راقص او راقصة خصوصية وحركة مختلفة عن خطوات زميله وحركاته . وكانت هناك رقصة شائعة مكونة من ثماني راقصات في صفين يرقصن رقصاً منتظماً على نغم متساوق من فتاتين ينقران بالدف

ولقد ابدعت مؤلفة الكتاب في وصف ملابس الرقص وصفاً يدل على اهتمامها وعنايتها بالموضوع الذي اخذت على نفسها الكتابة فيه . فوصفت رقص العاريات والصاف العاريات . ووصفت قمص (جمع قميص) الرقص الشفافة اللاصقة بالجسم او المتفرجة الواسعة (وقد شاهدت صوراً منها على جدران بعض مقابر وادي الملكات بالاقصر)

واكثر من نصف هذا الكتاب مخصص لنماذج من الرقص نقلتها المؤلفة عن نقوش وصور محفوظة في أشهر متاحف العالم . وقد اضافت الى هذا العمل الجليل عملاً اجلّ بأن تكلمت عن اصل هذه الصور ومكان حفظها وشرح موجز لها مما يجعل لعملها قيمة تاريخية جليلة

وبعد : فاني قرأت ولا زلت اقرأ كتاب Literary History of The Arabs لمؤلفه نيكلسون فاستحي ان يقال عنا إننا ندرس آداب العرب على اساتذة من الغرب (بالنين المعجمة) .

والآن فرغت من قراءة كتاب الرقص المصري القديم لكاتبة غربية فيعاودني الاستحياء. ويملكني الاعجاب بهؤلاء الباحثين الصابرين المتصورة محمد عبد الغني حسن

عضو بعثة ماين

* * *

رواية وثنية العرب — تمثيلية

تأليف خليل ابراهيم البتوت — صفحاتها ٦٥ مقاسها بالرسوم — صغير المطبعة التجارية في بوانس ايرس

لو تقصّى المؤلف النظر في روايته اكثر مما فعل لأوجد فيها حبكة مسرحية تشمل المطالبين أولاً والنظارة ثانياً على النسيان انهم ازاء استعادة قلمية لجانب من تاريخ العرب عامة وسورية خاصة ؛ تبعض الهنات التي ابنت بين المشاهد — وقد كان من السهل اجتنابها — تفقد التناسق الذي لا غنية عنه في الرواية التمثيلية

استعرض المؤلف — وهو الاديب خليل ابراهيم البتوت — ما قام به شهداء العرب على زمن جمال باشا في سورية من حوادث جريئة سبقت الثورة التي اشعلها المغفور له الملك حسين واعدّ وقودها نجله الامير فيصل فتقيد — في استعراضه — بالتاريخ تقيّداً يشكر عليه في عصر كادت تصبح فيه الرواية اداة لتشويه التاريخ

يبدو من خلال فصول الرواية الاربعة السبب في موت نخبة من مفكري الضاد عهدئذ على اعواد المشانق ، ويتجلى واضحاً الدور الذي لعبهُ القائد التركي المذكور آنفاً لانهام فيصل بالاشتراك مع الشهداء ، ثم سفر هذا الى البادية وتحريضه اهلها على الثورة ، ويوفق المؤلف في ختام روايته بانزال الستار على مبايعة المرحوم فيصل في دمشق ، كما يوفق ايضاً في استهلالها ببيان المصاعب والعقبات التي كان يستهدف لها الأحرار لعقد اجتماعاتهم بيداً من أنظار الحكومة

الى جانب هذه الحسنات نجد ما خذ ، منها ان حضرة الاديب البتوت اراد ان يرصع روايته النثرية بابيات شعرية فجاءتهُ حسن اتفاقها وقلتهُ حسن اتفاء الاشخاص الذين كان يجب ان يتكلموا في بعض المواقف نظماً . ولو انهُ — مثلاً — اعفى فيصلاً من إنشاد قصيدة في المشهد الرابع من الفصل الاول و« رياضاً » ابن الشيخ من إنشاد قصيدة أخرى في المشهد الخامس من الفصل الثالث لكان زاد في قوة هذه المشاهد

اما لغة الرواية فكثوفة المفاتل ، وقد اندست فيها اغلاط جعلت تعابيرها مشوشة في مواضع ولا مندوحة — مع ذلك — عن الثناء على المؤلف لاختياره « موضوعاً » عربياً فان حاجتنا ماسة الى روايات تذكرنا بماضينا ، هذا الماضي الذي كدنا ننساه وهو طافح بالمآثر الغر والامجاد الخالدة

عاصمة الارجنتين الياس فيصل

الجزء الثالث من المجلد الحادي والتسعين

٢٥٧ حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول
٢٥٨ امير البحر الاسطلكي : جوليلمو مركوني
٢٦٦ دير سانت كاترين بطور سينا : للسير رايدنو
٢٧٢ من قبل ظارق (قصيدة)
٢٧٣ ديكارت : ليوسف كرم
٢٨١ القفر الورق أو نواح عجيبة من تطبيق المباحث الطبيعية على الزراعة الحديثة
٢٨٧ ايليا أبو ماضي . ليوسف البعيني
٢٩٢ ثمرات الراديو في هذا العصر . للعالم لو : نقلها عوض جندي
٢٩٨ سوينبرن . لكامل محمود حبيب
٣٠٥ عقل الانسان بين الكيمياء والكهرباء
٣١٠ الشيخ احمد فارس . للفريق الدكتور امين باشا المعلوف
٣١٣ رحلة جغرافية عمرانية . لوصفي زكريا
٣٢٠ صدى قبلة . (قصيدة) : لسيد قطب
٣٢١ حيوانات مشهورة وصحة استعمالها : للفريق الدكتور امين باشا المعلوف
٣٢٥ مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الدمياطي
٣٢٩ حديقة المقتطف * حب المرأة : لخليل جنداوي
٣٣٧ سير الزمان * مشكلة البحر المتوسط . ملخص مقال لوليم لانجر أستاذ التاريخ الحديث بجامعة هارفرد الاميركية : الحرية المختنقة . أستاذ تاريخ في أميركا يصف اعتناقه الشيوعية ثم انسحابه منها
٣٤٩ مملكة المرأة * مركب العاصلات : للكاتب الفرنسي المعروف جان نقولا بوي . نقلها عن الفرنسية أحمد أبو الخضر منسي : مدرسة البنات الاميركية ببيروت : معهد ما أعظم فضله على النهضة الشرقية : للسيدة اديل جريديني خجار . تأثير العاطفة في الجسم
٣٦٠ باب الاخبار العلمية * فيتامين C في الليمون . لثة النحل وحوانها العجيبة . معجون جديد للاسنان . شركة مصر للطيران في خدمة أعوام . فيتامين C لازم لنماء العابين . أعلى تحليق . عبر المحيط الاطلنطي . تحويل عنصر الى آخر . الادرينالين في علاج اللاريا . اختراع قد يقلب صناعة الاصوات البصرية . « الوكي » سم قاتل
٣٦٦ مكتبة المقتطف * دليل دار الآثار القبطية . أبو شادي اشاعر الزهاوي الشاعر . ديوان العواطف . واحة الغريب . الرقص المصري القديم . رواية وثبة العرب .

مائدة (كرسي) من النحاس ، مخرم ومنقوش ومكفت بالذهب والفضة. كان في مارستان الملك الناصر قلاوون وهو على شكل منشور ذي ست أضلاع . وسطح هذا الكرسي وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية والنباتية والخطية وفيه صور بط بطير . ومن الكتابات المنقوشة عليه العبارتان الآتيتان : « عز لمولانا السلطان الملك الناصر العالم العامل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين نصير المظلومين من الظالمين ناصر الملة المحمدية ناصر الدنيا والدين ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي » و . . « عمل الفقير الراجي عفو ربه الموف بأن العلم الاستاذ محمد بن سنقر البغدادي الساقي وذلك في تاريخ سنة ثمانية وعشرين وسبعمائة في أيام مولانا الملك الناصر عز نصره » (زكي محمد حسن)